البرامكـــــــــة

إعـــداد

عدنان عبدالله متعب عبيدات

المشرف

الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراة في

التاريـــخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون أول 2003م

البرامــــكة

إعداد

عدنان عبدالله متعب عبيدات

المشرف

الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري

ملخص

تناولت الدراسة موضوع البرامكة, بما فيه من كشف لأصولهم, وحتى نهايتهم سنة 187هـ/802م. وقد تعرضت في التمهيد إلى تحليل لأهم مصادر الدراسة ومراجعها، بما فيها من اختلاف وتناقض، في الروايات والآراء. ويلاحظ أن أقدمها كتب بعد قرن من عصر الرشيد، فلا غرابة أن يكون في بعضها اندفاع واضح. كما عظَّمت أكثر المصادر المتأخرة من منزلة البرامكة، وحوت معلومات دون سند أو مصدر، وليس لها أثر في المصادر الأولى، لذا كان لابد من فحصها وتقييمها. وتناول الفصل الأول أصول البرامكة، وموقعهم وديانتهم، وتبين أنهم اُسرة فارسية من بلْخ, وأنهم كانوا سدنة معبد النوبهار، وهو معبد بوذي. وكان خالد بن برمك أول من شارك من البرامكة بالدعوة العباسية، ثم اتصل بأبي العباس السفاح، وعمل له، ثم اتسعت صلة البرامكة زمن المهدي, عندما أصبح يحيى بن خالد كاتب الرشيد, بعد ولايته للعهد سنة 166هـ/782م, ولعب يحيى دوراً واضحاً في وصول الرشيد للخلافة سنة 170هـ/786م, إذ كاد الرشيد يلين أمام طلب أخيه الهادي بتقديم ابنه موسى عليه في ولاية العهد, ولكن يحيى كان يشجعه على الصمود.

وتناول الفصل الثاني موضوع البرامكة والوزارة, وأشار إلى أن خالد بن برمك لم يتقلّد الوزارة زمن السفاح أو المنصور, أما ابنه يحيى فقد منحه الرشيد لقب وزير فور توليه الخلافة, ولم يكن ابناه الفضل وجعفر كذلك, ومنحه الرشيد الكثير من الصلاحيات, وقلّده وظائف استثنائية, لم يتمتع بها وزراء آخرون زمن الخلفاء العباسيين الأوائل. وتعرض إلى دور الخيزران أم الرشيد,

التي كانت إلى جانب يحيى البرمكي, حتى وفاتها سنة 173هـ/789م, تأمر وتنهى. وبموتها أخذ الرشيد بنقل بعض صلاحيات البرامكة إلى الفضل بن الربيع.

وناقش الفصل الثالث دور البرامكة السياسي, فتعرض إلى دورهم في ولاية العهد, التي كانت زبيدة تسعى أن تكون إلى ابنها الأمين، في حين أن البرامكة كانوا إلى جانب المأمون, على اعتبار أن أمه فارسية, وموقفهم هذا أدى إلى اضطغان زبيدة عليهم. تبلورت التكتلات السياسية زمن الرشيد, فكوّنت الخيزران والبرامكة تياراً ضد التيار العربي, الذي كان يمثله زبيدة والفضل بن الربيع, وهذا يفسر سبب بُعد الفضل بن الربيع عن مناصب الدولة حتى وفاة الخيزران. وناقشت الدراسة علاقة البرامكة بالعلويين, وكشفت عن دور للفضل بن يحيى البرمكي, في توقف يحيى بن عبدالله العلوي عن الثورة. ويبدو أن البرامكة لم يكونوا مواليين للعلويين, وتراوح موقفهم بين العطف عليهم، والوقوف ضدهم، حسب ما يمليه وضعهم.

وناقش الفصل الرابع نهاية البرامكة، وأبان أن سقوطهم لم يكن مفاجئاً، بل كان الرشيد يراقبهم ويفرض إرادته عليهم ويقوم بتشذيب سلطاتهم عبر سنين، إلى أن أوقع بهم، ثم أن البرامكة أنفسهم أخذوا يشعرون بتغير الرشيد عليهم. وحلَّ الفضل بن الربيع محل البرامكة بعد سقوطهم، لكنه لم يتمتع بنفس الصلاحيات. وتبين أنه بعد سقوط البرامكة، أبدى الرشيد اهتماماً أكثر لأمور ملكه، ولم يتوان عن السير بنفسه للقضاء على بعض الثورات التي حدثت بخراسان.

Al - Barāmika

By

Ádnān Abdulla Mit′ib ′Obeidāt

Supervisor

Prof. A. A. Duri

Abstract

This study is about the Barāmika, their origins, careers, and fall in 187 A.H/802 A.D. It starts with a survey sources and studies relevant to them. It shows that the early sources were written about a century after Al Rashid, so some of them were loaded. Most of the late sources magnified the position of the Barāmika and contained added information not found in the early sources, without documentation. Therefore they had to be re-evaluated and analyzed.

The first chapter dealt with the origins of the Barāmika, their background and religion. Sources show that they were a Persian family from Balkh and were the custodians of the Nawbahār temple. Khalid ibn Barmak was the first of the Barāmika to join the Abbasid da'wa and to work with Abbasids. He joint Abbasid caliph, Al-Saffah and worked for him. And later for AL-Mansur. Their role expanded under Mahdi when Yahya ibn Khalid became secretary for Al-Rashid in 166 A.H/782 A.D. Al-Hadi tried to pressure Al-Rashid to give way to his son. Yahya stood by Al-Rashid and worked with AL Khayzuran to bring Al-Rashid to the throne.

The second chapter dealt with the ministerial role of the Barāmika. It showd that Khalid ibn Barmak was secretary and governor during the reigns of Al-Saffah and Al-Mansur, but not a minister. It was Al-Rashid who appointed Yahya minister, With wide authorities. Al-Rashid gave Yahya and his sons wide powers not given to ministers before. The role of Al-Khayzuran and her support for Yahya was noted; her death in 173/789 indicated a reduction in Barāmika powers.

The third chapter dealt with the political role of the Barāmika. It discussed their role in the succession to the throne. Political alignment should up during the reign of the Al-Rashid. The Baramika (and Al-Khayzuran) represented the Persian trend with Al-Fadl b. Al-Rabee', (And Zubaida) for the Arab trend. Then the altitude an activities of the Barāmika towards the alids - Yahya b. Abdullah, Musa Al-Khayzuran - are analyzed, to clarify their stand.

The fourth chapter discussed the end of Barāmika. It showed that their fall was not unexpected. Al-Rashid was sensitive about his role as Caliph, watches the activities of the Barāmika, political, financial and administrative, magnified by intrigue, and ultimately saw in them a threat to the state and removed them. He then took most matters into his hands and was then more active than ever before.

ثبت المحتويات

ـ دراسة في المصادر

تنوعت مصادر دراسة البرامكة، ما بين مصادر تاريخية وجغرافية وأدبية، فيها الكثير من المعلومات التاريخية، وفيها الكثير من عنصر الخيال والمبالغة، البعيدين عن الواقع التاريخي، حتى جعلت بعض المصادر المتأخرة من البرامكة، اسطورة شعبية. وقد ظهرت بعض الدراسات الجادة [1]، التي نظرت للموضوع نظرة شمولية، من خلال مقارنة الروايات ونقدها، في حين سار البعض وراء القصص والخيال. هذا وفي المصادر اختلاف في الروايات، وتناقض أحياناً، لذا تلزم دراستها ـ حسب أصنافها ـ لتقييم ما جاء فيها عن البرامكة.

ـ كتب التاريخ

التاريخ لليعقوبي (تـ284 هـ /897 م)، الذي يعطي مثلاً للتاريخ العالمي قبل الإسلام , وللتاريخ الإسلامي حتى سنة 259 هـ/872م . عالج فيه اليعقوبي تاريخ الأمم والحضارات قبل الإسلام، ثم التاريخ الإسلامي[2], سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم, وتاريخ الخلفاء [3], إلى أيام المعتمد على الله سنة 259هـ/872م. راعى اليعقوبي في التاريخ الإسلامي التسلسل التاريخي للفترات والحوادث, وسار حسب توالي الخلفاء [4]. أما منهجه في العرض فهو الإيجاز والشمول، ثم أنه قلّما يذكر المصدر, لأنه اكتفى بذكر مصادره الأساسية في بداية الجزء الثاني، الذي يتناول التاريخ الإسلامي، لكنه حين يقترب من عصره, يذكر أحياناً مصادره الشفوية والأشخاص الذين أخذ منهم[5]، " حدثني محمد بن عيسى قال " ، " حكى ابن منصور بن زياد"[6] . لم يـُشر اليعقوبي إلى البرامكة أثناء الدعوة العباسية, وهو يُظهر نوعاً من التقارب مع العباسيين, فهو يسمي

---

(1). انظر، ص28 - 33.
(2). اليعقوبي, تاريخ, جـ1, ص5.
(3). ن. م. جـ2, ص6
(4). الدوري, بحث في نشأة علم التاريخ, ص52,51.
(5). شاكر مصطفى, التاريخ العربي والمؤرخون, جـ1, ص251.
(6). اليعقوبي، تاريخ، جـ2، ص460،477.

(الدعوة العباسية) بالدعوة الهاشمية[1]. وحين تطرق إلى وفاة موسى الكاظم سنة 183هـ/799م, اكتفى بذكر وجهة النظر العباسية[2]. بدأ اليعقوبي حديثه عن البرامكة في عهد الهادي سنة 169هـ/785م, إذ قدّم معلومات عن دور يحيى البرمكي في تثبيت الرشيد في وجه محاولة تقديم جعفر بن موسى الهادي لولاية العهد[3]. ويشير اليعقوبي إلى دور البرامكة زمن الرشيد، دون توسع، ويتناول عقد البيعة للمأمون سنة 183هـ/799م دون الإشارة إلى دور لجعفر البرمكي[4]. ويتناول اليعقوبي نهاية البرامكة، وينفرد بين المصادر الأولى بالإشارة إلى إيقاع الرشيد بهم، دون أمر مسبق [5] ، ويلقي الضوء على همّة الرشيد بعدهم، وخاصة في المجال العسكري.

ولليعقوبي مؤلف آخر وهو مشاكلة الناس لزمانهم، تحدث فيه عن مزايا كل خليفة, فهو يتحدث عن صرامة المنصور مؤسس الدولة العباسية, ويشير إلى تهاون الرشيد بعض الشيء, لأنه يفرد بعض أوقاته للهو. وفي الكتاب إشارات عابرة إلى البرامكة، إذ يتعرض إلى جانب من اهتماماتهم الثقافية[6].

أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (تـ 279هـ/ 892م) ، والكتاب من أهم المصادر التاريخية للفترة الواقعة بين ظهور الإسلام وعصر الرشيد, فهو كتاب عام للتاريخ الإسلامي في إطار الأنساب, تناول المؤلف الأحداث التي وقعت في عهد كل خليفة, مع عناوين فرعية للحوادث المهمة, وهو يراعي التسلسل التاريخي في توالي الخلفاء عادة, مع بعض الاستثناء[7]. ومصادر البلاذري في أنساب الأشراف مؤلفات مكتوبة وروايات شفوية [8] " حدثني

---

[1]. اليعقوبي، تاريخ، جـ 2, ص342.
[2]. ن. م. جـ2, ص415.
[3]. ن. م. جـ2, ص405.
[4]. ن. م. جـ2, ص417.
[5]. ن. م. ص421.
[6]. اليعقوبي, مشاكلة الناس لزمانهم, ص25.
[7]. الدوري, بحث في نشأة علم التاريخ, ص49.
[8]. شاكر مصطفى, التاريخ العربي والمؤرخون, جـ1, ص244.

مشايخ لنا، والمدائني " [1]. يُعنى البلاذري بالأشراف العرب، ودورهم في التاريخ الإسلامي، ويلفت النظر بوجه خاص معلوماته المتناثرة عن الرشيد, وأنه على اتصال بكل ما يجري, على عكس ما تدّعيه بعض الروايات بأنه انصرف إلى اللهو. وتناول البلاذري البرامكة, في معلومات متناثرة، سيما دورهم في ولاية العهد [2]، ولم يتناول صلاحياتهم، كما أنه لا يتعرض لنهايتهم، ويقتصر على الإشارة إلى تاريخ الإيقاع بهم.

وللبلاذري كتاب فتوح البلدان يبحث في تاريخ الفتوحات الإسلامية , ويتناول فتح كل من مصر, مع تجنب إيراد روايات متعددة حول الحادث، ولا يكتفي بنقل المادة، بل ينقدها أحياناً بذكر كلمة " قيل " و" ويقال " [3] . أورد البلاذري معلومات قيّمة عن النواحي الثقافية والاقتصادية والإدارية[4] . ويثني المسعودي على الكتاب بقوله " وكتابه – البلاذري – في البلدان وفتوحها صلحاً وعَنْوَه من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم, وما فتح في أيامه, وعلى يد الخلفاء من بعده, وما كان من الأخبار في ذلك... ولا نعلم في فتوح البلدان أحسن منه " [5]. وفي الكتاب معلومات قيّمة عن إيران, وعند حديثه عن بلْخ , يتناول أصول البرامكة, ويتحدث عن معبدهم النوبهار [6]. ورغم أن البلاذري تناول خراسان إلى زمن المأمون 218هـ/833م، إلا أنه لم يتناول عهد الرشيد، أو ولاية الفضل بن يحيى سنة 178هـ/794م، وعلي بن عيسى بن ماهان سنة 183هـ/799م [7]. وينفرد البلاذري بذكر تولية موسى بن يحيى بن خالد بن برمك السند زمن المأمون.

---

(1). البلاذري, أنساب الأشراف، جـ3، ص252.
(2). ن. م. جـ3, ص136.
(3). ن. م. جـ3، 66،122،140،183،184،190،192.
(4). الدوري, بحث في نشأة علم التاريخ, ص49.
(5). المسعودي, مروج, جـ1, ص14.
(6). البلاذري، فتوح البلدان، ص244.
(7). ن. م. ص264.

الأخبار الطوال لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (تـ282هـ/895م) يتّبع إطاراً للتاريخ العالمي, ركّز فيه على الفرس والعرب قبل الإسلام[1]. والكتاب يتناول التاريخ الإسلامي منذ ظهور الإسلام إلى عهد الخليفة المعتصم بالله المتوفى سنة 227هـ /842م ، وهو يُعنى بالإيرانيين والعرب. لم يُشر المؤلف إلى دور للبرامكة في الدعوة العباسية, أو زمن الخلفاء العباسيين الأوائل[2] ، وتناول البرامكة زمن الرشيد، باختصار، فأشار إلى استشارة الرشيد ليحيى البرمكي عندما عقد البيعة للمأمون بعد الأمين. وأورد روايات منسوبة للرشيد تظهر ثناءه على المأمون دون الأمين[3]. ولم يتناول نهاية البرامكة، واقتصر على الإشارة إلى إيقاع الرشيد بهم سنة 187هـ/802م.

كتاب الإمامة والسياسة (أواسط القرن الثالث الهجري) , تناول دور البرامكة زمن المهدي والهادي, وأثنى على دور يحيى البرمكي في وصول الرشيد للخلافة. والإمامة والسياسة له أهميته لدراسة أوضاع البرامكة المالية, ومقدار أموالهم وجبايتهم [4]. وأفرد لنهاية البرامكة عنوان (قتل جعفر بن يحيى بن خالد)، دون أن يدخل في التفاصيل، ولم يقدّم أسباباً لنهايتهم، غير السبب المالي[5].

أما **كتاب التاريخ لخليفة بن خياط (تـ 240هـ/ 854-855م)** ، فهو كتاب حولي، يبدأ بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وينتهي سنة 232هـ/846م. لم يقتصر الكتاب على المعلومات السياسية، بل تضمن معلومات عن الأمور الإدارية، إذ يقدّم قوائم بأسماء العمال والولاة في عهود الخلفاء، ويولي الدواوين عناية كبرى، سواء في العاصمة بغداد، أو في الأقاليم، إضافة إلى

---

(1). الدوري, بحث في نشأة علم التاريخ, ص55. شاكر مصطفى , تاريخ العرب والمؤرخون, جـ1, ص449.
(2). الدينوري, الأخبار الطوال, ص387.
(3). ن. م. ص389.
(4). ن. م. ص202,201.
(5). ن. م. ص199،202.

موظفيها، وأسماء القضاة، ورؤساء الشرطة، ويضعها في نهاية الحديث عن كل خليفة[1]، بينما يتناول الحديث عن الوزراء باختصار في سياق الحديث عن الأوضاع السياسية. ورغم أن المؤلف أوجز في العرض، إلا أن كتابه حوى مادة لا غنى عنها عن البرامكة، سيما في حديثه عن المهام الإدارية التي تقلّدوها[2]، فأشار إلى تولية الفضل بن يحيى خراسان سنة 178هـ/794م، وإلى تولية أخيه جعفر مصر سنة 176هـ/792مـ [3]، ويكاد ينفرد بذكر تولية محمد بن خالد بن برمك على الجزيرة سنة 171هـ/787م[4]. ولا يشير المؤلف إلى دور البرامكة زمن الرشيد، إلا في معلومات متناثرة، ولا يتناول نهايتهم.

أخبار الدولة العباسية، لمؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري), وهو تاريخ موسّع للدعوة العباسية، يستعمل المؤلف الإسناد، ويرجع إلى مصادر مهمة، أمثال أبي مخنف (تـ157هـ/773م)، ومصعب الزبيري (تـ235هـ/849م)، والبلاذري (تـ279هـ/892م)[5]. يبدأ الكتاب بالحديث عن أخبار العباس، وينتهي بالحديث عن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله (إبراهيم الإمام)، ودخول أبي العباس الكوفة. ويبدو أن المؤلف ذو ميول عباسية، ويسمي الدولة العباسية (المباركة). والكتاب ينفرد بكثير من المعلومات عن الدعوة، ويلقي الضوء على دور خالد بن برمك في الدعوة السريّة، كونه أحد نظراء النقباء العشرين[6]. هذا مع عناية بالحديث عن دوره في تنظيم الخراج وجبايته.

تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (تـ310هـ/ 923م) الذي يُعتبر أحد المصادر الرئيسة للدولة العباسية, فصاحبه إمام عصره, وفقيه زمانه [7] . وكتابه هذا تناول التاريخ العالمي, من بدء الخليقة حتى ظهور الإسلام, ثم تناول التاريخ الإسلامي منذ عهد

[1]. خليفة بن خياط, تاريخ, ص199,200,201,256,269,332,333,366,367,435.
[2]. ن. م. ص462,465.
[3]. ن. م . ص465.
[4]. ن. م. ص463.
[5]. ن. م. مقدمة المحقق, ص13,14.
[6]. مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص220.
[7]. ابن النديم, الفهرست, ص491.

الرسول صلى الله عليه وسلم حتى سنة 302هـ/914م . وقد شغل الطبري بالحديث السياسي أكثر من النظم الإدارية والاقتصادية [1] . يعطي الطبري أكثر من راوية حول الحادثة, ويندر أن يفضل رواية على أخرى[2], ويقدّم سلسلة الإسناد في أغلب الروايات التي يذكرها[3] , مع بعض الاستثناء[4]. وقد اتبع النظام الحولي، وفوق ذلك يذكر لكل خليفة ترجمة وافية في سنة وفاته[5] . أشار الطبري بإيجاز إلى دور البرامكة في الدعوة العباسية[6] , وأسهب في الحديث عنهم في عهد الرشيد, وذلك بدرجات تتفاوت في التفصيل، فهو يفصّل عند الحديث عن علاقة البرامكة بالعلويين [7]، لكنه أوجز في حديثه عن تولية الفضل بن يحيى خراسان سنة 187هـ/802م [8]. وأشار إلى دور لجعفر بن يحيى في إطلاق سراح يحيى بن عبدالله العلوي [9]. وتناول نهاية البرامكة، وأفرد لها عنواناً: " ذكر الخبر عن إيقاع الرشيد بالبرامكة " [10]، والطبري أول من أشار إلى قصة العباسة، كما تناول مقتل جعفر البرمكي بتفصيل.

الوزراء والكتّاب لمحمد بن عبدوس الجهشياري (331هـ/ 942م). كان الجهشياري حاجب الوزير علي بن عيسى، الذي وزر للمقتدر مرات، بدءً بسنة 301هـ/913م، وهذا جعله على اتصال بطبقة الوزراء والكتّاب, مما سمح له الإطلاع على الوثائق الرسمية. ورغم أن الكتاب يتعلق بالدرجة الأولى بأمور الإدارة والدواوين والوزارة, إلا أنه حوى مادة سياسية وثقافية واقتصادية. بدأ الجهشياري كتابه عن بلاد فارس ونظم الإدارة والوزارة عندهم, وانتهى به إلى أيام المأمون. لم يبد الجهشياري اهتماماً بالإسناد[11]، وقد أخذ عن مصادر مكتوبة " ما حكاه محمد بن

---

(1). شاكر مصطفى, التاريخ العربي و المؤرخون, جـ1, ص261.
(2). الدوري, بحث في علم نشأة التاريخ, ص56.
(3). روزنثال, علم التاريخ عند المسلمين, ص186.
(4). الطبري, تاريخ, جـ8, ص256.
(5). روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ص186.
(6). الطبري, تاريخ, جـ7, ص389.
(7). ن. م. جـ8، ص242-251.
(8). ن. م علم التاريخ. جـ8، ص257.
(9). ن. م. جـ8، ص244- 248.
(10). ن. م. جـ8، ص287.
(11). الجهشياري، الوزراء، ص177-189،182-204،192-211.

داود بن الجرّاح في كتابه المسمّى كتاب الوزراء " [1] , وأخذ بعض الروايات الشفوية من أشخاص عاصرهم، كما يبدو من إشاراته، مثل " وحكى يحيى بن خاقان " , " حدثني أبو الفرج محمد بن جعفر بن حفص" , " حدثني عبد الواحد بن محمد " [2] . وكتاب الوزراء والكتّاب من مصادر الدراسة الأساسية, إذ حوى معلومات عن البرامكة منذ مشاركتهم بالدعوة العباسية, وينفرد بروايات مثل الإشارة إلى بداية العلاقة بين الخيزران والبرامكة[3], هذا مع عناية بالحديث عن دور البرامكة السياسي زمن الرشيد. وقد جهد الجهشياري أثناء سرده للأحداث التاريخية, أن يقدم عرضاً وافياً لعلاقة البرامكة بالرشيد, لكنه يندفع أحياناً عند الحديث عنهم, ويظهر تعاطفه معهم, وهذا جعله لا ينقد بعض رواياته, كالإشارة إلى قصة جعفر البرمكي مع عبد الملك بن صالح العباسي[4], واندفاعه هذا يزداد عند حديثه عن سقوط البرامكة, الذي يسميه (النكبة) , إذ صور تردي حال الرشيد بعدهم دون أن يستند إلى دليل[5], وينفرد من بين المصادر الأولى بذكر أقوال على لسان الرشيد تظهر ندمه على ما حلّ بالبرامكة [6].

مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلي بن الحسين المسعودي (تـ 346هـ /957م) مؤرخ وجغرافي، طاف الكثير من البلدان, فكان لاهتمامه بالرحلات أن جمع مادة مفيدة، خاصة فيما يتعلق بالعادات والتقاليد والأديان والأبنية [7]. وفي الكتاب مادة قيّمة عن النوبهار, معبد البرامكة في بلْخ[8], وخصّص المسعودي عنواناً في عهد الرشيد سمّاه (جملاً من أخبار البرامكة) [9] ، وفيه اهتم بالجانب الثقافي للبرامكة، وأبدى تعاطفه معهم، وأبان اضطراب الإدارة بعدهم. والكتاب من

---

(1). الجهشياري، الوزراء, ص249.
(2). ن. م. ص183,198,212,225,233,235,239.
(3). ن .م . ص100.
(4). ن. م. ص213.
(5). ن. م. ص265.
(6). ن. م. ص256.
(7). المسعودي، مروج، جـ2، ص130- 164.
(8). ن. م. جـ2, ص382.
(9). ن. م. جـ4, ص264.

أكثر المصادر التاريخية عناية بالجانب الثقافي والأدبي للبرامكة[1] ، إذ يذكر بتفصيل المجالس التي كان يعقدها يحيى البرمكي مع علماء مشهورين [2] ، وفوق ذلك يفرد عنواناً عن رثاء الشعراء لهم [3] .

وثمة مؤلف آخر **للمسعودي بعنوان التنبيه والاشراف،** اختصر فيه ما ذكره في مروج الذهب، مع بعض الإضافات، تناول فيه جغرافية الأرض والبحار, وتطرق للحديث عن ملوك الفرس والروم، ثم خصص جزءاً للحديث عن التاريخ الإسلامي منذ مولد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى خلافة المطيع سنة345 هـ/956م[4] . وتظهر أهمية الكتاب في أن المسعودي كان شاهد عيان لبعض الأحداث التي يذكرها " ورأيت في سنة 324هـ/945م بمدينة قريبة من أرض الشأم عند بعض موالي بني أمية ... كتاباً فيه نحواً من ثلاثمائة ورقة "[5] . ورغم إيجاز الكتاب، إلا أن فيه بعض الفائدة، وخاصة عن الوزارة, والأمور الإدارية, إذ يورد قائمة في نهاية عصر كل خليفة بذكر أهم من اشتغلوا في إدارته. ويندفع المسعودي عند الإشارة إلى البرامكة, وخاصة عند حديثه عن خالد بن برمك [6]، لكنه أوجز الحديث عن صلاحياتهم زمن الرشيد. ويُظهر المسعودي تعاطفاً مع البرامكة عند حديثه عن نهايتهم, ويشير إلى انفلات الأمور بعدهم[7] .

أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي (تـ334هـ/945م) تاريخ الموصل, وهو جزء من الكتاب، والجزء الآخر مفقود، تناول فيه التاريخ السياسي لمدينة الموصل مرتباً حسب السنين من 101هـ/719م – 224هـ/839م . يورد الأزدي الإسناد في معظم رواياته[8], واعتمد على جملة من

---

[1]. المسعودي, مروج, جـ4, ص270-273.
[2]. ن. م. جـ4، ص273-277.
[3]. ن. م. جـ3، ص380.
[4]. المسعودي, التنبيه والإشراف, ص273.
[5]. ن. م. ص307.
[6]. ن. م. ص264.
[7]. ن. م. ص312,315.
[8]. الأزدي، تاريخ الموصل، ص280.

المؤرخين والرواة أهمهم, خليفة بن خياط [1]، وقليلاً ما يثبت مصادره المكتوبة, ويكتفي أحياناً بالقول" وقرأت في كتاب "[2]. يعتبر الكتاب المصدر الأساس للمعلومات التاريخية الخاصة بالموصل, لأنه من أوائل من كتبوا عنها, مع الإشارة إلى بعض الأحداث العامة خارج الموصل, وخاصة في منطقة الجزيرة[3], ويتناول أخبار حمص, والشام ولكن بإيجاز شديد[4] . والأزدي أكثر تفصيلاً من الطبري, عندما يتحدث عن تولية المنصور لخالد بن برمك الموصل سنة 148هـ/ 765 م، وسنة158هـ/774م [5] ، ويتجه إلى الإيجاز في حديثه عن الخلفاء, فلا يذكر الروايات حول موت الهادي مثلاً, إنما يكتفي بإشارة إلى أمه الخيزران" وكان منها في أمره ما أغنى عنه وعن ذكره" [6]. وبالمقابل يستطرد في الحديث عن علاقة الرشيد بعبد الملك بن صالح العباسي[7] . ويورد الأزدي معلومات مقتضبة عن العهد للأمين سنة 175هـ/ 791م، وإشارات موجزة إلى دور البرامكة السياسي, ولكنها ذات فائدة. وينفرد الأزدي بذكر معلومات عن دور يحيى البرمكي في تنظيم أمور الخراج في الموصل[8], في حين يندفع أحياناً وراء عواطفه عندما يتحدث عن جباية الرشيد لخراج الموصل, وتحمُّل أهلها الظلم والقسوة على أيدي عمالها, لتُهدى في النهاية إلى الجواري[9]. ويعرض الأزدي لسقوط البرامكة باختصار في أحداث 187هـ/802م[10] .

وفي علاقة العباسيين بالعلويين، تتوفر مادة أصيلة في كتاب **مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني (تـ356هـ/967م)** ، أو(مقاتل آل أبي طالب) كما يسميه ابن النديم [11] . ترجم

---

(1). الأزدي، تاريخ الموصل, ص126,116,108.
(2). ن. م. ص416.
(3). ن. م. ص 94 - 132,117،114, 222-224, 240-247, 386,385,366,362.
(4). ن. م. ص289,280,279.
(5). ن. م. ص207،224.
(6). ن. م. ص259.
(7). ن. م. ص262-266.
(8). ن. م. ص276.
(9). ن. م. ص278,277.
(10). ن. م. ص305,304.
(11). ابن النديم، الفهرست، ص167.

الأصبهاني فيه للشهداء من ذرية أبي طالب، حسب التسلسل الزمني، بدء بجعفر بن أبي طالب [1]، حتى زمن انتهاء كتابه سنة 313هـ/925م. فترجم فيه لأكثر من مائتين من الطالبيين. أبدى الأصبهاني رأيه في بعض الروايات، مثل قوله " وهذه رواية الضحاك بن عثمان، وما أعلم أحداً من أهل السيرة ذكر محمد بن جعفر قتيل عبيدالله بن عمر، ولا سمعت لمحمد في كتاب أحد منهم ذكر مقتل " [2]. وتبدو ميول الأصبهاني علوية، فهو شيعي الهوى، ويعود نسبه إلى ولد هشام ابن عبد الملك [3]. تناول المؤلف علاقة البرامكة مع العلويين في عهد الرشيد، ويكاد ينفرد بذكر علاقة الفضل بن يحيى البرمكي بيحيى بن عبدالله العلوي، قبل انتقال الأخير إلى بلاد الديلم[4]. ويتّـهم الأصبهاني البرامكة بالقبض على موسى الكاظم وتسليمه للرشيد[5]. ويلاحظ أنه اتخذ موقف الاتهام من البرامكه في علاقتهم بموسى الكاظم، في إشارة منه إلى أن البرامكة لم يكونوا على علاقة حسنة بالعلويين.

ابن الجوزي (تـ597هـ/1200م) المنتظم، وهو كتاب في التاريخ العام، مع بعض التركيز على تاريخ بغداد، ذاكراً في ختام حوادث كل سنة وفيات الرجال فيها[6]. اتبع ابن الجوزي منهجاً متميزاً، إذ التزم بذكر مصادره، واعتاد الإشارة إليها بذكر اسم المؤلف، ومن أشهر من أخذ عنهم، الصولي والطبري [7]، وفي بعض الأحيان يكتفي بالقول " قال علماء السير" [8]. لم يكتف ابن الجوزي بالجمع، بل انتقد، ورجح بعض الروايات، مع إضافة رأيه أحياناً[9]، فعندما ذكر قصة العباسة، قال: " وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري سبباً عجباً في خبر البرامكة في هلاك

---

(1). الأصبهاني، مقاتل، مقاتل، ص6.
(2). ن . م. ص22.
(3). ابن النديم، الفهرست، ص166.
(4). ن. م. ص465.
(5). ن. م. ص501.
(6). شاكر مصطفى, التاريخ العربي والمؤرخون, جـ2, ص109.
(7). ابن الجوزي، المنتظم, جـ8، ص321، جـ9، ص127.
(8). ن. م. جـ9، ص133،134.
(9). ن. م. جـ9، ص131.

جعفر"، وختم القصة بالقول " بأن هذا من رواية الجهّال "[1]. ولكتاب المنتظم أهمية كبيرة لإيراده تراجم وافية عن الوزراء، ضمّنها مادة تاريخية مهمة، وتناول البرامكة زمن الرشيد، وأبان صلاحياتهم، وأن الرشيد بدأ بتشذيب سلطاتهم بعد وفاة الخيزران سنة 173هـ/789م. ومعظم رواياته عن البرامكة يأخذها من مصادر أقدم، مثل الطبري، ولكن يبدي وجهة نظر خاصة، سيما في حديثه عن نهايتهم، إذ يجعل موقفهم من العلويين، سبباً لنهايتهم [2].

ومن المصنفات المهمة, **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لابن الطقطقا (709هـ/ 1262م)** , وموضوعه، كما جاء في مقدمتة " وهذا كتاب تكلمت فيه على أحوال الدول، وأمور الملك، وذكرت فيه ما استظرفته من أحوال الملوك الفضلاء، واستقريتُه من سيَر الخلفاء والوزراء "[3]. ويوجه ابن الطقطقا بعض النقد للروايات، ولا يكتفي بذكرها [4], ويأتي بعدّة روايات حول الحادثة الواحدة أحياناً [5]. وبالرغم من تأكيد المؤلف على قول الحق " والتزمت فيه أمرين، أحدهما ألا أميل فيه إلا مع الحق، ولا أنطق فيه إلا بالعدل "[6]، إلا أن كتابه لم يخل من اندفاع أو ميل، فقد تحامل على الخليفة الرشيد وسياسته، مبدياً بعض الحماس للبرامكة, إذ يسمي فترة وزارتهم بـ: (الدولة البرمكية). تحدّث المؤلف عن ثقافة البرامكة, وتتبع ظهورهم على المسرح السياسي حتى نهايتهم التي وصفها بالنكبة[7]. ويُظهر ابن الطقطقا تحاملاً على الكتلة العربية, ورأى أن ما حلّ بالبرامكة كان بسبب الفضل بن الربيع الذي تقلّد الوزارة بعدهم [8]. ويتضح من رواياته ميله للعلويين, ويذهب إلى اتهام الرشيد بقتل بعض أئمتهم[9] , ويصرّح أحياناً بذلك, فعند

---

[1]. ابن الجوزي، المنتظم, جـ9، ص131،132.
[2] . ن. م. جـ9، ص133.
[3]. ابن طباطبا, الفخري, ص13.
[4]. ن. م. ص209.
[5]. ن. م. ص209,172,156.
[6]. ن. م. ص14.
[7]. ن. م. ص197, 199.
[8]. ن. م. ص209.
[9]. ن. م. ص196.

الإشارة إلى موت يحيى بن عبد الله العلوي يقول " ثم قتله – الرشيد- بعد ظهور آية له عظيمة[1].

والكتاب مصدر رئيس عن الوزارة, فيه مادة جيدة عن الوزراء.

ـ كتب الجغرافيا

كتاب البلدان لليعقوبي (تـ284هـ/897م)، وهو أول كتب الجغرافية العربية، أوضح اليعقوبي في مقدمته نهجه، حيث يقول " إني عنيت في عنفوان شبابي، وعند احتيال سني وحدّة ذهني بعلم أخبار البلدان ومسافة ما بين كل بلد وبلد، لأني سافرت حديث السن ... فكنت متى لقيت رجلاً من تلك البلدان، سألته عن وطنه ومصره "[2]. ويبدو أنه حكّم رأيه فيما سمع من أهل المدن، إذ يُسجَّل له أنه لم يذكر أياً من الغرائب والعجائب التي افتتن بها الآخرون. ذكر اليعقوبي مَن فَتَحَ البلاد من الخلفاء والأمراء، ومبلغ خراجها، فهو يعطي لوحة عامة للبلدان لمن يريد الإلمام السريع بها. وقد جاء كتاب البلدان شاملاً تحدث فيه اليعقوبي عن المواصلات والطرق، وأبدي فيه عناية بالخراج[3]. ولم تتوفر مادة أصيلة يُعتمد عليها عن بلخ والنوبهار، إلا عند اليعقوبي، الذي يعطي وصفاً دقيقاً للمدينة، ولمساحة النوبهار، وفيه إشارات موجزة تتناول سياسة الفضل بن يحيى عند حديثه عن خراسان[4].

ولابن الفقيه (تـ290هـ/902م) كتاب البلدان , وهو مجموعة أدبية وتاريخية عن بلاد العالم الإسلامي. ومصادر ابن الفقيه متنوعة, أبرزها الجاحظ (تـ255هـ/868م), والبلاذري (279هـ/892م). قدّم المؤلف معلومات عن أصول البرامكة, وهو من الكتّاب الأوائل الذين قطعوا بأن البرامكة كانوا عبدة أصنام[5], وفصّل ابن الفقيه في الحديث عن النوبهار, وأبان أهميته الدينية

---

(1). ابن طباطبا, الفخري , ص194.
(2). اليعقوبي, البلدان, ص9.
(3). ن. م. ص 114,81,76,45,43,38,37, 117, 123، 177،182
(4). ن. م. ص116, 117, 121.
(5). ابن الفقيه, البلدان, ص607.

وما كان يتصل به من وقوف وأموال[1], وفيه إشارات تظهر مكانة السادن (برمك), وأهميته الدينية لدى أتباعه. ويبدو إعجاب المؤلف بخالد بن برمك, إذ بالغ بالحديث عن كرمه[2], وتناول دوره في الدعوة العباسية, وفي عهد الخلفاء العباسيين الأوائل[3]. ولم يتناول ابن الفقيه الجانب السياسي للبرامكة في عهد الرشيد, باستثناء بعض الإشارات الموجزة .

معجم البلدان لياقوت الحموي (تـ626هـ/1228م) , من أهم مصادر الجغرافيا التاريخية، احتوى على معلومات لأهم بلدان العالم الإسلامي. أما أهمية الكتاب لموضوعنا فتتبين من الحديث عن مدينة بلْخ[4] ، إذ فصّل في الحديث عن النوبهار. لكنه احتوى على قصص وأساطير، يحسن بالباحث التوقف عندها، وخاصة عند حديثه عن إسلام برمك، إذ عظّم من شأن النوبهار وقارنه بالكعبة[5]. وجاء ياقوت بروايات عن البرامكة يظهر فيها أثر المبالغة، ولا ترد في المصادر الأولى. كما أنه عظّم منزلة البرامكة قبل دخولهم الإسلام.

ـ كتب التراجم

يقدّم هذا النوع من الكتب مادة تاريخية قيّمة عن الأشخاص الذين يترجم لهم, من حيث بيئتهم وثقافتهم، واتصالهم بالخلفاء ورجال الدولة. ففي منتصف القرن الخامس الهجري وضع **الخطيب البغدادي (تـ463هـ1070م)** مصنفه **تاريخ بغداد**. رحل الخطيب في طلب العلم, فزار الكوفة والبصرة وهمذان والرّي والشام والحجاز[6], واهتم بالحديث والأدب وبعلم الفقه وأصوله, إضافة للتاريخ . وتاريخ بغداد حافلٌ بتراجم الخلفاء والأمراء والعلماء, ورجالات المجتمع والدولة,

---

(1). ابن الفقيه, البلدان , ص618.
(2). ن. م. ص607.
(3). ن. م. ص537.
(4). ياقوت الحموي, معجم البلدان, جـ 5, ص479.
(5). ن. م. جـ5, ص308.
(6). أكرم العمري, موارد الخطيب البغدادي, ص34,33.

الذين عاشوا أو نزلوا ببغداد, منذ إنشائها حتى عصره [1], لكنه كان يركّز على الفقهاء والمحدِّثين, وكانت تراجمهم أوسع من تراجم غيرهم[2]. استخدم الخطيب البغدادي الإسناد بدقة عند سرد الروايات [3], وهو لم يرد لتاريخه أن يكون شاملاً, رغم غناه ووفرة مادته عن الحياة الثقافية والعلمية, إذ لم يقدم معلومات مفصلة عن التاريخ السياسي والعسكري, أو عن النواحي الإدارية والاقتصادية[4]. وفي الكتاب تراجم وافية للبرامكة, إذ يفرد عناوين خاصة بهم[5] . ويثني على دورهم في الدولة بموضوعية, لكنه يعطي الخليفة الدور الأكبر. ويتناول الخطيب سقوط البرامكة بإيجاز في بعض الإشارات العابرة [6], ويرى أن جعفراً البرمكي كان السبب المباشر لنهايتهم[7].

ولابن قتيبة (تـ276هـ/ 889م) , الذي كان " عالماً باللغة والنحو وغريب القران, ومعانيه, والشعر والفقه "[8], كتاب **المعارف**, كتبه بلغة تميزت بالفصاحة والوضوح. ويعتبر الكتاب دائرة معارف ميسرة, في الوقت الذي تناول بعض علماء عصره مواضيع خاصة في كتبهم, مثل طبقات الشعراء لمحمد بن سلام(تـ232هـ/846م), وطبقات الشعراء لابن المعتز(تـ296هـ/908م). والكتاب مثال للتاريخ العالمي, والتاريخ العام، الذي يبدأ بالخليقة, وينتهي بأيام المعتصم (تـ227هـ/841م) حسب التسلسل الزمني، ولكنه يتجاوز ذلك، فيتحدث عن موضوعات أخرى، مثل المشهورين من الأشراف وأصحاب السلطان والخارجين عليهم، وعن التابعين ومن بعدهم، وعن أصحاب الحديث وأصحاب الرأي, وأصحاب القراءات والنسّابين وغيرهم[9]. ويستخدم ابن قتيبة في مواضع كثيرة الإسناد الجمعي, ويشير إلى ذلك بكلمة (قالوا) [1]

---

(1) . أكرم العمري, موارد الخطيب البغدادي ص97. شاكر مصطفى, التاريخ العربي والمؤرخون,جـ2, ص103.
(2). روزنثال, علم التاريخ عند المسلمين, ص232.
(3). الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـ7، ص169، جـ14، ص134،135.
(4). أكرم العمري, موارد الخطيب البغدادي, ص97.
(5). الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ7، ص165،164، جـ12, ص332. جـ14, ص136, 332.
(6). ن. م. جـ14, ص134.
(7). ن. م. جـ7, ص164.
(8). ابن النديم, الفهرست, ص115.
(9). ابن قتيبة, المعارف, مقدمة المحقق, ص5,4.

[1] . وفي كثير من الأحيان يثبت مصادره, وتُعتبر التوراة ووهب بن منبه, من أهم مصادره التي اعتمد عليها عند حديثه عن بدء الخليقة, ويأخذ عن الواقدي (تـ207هـ/822م), عند حديثه عن فترة الرسالة والخلفاء, ويأخذ معظم رواياته الشفوية عن شيوخه, وخاصة السجستاني والرياشي والأصمعي [2] , ويشير أحياناً إلى بعض الكتب دون تحديد " قرأت في كتب السير والعجم"[3] . وتعود أهمية رواياته إلى كونه من المؤرخين الأوائل, وإلى اعتماد المؤرخين عليها. وفي الكتاب إشارات تبين مكانة البرامكة الدينية [4]. وابن قتيبة نفى ضمناً قصة العباسة, عندما ذكر أنها كانت متزوجة من محمد ابن سليمان الذي توفي سنة 173هـ/789م[5]. ويلاحظ أن ابن قتيبة غمز البرامكة حين أورد ما قاله الأصمعي شعراً بهم, رماهم فيه بالشرك والزندقة[6].

ويمكن الإشارة هنا إلى كتاب **الفهرست لابن النديم (تـ377هـ/987م)**, وهو موسوعة ثقافية، إذ يحصي الكتب العربية المنقولة من الأمم المختلفة, والمؤلفة في جميع أنواع العلوم, ويعطي أحياناً نتفاً من محتويات تلك الكتب[7], ويذكر مترجميها أو مؤلفيها, ويعيّن تاريخ وفاتهم على الأغلب. أوضح ابن النديم نهجه في مقدمة كتابه حيث يقول " هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجودة منها بلغة العرب ... وأخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وأنسابهم, وتاريخ مواليدهم, ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم, وأماكن بلدانهم, ومناقبهم ومثالبهم..."[8]. ويظهر صاحب الفهرست على إحاطة بفروع العلوم المختلفة. وما خلّفه ابن النديم من تراجم الأشخاص نزر يسير, إذ لم يُلق بالاً لهم, بقدر الاهتمام بمصنفاتهم. حوى الكتاب مادة قيّمة عن نشاط البرامكة الثقافي, والشخصيات الثقافية التي كانت على اتصال بهم[9]، وقدّم أحياناً مادة تاريخية لا أثر لها في

---

(10). ن. م. ص310,308,307.
(1). ابن قتيبة , المعارف, ص202.
(2). ن. م. ص362.
(3). ن. م. ص656.
(4). ن. م. ص380.
(5). ن. م. ص215.
(6). ابن النديم, الفهرست, ص200,177,172.
(7). ن. م. المقدمة، ص1.
(8). ن. م. ص233,179,175.

المصادر الأخرى, إذ ترد فيه إشارات إلى بعض الشخصيات الفارسية التي كانت على علاقة بالبرامكة, كما أظهر ميول واتجاه البرامكة الديني [1].

وفيات الأعيان لشمس الدين أحمد بن خلكان (تـ681هـ/ 1282م) ، وهو يترجم للخلفاء والوزراء والفقهاء والكتّاب والقضاه، ولأهم رجالات وأعلام الفكر في الدولة الإسلامية, إذ كان ابن خلكان ممن اشتهروا بالعربية, والأدب والشعر, وأفاد من المصنفات التاريخية السابقة, التي أثبتها في كتابه بالقول " نقلته من جمهرة النسب لابن الكلبي " ، " ذكره أبو الحسن عبد الغفار في سياق تاريخ نيسابور". وبعض رواياته عن البرامكة، يأخذها عن الجهشياري " وحكى الجهشياري في كتاب أخبار الوزراء "، وعن الطبري " وذكر الطبري في تاريخه " [2]. ويبدو أنه اعتمد على مصادر لم يتأكد منها، ولعلها أدنى من غيرها، وعبَّر عن ذلك بالقول " قيل "، " ويقال "، " والله أعلم "، " وقد اختلفوا في هذه السنة " [3] ، غير أنه مصدر متأخر لا تُعرف مصادره أحيانا. ويورد أكثر من رواية واحدة حول الحادثة أحياناً [4]. أفرد ابن خلكان عناوين خاصة لأفراد أسرة البرامكة [5], " خالد بن برمك " ، " يحيى البرمكي " ، " الفضل بن يحيى البرمكي " ، " جعفر البرمكي " [6]، وفيه معلومات مفيدة عن بعض الشخصيات التي لها علاقة بهم، وخاصة عن الخيزران والفضل بن سهل. ويورد الكتاب معلومات عن بلخ والنوبهار [7], ويظهر فيما أورد من معلومات تعاطفه مع البرامكة, وخاصة عند حديثه عن خالد ابن برمك ودوره في الدعوة العباسية. والكتاب يقدّم عرضاً وافياً للبرامكة, وعلاقتهم بالخلفاء العباسيين الأوائل, لكنه يعطي أهمية كبيرة لدورهم في عهد الرشيد, ويعتبر الوشاية أهم أسباب سقوط البرامكة الذي يسميه (النكبة),

---

(1). ابن النديم, الفهرست, ص473.
(2). ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ1، ص336، جـ6، ص228.
(3). ن. م. جـ1, مقدمة المحقق, ص5.
(4). ن. م. جـ1، ص334،335،336.
(5). ن. م. جـ1، ص328،329،342.
(6). ن. م. جـ1 ص332،333،342،343. جـ4، ص27،266،267 - 35. جـ5، ص110 - 113. جـ 6، ص 221، 228 - 232.
(7). ن. م. جـ6, ص2.

ويعطي المؤلف الفضل بن الربيع والكتلة العربية دوراً كبيراً في الوقوف ضد البرامكة, والوشاية بهم عند الرشيد[1]. ويحوي الكتاب الكثير من الأشعار التي ترثي البرامكة.

وتاريخ الإسلام للذهبي (تـ748هـ/1347م) الذي تناول فيه الحوادث والتراجم, ابتداءً من السنة الأولى للهجرة حتى سنة 700 هـ/1300م, ورتَّب الحوادث حسب السنين[2] . وقد امتازت خطته بتنوع موارده وتعددها, حيث كان يورد آراء الموافقين والمخالفين لصاحب الترجمة [3]. تضمن تاريخ الإسلام مادة واسعة في التاريخ السياسي والإداري, انتقاه من موارد كثيرة, وقدّم معلومات اقتصادية جيدة, حيث عُني بذكر الأوضاع المالية للدولة الإسلامية عموماً, والتطورات التي طرأت عليها. ورغم أن الكتاب متأخر, إلا أن فيه بعض الفائدة لإيراده تراجم عن أسرة البرامكة, منها ترجمة وافية ليحيى البرمكي, تُبين دوره في وصول الرشيد إلى الحكم, والصلاحيات التي تمتّع بها في عهد الرشيد[4]. وترجم أيضا لابنه جعفر[5]. وفيه معلومات عن إدارة الفضل بن يحيى في خراسان[6] .

ـ كتب الأدب

وتترجم كتب الأدب لعدد من الشعراء والأدباء, وتحوي معلومات عن سيرهم, وبلاغتهم, إضافة إلى معلومات سياسية واقتصادية واجتماعية, **ككتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (تـ356هـ/967م)** , وقد جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيّامهم ودولهم، أثنى عليه ابن خلدون بأنه " لا يُعْدَل به كتاب في ذلك " [7] . ترجم الأصبهاني لأغلب الشعراء والمغنين,

---

[1]. ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ4, ص38,37.
[2]. بشار معروف, الذهبي ومنهجه, ص270.
[3]. الذهبي، تاريخ الإسلام، جـ5، ص5.
[4]. ن. م. جـ11, ص17.
[5]. ن. م. جـ12، ص25.
[6]. ن. م. جـ11, ص21.
[7]. ابن خلدون، المقدمة، ص613.

ويبدو أن هذا ما يتلاءم مع ميوله، إذ يصفه ابن النديم بأنه " كان شاعراً مصنفاً أديباً "[1]. وفي الكتاب أيضا مادة للحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الإسلامي[2], يندر مثيلها في مصدر آخر. والمتصفح له يجد أنه لا يكاد يخلو مجلّد منه من حديث عن البرامكة, من خلال ذكر الروايات والحوادث التي تتصل بأحد أفراد هذه الأسرة, وخاصة وأن سياستهم تقوم على تقريب الشعراء والكتّاب, وإغداق الأموال عليهم[3]. إلا أن المؤلف بالغ في الحديث عن مجالس الأنس التي كان يعقدها الرشيد، ويشترك فيها جعفر البرمكي[4] . ويحتوي الكتاب على مادة تاريخية قيّمة, ينفرد ببعضها, سيما في تناول سبب عزل جعفر البرمكي عن خراسان سنة180هـ/796م[5], كما تناول جانباً من الصراع بين التيارين العربي والفارسي[6], ويورد تفاصيل عنه. وتناول الأصبهاني سقوط البرامكة, وصوّره بالنكبة. ويظهر اندفاع المؤلف في أنه ينسب للرشيد بعض الأقوال التي تظهر الندم عليهم [7]، ومع ذلك لا يذكر قصة العباسة بين أسباب نهايتهم. والكتاب يمثل مصدراً أساسياً للشعر الذي قيل في البرامكة [8]

وكتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (تـ255هـ/868م) , فهو كتاب أدبي بالدرجة الأولى، وإن احتوى على مادة تاريخية واسعة، وهو أصل من أصول الأدب كما قال عنه ابن خلدون [9] . احتوى على كثير من الأشعار والأقوال البليغة للخلفاء والوزراء والأدباء. ويبدو إعجاب الجاحظ ببلاغة البرامكة، إذ يورد مجموعة أقوال ليحيى البرمكي ولابنه جعفر[10], إضافة إلى مجموعة من الأشعار في مدح البرامكة [11], ويندر أن ترد أبيات شعرية

---

(1). ابن النديم, الفهرست, ص166.
(2). الأصبهاني, الأغاني, جـ2, ص336.
(3). ن. م. جـ23, ص155، جـ18, ص228. جـ5, ص180,175.
(4). ن. م. جـ14,ص119، جـ18,ص220.
(5). ن. م. جـ18, ص225,224.
(6). ن. م. جـ11, ص95.جـ5, ص166,114.
(7). ن. م. جـ18، ص303.
(8). ن. م. جـ16, ص245.
(9). ابن خلدون، المقدمة، ص612.
(10). الجاحظ, البيان والتبيين, جـ 1, ص115,106,105.
(11). ن. م. ص354،355.

تسيء لهم أو تهجوهم, باستثناء ما ورد في اتهامهم بالزندقة[1]. والكتاب لا يحوي معلومات عن دور البرامكه زمن الرشيد.

وكتاب **العقد الفريد لابن عبد ربه (تـ 328هـ/939م)** , يقول المؤلف عن نهجه " وقد ألّفت هذا الكتاب, وتخيّرت جواهره من مُتخيَّر جواهر الآداب, ومحصول جوامع البيان "[2]. لم يستخدم ابن عبد ربه الإسناد إلا نادراً، إذ يقول " وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلباً للاستخفاف والإيجاز "[3] . تناول ابن عبد ربه موضوع البرامكة وأفرد له عنواناً: (أخبار البرامكة) [4], إذ يقف على بلاغتهم, ويبالغ في إيراد بعض ما قيل عن كرمهم, ويبدي إعجابه بهم. ويعطي المؤلف السبب المالي أهمية خاصة لنهاية البرامكة، ويظهر أنه ينقل عن الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، فيما يتعلّق بالبرامكة [5] . ويُكثر ابن عبد ربه من إيراد الأشعار التي تظهر مدى الحزن الذي أصاب بعض الشعراء لفقدهم البرامكة[6].

وطبقات الشعراء لعبد الله بن محمد بن المعتز (تـ296هـ/ 909م), من أهم المصادر الأدبية, ويبحث في تراجم الشعراء, ويعرض ألواناً من أشعارهم, إذ كان ابن المعتز على إطلاع واسع على الأدب والشعر، ويثني عليه ابن النديم بأنه كان " واحد دهره في الأدب والشعر, وكان يقصد فصحاء الأعراب, ويأخذ عنهم, ولقي العلماء من النحويين والإخباريين "[7]. يتضمن الكتاب نشاط البرامكة الثقافي, إذ يتعرض للمجالس الفكرية والأدبية[8], ويحوي الكثير من الأشعار التي نظمت في البرامكة, لشعراء كانوا منقطعين إليهم [9]. ويقدم وصفاً لما كان عليه البرامكة من ترف

---

(1). الجاحظ, البيان والتبيين, جـ1، ص105،106،107، جـ3, ص350.
(2). ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ5, ص2.
(3). ن. م. جـ5, ص3.
(4). ن. م. جـ5، ص58-60.
(5). ن. م. جـ5, ص61.
(6). ن. م. جـ5, ص70-73.
(7). ابن النديم, الفهرست, ص169,168.
(8). ابن المعتز, طبقات الشعراء, ص421.
(9). ن. م. ص 203, 204, 217.

ونعيم[1]. ويحوى طبقات الشعراء روايات تاريخية تتصل بالحقل السياسي, أبان فيها اتساع سلطة البرامكة زمن الرشيد. ومن جهة أخرى لا يرى ابن المعتز أن الرشيد ارتكب ذنباً عند الإيقاع بالبرامكة[2].

وكتاب **معجم الشعراء لمحمد بن عمران المرزباني (تـ384 هـ/994م)** , ويبدو مؤلفه متحمساً للبرامكة, بحكم أنه فارسي الأصل، إذ يترجم لعدد من الشعراء الذين كانوا على صلة بهم, ويظهر الثناء عليهم[3]. ومعجم الشعراء مصدر للعديد من المؤرخين, أمثال ياقوت الحموي (تـ463هـ/1070م) في معجم البلدان, وابن خلكان (تـ681هـ/1282م) في وفيات الأعيان , والكتبي (تـ764هـ/1362م) في عيون التواريخ [4]. ومراجع المرزباني كثيرة, منها كتاب محمد بن داوود بن الجراح[5], وحماسة أبي تمام, والصولي[6], والزبير بن بكار[7]، إضافة إلى الأصبهاني [8] . ويحوي الكتاب معلومات قليلة عن حياة بعض الشعراء الذين ترجم لهم[9], إذ يغلب عليه الطابع الأدبي، ويندر أن تجد فيه معلومات سياسية كطبقات الشعراء لابن المعتز. ويبدو إعجاب المؤلف بالبرامكة بذكر محاسنهم, وبتحامله على الكتلة العربية, إذ ينعت الفضل بن الربيع بالكِبر والجَبْريَّة[10] .

وتناول **ابراهيم بن محمد البيهقي (تـ320هـ/932م)** في مصنفه **المحاسن والمساويء**, موضوعات تاريخية وأدبية واجتماعية، أبان المؤلف محاسن النبي صلى الله عليه

(1). ابن المعتز, طبقات الشعراء, ص209, 210, 213- 225 .
(2). ن. م. ص256, 257.
(3). المرزباني, معجم الشعراء, ص490,488,487,32.
(4). ن. م. مقدمة المحقق، ص ز.
(5). ن. م. معجم الشعراء, ص59,56,33,26,5.
(6). ن. م. ص220,119,107,33,31.
(7). ن. م. ص325,323,283,75,36.
(8). ن. م. جـ1، ص183.
(9). ن. م. ص317,237.
(10). ن. م. ص182.

وسلم والخلفاء الراشدين [1]. ثم انتقل إلى مسائل اجتماعية, كالحديث عن محاسن ومساوئ الوفاء, والحجاب, والكرم, والفقر[2], ومحاسن ومساوئ الرجال. ثم تناول البلاغة والأدب والمناظرات الأدبية ومحاسن الشعراء ومساوئهم[3]. يبدي البيهقي تعاطفاً مع البرامكة, ويُكثر الحديث عن كرمهم, ويقول " وكان للبرامكة في هذا الشأن ما لم يكن لأحد من الناس منها ", إذ يتحدث عنهم تحت عنوان(محاسن السخاء)[4]. ويقدم البيهقي مادة أدبية وشعرية، قلّما ترد في مصدر آخر, وهو يثني على سياسة الفضل بن يحيى في خراسان سنة 178هـ/794م. هذا إلى أنه جهد في أن يقدّم عرضاً واسعاً لنهاية البرامكة, واندفع في إظهار الآثار السلبية لما ارتكبه الرشيد بحقهم[5].

ـ الكتب الفارسية

وتناولت بعض المصادر الفارسية البرامكة، وأبرزها **زين الأخبار لابن الضحاك الكرديزي (تـ442هـ/1050م)** . تناول تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عصر المؤلف [6], وهو متنوع الجوانب, ففيه التاريخ والآثار, والأعياد والتقاليد, والأنساب والمعارف [7]. ابتدأ الكرديزي كتابه بالقصص القديمة عن فارس، ويظهر وفاءه للعقيدة الإسلامية في تلك العبارة التي ختم بها حديثه عن يزدجرد " وبه اختتمت مملكة العجم, واستولى المسلمون على إيرانشهر, وهي لا تزال في أيديهم حتى الآن وستظل كذلك حتى يوم القيامة بمنّة الله تعالى " [8]. ثم يتناول بشيء من التركيز أحداث التاريخ الإسلامي حتى الخليفة القائم بأمر الله (تـ467هـ/1074م). لم يتناول الكرديزي أسرة البرامكة في بلخ ، بينما أكثَر الحديث عن دور يحيى البرمكي في وصول الرشيد

---

[1]. البيهقي, المحاسن والمساويء, ص18-50.
[2]. ن. م. ص100-200.
[3]. ن. م. ص396-440.
[4]. ن. م. ص185-193.
[5]. ن. م. ص 535.
[6]. الكرديزي، زين الأخبار، ص10.
[7]. ن. م. ص28،31،42،47.
[8]. ن. م. ص107.

للخلافة [1]. ويظهر تعاطف الكرديزي مع البرامكة في حديثه عن نهايتهم[2], ويعتبر قصة العباسة السبب الرئيس لسقوط البرامكة[3].

ولم يكن **أبو الفضل محمد بن الحسين البيهقي (تـ470هـ/ 1077م) في تاريخه** , أقل تعاطفاً مع البرامكة من الكرديزي. كان البيهقي على صلة مباشرة بالشؤون العامة، إذ عمل في ديوان الإنشاء زمن السلطانين محمود الغزنوي ومسعود, ثم تولّى رئاسة ديوان الإنشاء في عهد عبد الرشيد (تـ445هـ/ 1053م), فهو رجل إدارة بالدرجة الأولى، ومن المحتمل أن هذا الوضع هو الذي دفعه إلى تأليف كتابه هذا, الذي يثني عليه بارتولد بالقول: إنه ليس تاريخاً لدولة أو بلد, إنما هو حديث رجل سياسي عن حياة الملوك الذين عمل معهم, وعما كان يجري في الشؤون الداخلية والخارجية[4]. قدّم البيهقي معلومات من الوثائق التي كانت في حوزته، أو مما سمعه من الوزير أو رئيس الديوان، كقوله " وسمعت من أبي منصور المستوفى, وهو الثقة الأمين الذي لا يحيد عن الحق في عملة قيد شعره "[5]. ويذكر أحياناً كتباً أخذ عنها، مثل كتاب محمود الوراق [6] " وقد شرح كل هذه الأحداث الأستاذ محمود الوراق في تاريخه الذي ألّفه في سنة خمسين وأربعمائة ". ويكثر المؤلف من ذكر القصص إذ يقول بعد إيرادها " وهذه الأقاصيص, ولو أنها بعيدة عن التاريخ, فإن هذا جرى على ذكر أن فلاناً السلطان قد بعث القائد فلاناً للحرب, وإن يوم كذا جرت المعركة, أو تم الصلح... ولكني أكتب ما أراه واجب التدوين, وإني أذكرها ومثيلاتها, ولو أنها تطيل كتابي, فإنها ذات فوائد والسلام "[7]. وأحياناً يفرد عناوين خاصة لذلك " حكاية جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي"[8]. يعطي البيهقي دوراً واضحاً للبرامكة في بناء الدولة العباسية [9]،

---

[1]. الكرديزي, زين الأخبار , ص109.
[2]. ن. م. ص111.
[3]. ن. م. ص112.
[4]. بارتولد, دائرة المعارف الإسلامية, مادة (البيهقي) , مج 4, ص424.
[5]. البيهقي، تاريخ، ص757,437.
[6]. ن. م. ص76،287،437،757.
[7]. ن. م. ص447,375,374,275.
[8]. ن. م. ص722.
[1]. البيهقي، تاريخ، ص722.

وينتقد سلوك الخليفة في حبه للمال, وتقريبه الولاة الذين يرهقون الناس بجمعه ظلماً, وبذكر قصة يحيى البرمكي مع الرشيد حين ولى علي بن عيسى بن ماهان على خراسان, فجمع الأموال منها, وبعث الهدايا النفيسة للخليفة، التي يسهب البيهقي في تعدادها [1]. وتهجّم المؤلف على الرشيد في إيقاعه بالبرامكة, ووقف موقف المدافع عنهم .

تاريخ بخارى لأبي بكر محمد بن جعفر النرشخي (تـ348هـ/ 959 م) , تناول فيه أخبار ما وراء النهر قبل الإسلام, إضافة إلى فترة الفتوحات الإسلامية, وتحدّث عن بخارى زمن الأمويين [2]، وعن ولاية آل سامان ابتداءً من سنة 261هـ/874م [3]. والكتاب لا يخلو من معلومات عن المناطق المأهولة حول بخارى, وأساليب الحياة في بخارى, والعادات والتقاليد[4], غير أن المؤلف يخلط أحيانا الحقائق التاريخية بالروايات الأسطورية, ويروي أحاديث موضوعة عن بخارى وفضائلها [5] . تناول النرشخي أسرة البرامكة في مدينة بلخ, وحاول تمجيدها من خلال ربطها بالأسرة الساسانية[6] , وعاب على العرب حكمهم في خراسان خاصة بعد أن عيّن الرشيد علي بن عيسى بن ماهان والياً عليها سنة 183هـ/799م, وفي المقابل أثنى على دور الفضل بن يحيى سنة 178هـ/794م[7]. وجعل المؤلف من اتهام البرامكة بالزندقة سبباً لسقوطهم[8] .

ومن المؤلفات الفارسية المتأخرة **كتاب دستور الوزراء لغياث الدين بن همام الدين خواندمير (تـ942هـ/1535م)**, والكتاب يدور حول الوزارة، أبان فيه المؤلف أثر الوزراء في مجرى الأحداث في مختلف الدول. وهو في أغلب ما ذكر, يشير إلى مصادره " ذكر صاحب جامع

---

(2). ن. م. ص443,442.
(3). النرشخي, تاريخ بخارى, ص77.
(4). ن. م. ص105.
(5). ن. م. ص55,52.
(6). ن. م. ص41,33.
(7). ن. م. ص38.
(8). ن. م. ص75,74.
(9). ن. م. ص75.

الحكايات والتواريخ ", " ومن الثابت عند كبار المؤرخين "[1], " أورد الثقاة من الرواة "[2]. ويأتي المؤلف أحياناً، بعدة روايات حول الحادثة الواحدة, وله وجهة نظر فيما يذكر بالقول" والخلاصة"، " وجملة القول ", " والرواية الثانية أقرب إلى الصحة في نظري "، " ولكن من الموثوق بصحته " [3]. لكنه في الوقت ذاته أشار إلى بعض القصص دون إبداء رأي, إذ أشار إلى قصة إحدى الجواري وعلاقتها مع الرشيد كسبب من أسباب سقوط البرامكة[4]. تناول خواندمير البرامكة في بلْخ وأثنى على مكانتهم الدينية[5], وفي الكتاب تسجيل وافٍ لأوضاع البرامكة السياسية والدينية قبل إسلامهم، إلا أن الكتاب – كمصدر متأخر- لا يخلو من مبالغات حول إسلام برمك[6], وتناول المؤلف البرامكة زمن الرشيد وأفرد لهم عناوين خاصة " الوزير يحيى البرمكي "، " الوزير جعفر البرمكي "، " الوزير الفضل بن يحيى " [7]، ويبدو ميله إليهم، بإبراز أهميتهم في الدولة، بالتوسع في الحديث عن نهايتهم، واعتبرها مأساة للدولة [8]. ولخواندمير كتاب **حبيب السير** الذي تناول فيه الجوانب الإيجابية التي قام بها البرامكة منذ الدعوة العباسية[9], وأسهب في الحديث عنهم وعن صلاحياتهم, في إشارة إلى أن الرشيد كان يشغل معظم وقته بالحج والغزو واللهو. وقد جعل قصة العباسة، أهم أسباب تغير الرشيد على البرامكة, واندفع عندما تناول سقوطهم, وانتهى إلى أن خللاً أصاب الدولة بعدهم[10].

---

(1). خواندمير, دستور الوزراء, ص169،175،166.
(2). ن. م. ص169.
(3). ن. م. ص164،166،169،174،175،178.
(4). ن. م. ص171,170.
(5). ن. م. ص159.
(6). ن. م. ص162.
(7). ن. م. ص166،167.
(8). ن. م. ص175,170.
(9). خواندمير، حبيب السير , ص232.
(10). ن. م. ص241,228.

ـ القصص

روّجت لفترة الرشيد وللبرامكة قصص **ألف ليلة وليلة** ، وهي مجموعة متنوعة، وفي فترات مختلفة من القصص الشعبي. يتردد اسم الرشيد كثيراً في القصص، إضافة إلى جعفر البرمكي، ومسرور الخادم[1]. وقد عرضت القصص صورة مركَّبة للرشيد، بين حرصه على التعرف على أحوال الناس، بتجواله الدائم في الليالي ببغداد، وبين حياته في بلاطه، محاطاً بالجواري والندماء[2]، لذلك ظن البعض أن ألف ليلة وليلة كتبت بعد أيّامه بزمن قصير، مع أنها كُتبت بعده ، واكتملت في العصر المملوكي [3]. والقصص لا تذكر اسم الرشيد إلا وهو مقترن باسم جعفر البرمكي، الذي تقرنه بلقب الوزير[4]، في حين أنها لا تتعرض لأبيه يحيى إلا نادراً. ومن جهة أخرى يبدو جعفر أمام الرشيد، شخصية ضعيفة، مهدّدة بالموت لأتفه الأسباب[5]. وتحاول القصص نفي قصة العباسة ، بذكر قصة مشابهة، ولكن بطلتها دنيا ابنة يحيى بن خالد البرمكي، مع محمد بن علي الجوهري، فلما دخل عليها قالت " أنا السيّدة دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي، وأخي جعفر وزير الخليفة "[6] . وتُظهر القصص قدرة الرشيد على معرفة كل ما يدور حوله. وقلّلت الليالي من كرم البرامكة الشائع، من خلال ذكر بعض القصص لأشخاص يستجْدون الرشيد، كقصة الصيّاد[7]. والليالي مهّدت لسقوط البرامكة، فهي تذكر أن هارون الرشيد استدعى رجلاً من أعوانه يقال له صالح، قبل الوقت الذي تغيّر فيه على البرامكة، ثم أنه بدأ يقرِّب الأشخاص الذين لم يكونوا على صلة بالبرامكة، كما فعل حين عيّن عبدالله بن مالك الخزاعي والياً على أرمينية.

---

[1]. قصص ألف ليلة وليلة, جـ1, ص552 وما بعدها, 559 وما بعدها, 566 وما بعدها.جـ2, ص1095 وما بعدها, 1101 وما بعدها.

[2]. ن. م. جـ1, ص562 وما بعدها, 553 وما بعدها.

[3]. دائرة المعارف الإسلامية، مادة (ألف ليلة وليلة)، مج 2ص519.

[4]. قصص ألف ليلة وليلة, جـ1, ص555,191,183,180,87,82. جـ2, ص 1108-1110.

[5]. ن. م. جـ1, ص87 وما بعدها, 180 وما بعدها.

[6]. ن. م. جـ1, ص557.

[7]. ن. م. جـ1, ص86-90.

وهناك كتاب **إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس لمحمد بن دياب الأتليدي (تـ1100هـ /1688 م)** ، وهو كتاب قصصي متأخر جداً، تناولت قصصه فترة من تاريخ الدولة العباسية, مع تركيزها على فترة الرشيد, إذ يسترسل الأتليدي في تناول العلاقة بين الرشيد وبين جعفر البرمكي, بإسلوب أقرب إلى الخيال[1]؛ فهو يضع البرامكة في مرتبة عالية تكاد تتجاوز مرتبة الخلفاء [2]. وتتناول قصصه نهاية البرامكة بإسلوب مأساوي, وتعتبرها كارثة, أصابت الدولة العباسية وأسرة البرامكة[3]. ويَعتبر الأتليدي قصة العباسة، التي ترد عنده باسم (ميمونة)، أهم أسباب نهاية البرامكة [4] . ويبدو أن الهدف كان تشويه صورة العباسيين. ورغم غلبة الخيال والقصص، واضطرابها, إلا أنها روّجت للبرامكة في أدب القصة.

ـ الدراسات الحديثة

هناك كتاب **جميل نخلة المدور, حضارة الإسلام في دار الإسلام**, الذي وضع خطته على شكل رسائل, على لسان رحّالة فارسي مزعوم, طاف بغداد وبعض المدن الإسلامية في المائة الثانية للهجرة. يُبدي المؤلف تعاطفاً واضحاً مع البرامكة, من خلال الحديث عن سلطتهم, ومدى الإنجازات التي حققوها للدولة, إذ صوّر المدور الدولة قائمة بيحيى البرمكي, في حين صرف الرشيد أوقاته للهو[5]. وناقش المدور سقوط البرامكة, وأبان أن الدولة تراجعت بعدهم [6], ورأى أن أهم أسباب سقوطهم ميلهم للعلويين[7].

---

(1). الإتليدي, إعلام الناس, ص212 وما بعدها.
(2). ن. م. ص236،237.
(3). ن. م. ص212،224،254،256،257،258،259.
(4). ن. م. ص243.
(5). جميل المدور, حضارة الإسلام, ص 108.
(6). ن. م. ص305.
(7). ن. م. ص313.

وكان **Bouvat , Les Barmacides** من أوائل من ناقشوا موضوع البرامكة من الباحثين المحدثين[1], بدأ بالحديث عن أصول البرامكة[2], وناقش دورهم في عهد الرشيد بتفصيل, وأبان مدى الصلاحيات التي تمتعوا بها[3], لكنه اندفع في الحديث عنهم, فاعتبر يحيى البرمكي الآمر الناهي في الدولة . وأبدى بوفا تعاطفاً واضحا مع البرامكة, ورأى أن ما وصلت إليه الدولة العباسية من تقدم حضاري زمن الرشيد يعود إليهم [4]. وأثنى بوفا على سياسة الفضل بن يحيى في خراسان سنة 178هـ/794م [5]. استقى المؤلف مادته من مصادر فارسية وعربية، لكنه أكثَر من المصادر الفارسية التي أوردها في بداية الكتاب, كما اعتمد على قصص الأتليدي, واستشهد بنصوصها[6].

وتناول **العصر العباسي الأول للدوري** موضوع البرامكة تناول فيه التاريخ السياسي والإداري والمالي للعصر العباسي الأول. وتناول الدوري موضوع البرامكة، تحت عنوان (الرشيد والبرامكة) [7]، بحث فيه أصولهم وكيفية اتصالهم بالعباسيين، وناقش دور يحيى البرمكي وابنيه الفضل وجعفر، من خلال ذكر الروايات ونقدها وتحليلها. وناقش الدوري سقوط البرامكة بتفصيل[8]، ونظر للموضوع نظرة شمولية، إذ أورد جملة من الأسباب السياسية والمالية والاجتماعية، والتي أدّت مجتمعة إلى سقوط البرامكة. وأوضح أن نهايتهم لم تؤثر على واقع

---

(1). صدرت الطبعة الأولى من الكتاب سنة 1912م.
(2). Bouvat , Les Barmacides,p.25-35.
(3). Ibid, p.70-45.
(4). Ibid, p .47.
(5). Ibid,p.61.
(6). Ibid,p.77.
(7). الدوري, العصر العباسي الأول, ص121.
(8). ن. م. ص128.

الدولة، إذ أبدى الرشيد همّة في إدارة الدولة، على الصعيدين الإداري والعسكري[1]. وللدوري كتاب **النظم الإسلامية**، ناقش فيه مفهوم الوزارة: نشأتها وتطورها في العصر العباسي الأول، وأبان أن ذلك العصر، كان مسرحاً للتصادم بين الخلفاء ووزرائهم، لعدم وضوح سلطات الوزير أو تحديدها، وانتهى الأمر بتأكيد سلطة الخليفة[2]، وبيّن أن نظام الوزارة سار نحو الرسوخ زمن الرشيد، بعد استيزار يحيى البرمكي، الذي فوّض إليه سلطة واسعة، موضحاً أهم الصلاحيات التي تقلّدها يحيى وابناه الفضل وجعفر[3] ، ومع ذلك لم يكن الرشيد غافلاً عن تصرفات البرامكة، بل كان يراقبهم، حتى أخذ يحّد من صلاحياتهم. وأوضح الدوري أن الوزارة بلغت أوجها زمن المأمون، عندما أطلق يد وزيره الفضل بن سهل (ذو الرئاستين) في الأمور الإدارية والعسكرية الأمور[4].

أما كتاب **هارون الرشيد لعبد الجبار الجومرد،** فهو دراسة شاملة لحياة الرشيد وسياسته، كُتب بإسلوب أدبي. تناول المؤلف البرامكة بصورة شاملة حتى نهايتهم، التي يسميها النكبة. بدأ الجومرد حديثه عن أصول البرامكة ودورهم في الدعوة العباسية، باختصار [5]، ثم تناول البرامكة في عهد الرشيد، بتوسع، فتحدث عن صلاحيات يحيى البرمكي، ورأى أن يحيى البرمكي استطاع بحنكته إحكام النطاق حول الرشيد، بتقريب أبنائه منه [6]. ويبرز صلاحيات البرامكة تحت عنوان " وزراء في حالة ملوك "، ويوضح أن ما أعطي من صلاحيات للبرامكة في السنوات الأولى، يعود إلى صغر سن الرشيد، وقلّة خبرته السياسية [7]. ويرى الجومرد أن يحيى البرمكي تمتع بصلاحيات مطلقة زمن الرشيد، وأنه كان وزير تفويض [8]، ويطلق لقب وزير تنفيذ على كل من ابنيه الفضل وجعفر، وإن لم يكونا كذلك، ويثني على شخصية جعفر البرمكي. ويناقش الجومرد

---

(1). الدوري, العصر العباسي الأول, ص136.
(2). الدوري، النظم، ص218.
(3). ن. م. ص223,222.
(4). ن. م. ص225,224.
(5). الجومرد، هارون الرشيد، ص69.
(6). ن. م. ص122.
(7). ن. م. ص366.
(8). ن. م. ص280.

ولاية العهد بتفصيل، ويعطي دوراً لجعفر البرمكي في تقديم المأمون [1]، ويذهب إلى أن يحيى البرمكي كان يميل إلى المأمون. ويناقش الجومرد نهاية البرامكة، التي في نظره تعود لأسباب مالية وعنصرية وسياسية، وأوضح أن ما قيل في العباسة، كان على لسان العامة من أهل بغداد، بعد إيقاع الرشيد بالبرامكة، ولا أساس له من الصحة [2]. ويربط بين سقوطهم وبين الجيش الذي أنشأه الفضل بن يحيى في خراسان سنة 178هـ/794م، واعتبره انقلاباً مسلحاً ضد الخلافة [3]. ويرى أن الرشيد أصبح أكثر اهتماماً بأمور الدولة بعد سقوط البرامكة، وأنه أبدى همّة في القضاء على ثورة رافع بن الليث في خراسان سنة192هـ/807م.

Sourdel, Le Vizirat Abbaside, الوزارة العباسية لسورديل، هو دراسة جادة عن الوزارة في العصر العباسي، حتى عام 324هـ/935م، تحدث فيه عن الوزارة البرمكية, فتناول أصول البرامكة باختصار[4], وناقش استيزار الرشيد ليحيى البرمكي ودوره, وما تمتع به ابناه الفضل وجعفر من صلاحيات, وأطلق عليهما لقب وزير [5]. وأولى سورديل أهمية كبيرة لإعطاء الرشيد الخاتم إلى يحيى ثم إلى ابنيه الفضل وجعفر, وناقش ذلك بتفصيل, معتبراً ذلك دليلاً على السلطة الواسعة التي تمتع بها البرامكة[6]. وأوضح سورديل أن سقوط البرامكة سبقته ممهدات بدأت منذ وفاة الخيزران سنة 173هـ/789م , وتعرض لقصة العباسة , ولم يتوسع فيها, واعتبرها

---

(1). الجومرد، هارون الرشيد، ص341.
(2). ن. م. ص 380.
(3). ن. م. 378 - 390.
(4). Sourdel, Le Vizirat Abbaside ,p.127-133.
(5). Ibid,p.136.
(6). Ibid,p.136-138.

أسطورة لا أساس لها من الصحة[1], وأعطي سورديل أهمية كبيرة للسبب المالي في سقوط البرامكة, إضافة إلى ميولهم الفارسية, وتقريبهم عائلة بني سهل[2].

وأولى **جويتاين في كتابه دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية**, الوزارة اهتماماً واضحاً, إذ عرض لمفهومها ودلالاتها, وناقش نشأتها بتفصيل. ويرى جويتاين أن يحيى البرمكي أول وزير تمتع بصلاحيات عدة, فاستقر منصب الوزارة لفترة طويلة[3], وأصبحت الوزارة وزارة تفويض ، وأن جعفراً البرمكي لم يحصل على هذا المنصب إلى جانب أبيه يحيى [4]. ويعتبر جويتاين فترة وزارة البرامكة أهم مراحل الوزارة في العصر العباسي الأول, ويبيّن أن الرشيد استوزر بعدهم الفضل بن الربيع, مع أن جلّ المصادر الأولى لا تذكر ذلك صراحة, ومع ذلك يرى أن الفضل بن الربيع, كان بعيداً أن يكون وزير تفويض[5]. ومن جهة أخرى لا يناقش جويتاين أسباب سقوط البرامكة .

ومن الدراسات الحديثة ما كتبه **Tayeb EL-Hibri, Reinterpreting Islamic Historiography** ، الذي عرض لدور البرامكة زمن الرشيد، وأبان ما كانت تتمتع به أسرة البرامكة من صلاحيات [6]. ينتقد المؤلف الرشيد وسياسته، ويظهره منصرفاً للهو، ومبذراً في إنفاق الأموال، في حين أن يحيى البرمكي، كان يخصص الهبات للعلماء [7]. سار المؤلف وراء الروايات التي تندّد بالأمين، وهو يرى أن زبيدة كان لها الفضل في تقديم ابنها لولاية العهد على أخيه

---

(1). Sourdel, Le Vizirat Abbaside,p .167.

(2). Ibid,p.171-179.

(3). جويتاين, دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية, ص97.

(4). ن. م. ص100.

(5). ن. م. ص101,100.

(6). Tayeb EL-Hibri, Reinterpreting Islamic Historiography, p.39.

(7). Ibid,p.43 .

المأمون [1]. وناقش اتجاه البرامكة الديني، ونفى اتهامهم بالزندقة، على اعتبار أن يحيى البرمكي كان يقوم بالشعائر الإسلامية من خلال ذهابه المتكرر إلى الحج [2]. وتعرض المؤلف لنهاية البرامكة، وأفرد لها عنواناً خاصاً، لأنه يرى أنها لم تناقش بموضوعية، وأنه قد أسيء الحكم على البرامكة [3]، وأرجع نهايتهم إلى أسباب سياسية ودينية وعنصرية، ويرجّح أن تكون الوشاية من الأسباب الرئيسة التي ألـّبت الرشيد عليهم[4] . وهو لا ينفي قصة العباسة، ولا يتردد في الأخذ من القصص، ومن بعض المصادر المتأخرة، ويعتبر القصة حقيقية[5]. ومن جهة أخرى فهو يرى أن سقوط البرامكة، أدى إلى تراجع الدولة العباسية[6]، ومن الشواهد على ذلك برأيه، ما أصاب خراسان، التي أصبح فيها الأشراف أكثر استعداداً للثورة، بعد أن استقر وضعها زمن الفضل بن يحيى سنة 178هـ/794م. وقد فصل في الحديث عن سياسة الفضل، وبالمقابل يعيب على علي بن عيسى بن ماهان ولايته لخراسان سنة 183هـ/799م [7]. اعتمد المؤلف على المصادر الفارسية في إظهار الضعف الذي أصاب خراسان بعد الفضل بن يحيى. ويرى أن نهاية البرامكة، كانت مأساوية.

ـ النقود

---

(1). Tayeb EL-Hibri, Reinterpreting Islamic Historiography,p.42,43 .

(2). .Ibid,p.45.

(3). Ibid,p.45.

(4). Ibid ,p.46.

(5). Ibid,p.44.

(6). Ibid , p.33.

(7). Ibid,p. 54.

تعتبر النقود من المصادر المهمة في دراسة التاريخ, إذ تعطي معلومات هامة عن نوع العملة ومكان الضرب, والوزن, إضافة إلى اسم الخليفة والأمير، التي ضربت في عهده, ويستفاد منها في تتبع الأحداث السياسية. ومن سجلات النقود، **كتاب النقود العربية الإسلامية لمحمد العش**, الذي بيّن أن الدينار العباسي ظل مغفلاً من مكان الضرب, ومن اسم الخليفة, في عهود السفاح, والمنصور, والمهدي, والهادي, وأكثر دنانير الرشيد والأمين[1]. ويلاحظ أن اسم الرشيد ظهر على الدينار منذ توليه الخلافة سنة 170هـ/786م[2], ويبدو ذلك لتمييزه عن دينار الهادي المضروب سنة170هـ/786م. وذكرأن اسم المدينة لم يكن يظهر باستمرار, وأن ظهوره بدأ في عهد الرشيد, ثم ظهر بشكل متقطع في عهد المأمون, وثبت أخيراً في عهد المعتصم (تـ227هـ/841م)[3]. وتُظهر الكتابات أن أول ظهور لأسماء الولاة كان بين سنتي 169هـ/785م - 171هـ787م , إذ ظهر اسم علي بن سليمان بن علي, على الدنانير المضروبة في مصر في تلك السنوات, ثم توالى ذكر أسماء ولاة مصر بعد ذلك[4]. أما الفلوس العباسية, فيغلب عليها ذكر اسم الخليفة, واسم المشرف على الضرب منذ عهد المنصور[5] . وظهر اسم (جعفر) البرمكي على النقود في السنوات176هـ/792م - 186هـ/802م [6] . ويلاحظ أنه منذ سقوط البرامكة 187هـ/802م, إلى سنة وفاة الرشيد 193هـ/808م, ظهر اسم (الرشيد) على النقود, دلالة على أنه لم يعهد لأحد بعد جعفر البرمكي بالإشراف على السكة[7].

وأبان **Lane Poole, Catalogue of Oriental Coins**, أن اسم (جعفر) البرمكي, ظهر على النقود منذ سنة 176هـ/792م[8], وأن اسمه ظهر على النقود في المحمدية حتى

---

(1). محمد العش, النقود العربية الإسلامية, جـ1, ص31.
(2). ن. م. جـ1, ص226.
(3). ن. م. جـ1, ص217.
(4). ن. م. جـ1, ص33.
(5). ن. م. جـ1, ص37.
(6). ن. م. جـ1، ص230 - 232.
(7). ن. م. جـ1, ص235,232.
(8). Lane Poole, Catalogue of Oriental Coins ,p.63

سنة 185هـ/801م[1], وأن لقب (الخليفة) بدأ بالظهور على النقود بعد سقوط البرامكة سنة 187هـ/802م[2]. وأعطت النقود صورة أكثر وضوحاً عن منزلة محمد الأمين, فقد ظهر اسمه على الدراهم المضروبة في المحمدية منذ سنة 172هـ/788م, كإسلوب للتنويه به، وإشهار اسمه أمام الناس. وظهر اسمه بمدينة بلْخ سنة 182هـ/798م, كما ظهر اسم (المأمون) في نفس المدينة، بعد ولايته للعهد سنة 183هـ/799م[3]. وظهر لقب (الإمام) للمأمون سنة 195هـ/810م على العملة المضروبة في هَرَاة [4] التابعة له ادارياً، وهو أمير على خراسان والمشرق، وقبل أن يتولى الخلافة رسمياً. ويبدو أن ذلك كان رداً على أخيه الأمين، بعد أن حصل الخلاف بينهما على ولاية العهد بعد الأمين, ثم تحول بعد سنة 195هـ/810م صراعاً على الخلافة.

أما كتاب **Lavoix, Catalogue des Monnaies Musulmanes** , فقد أظهر أن أسماء الولاة والمشرفين على ضرب النقود, ظهرت أكثر على الدراهم العباسية[5], وأن اسم (جعفر) البرمكي ظهر آخر مرة على النقود المضروبة في مصر سنة 186هـ/802م[6], وأن اسمه ظهر في المحمدية ومدينة السلام, إضافة إلى مدينة زَرَنْج , ومدينة الرَي[7]. مما يدل على أن اسمه ظهر في أقاليم عدّة من بلدان الخلافة .

---

(1). Lane Poole Catalogue of Oriental Coins , p.78,79.

(2). Ibid, p.66.

(3). Ibid ,p.70,76,77.

(4). Ibid,p.90.

(5). Lavoix, Catalogue des Monnaies Musulmanes ,p180.

(6). Ibid, p.199.

(7). Ibid , p.185,186 .

الفصل الأول

أسرة البرامكـــة

- أصول البرامكة

- البرامكة والدعوة العباسية

- البرامكة في الدولة العباسية قبل الرشيد

  - عهد السفاح

  - عهد المنصور

  - عهد المهدي

  - عهد الهادي

ـ أصول البرامــكة

البرامكة أسرة فارسية من بَـلْـخ [1], وكانوا أهل شرف فيها قبل ملوك الطوائف [2] . وهم كانوا سدنة النوبهار[3]. ويرى بارتولد أن النوبهار كلمة سنسكريتية مكونة من مقطعين (نوفا) وتعني الجديد, و(فيارا) وتعني الدير, وبذلك يكون النوبهار بمعنى الدير الجديد[4].

والمعلومات عن النوبهار قليلة ومرتبكة, فيُذكر عنه أنه من البيوت المعظمة عند الأمم [5], وأنه من أعلى المباني تشييداً [6]. " وحول أروقته ثلاثمائة وستون مقصورة يسكنها خدُّامه وقوَّامه "[7]. وكان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود بعدها إلى الخدمة حولاً كاملاً. وكانت الأعلام تنصب على قبته[8], ويلبَّس بالحرير الأخضر من الجوانب الأربعة[9].

---

(1). بلخ إحدى المراكز الأربعة لخراسان وهي ,نيسابور, ومرو, وهراه, وبلخ. انظر, اليعقوبي, تاريخ,جـ1, ص 538, نفسه, البلدان, ص 116. ابن الفقيه, البلدان, ص 607. ابن رسته, الأعلاق النيفسة. ص 287. الطبري , تاريخ, جـ 1, ص 538. الجهشياري, الوزراء, ص 2. الاصطخري, مسالك الممالك , ص 208. الثعالبي, لطائف المعارف, ص 16. ياقوت الحموي , معجم البلدان, جـ 5, ص 479. ابن الاثير, اللباب, جـ 1, ص 172. البغدادي, صفي الدين, مراصد الاطلاع, جـ 3, ص 393. الحميري, الروض المعطار, ص 96. بارتولد تركستان, ص 162. لسترانج, بلدان الخلافة الشرقية , ص 81.

H.Ā.p.108

F. Omer, (Barmakids), E.B, vol,1, p. 901,902.

(2). انظر، ابن قتيبة, المعارف, ص 656. اليعقوبي, تاريخ, جـ 1, ص 158. ابن الفقيه, البلدان, ص 406. ياقوت الحموي, معجم البلدان, جـ 5, ص 307. بوخنر, دائرة المعارف الإسلامية, مادة (ساسان) , مج 11, ص 48.

(3). اليعقوبي, البلدان, ص 287. ياقوت الحموي, معجم البلدان, جـ 5, ص 307.

(4). بارتولد, تركستان, ص 62.

(5). ابن فضل الله العمري, مسالك الأبصار, جـ 1, ص 223.

(6). ابن جبير, رحلة ابن جبير, ص 54.

(7). الزمخشري, ربيع الأبرار, جـ 1, ص 185.

(8). لسترانج, بلدان الخلافة الشرقية, ص 463.

(9). ابن جبير, رحلة ابن جبير, ص 54.

ويبدو أن هذا الوصف قصصي فيه تهويل من نسج الخيال, حتى أنه يتعذَّر استخلاص صورة واضحة للبناء[1] . وجاء في كتاب أخلاق الملوك (القرن الثالث الهجري) أن النوبهار كان له حرمة كبيرة لدى أتباعه [2].

أما طبيعة النوبهار كمعبد, فيُذكر عنه أنه مكان لعبادة الأصنام, كما يتضح من رواية ابن الفقيه (تـ290 هـ/902م) [3], والقزويني الذي يقول " وكان بها - بَـلـْخ- النوبهار وهو أعظم بيت من بيوت الأصنام" [4].

ويرد في مصادر متأخرة أن النوبهار بيت من بيوت النار؛ فابن خلكان (تـ681/ 1282م) يقول" هو - النوبهار- معبد كان للمجوس بمدينة بَـلـْخ, توقد فيه النيران ...." [5], ويذكر خواندمير(تـ942هـ/1535م) أن والد خالد بن برمك كان في بداية الأمر مجوسياً [6], و كان يعبد النار[7], وشكك بارتولد في اعتبار النوبهار مكاناً لعبادة النار, ورأى أنه معبد بوذي [8].

والأرجح أن النوبهار كان معبداً بوذياً, كما يُفهم من أقوال ابن الفقيه والقزويني, كما أن الفضل بن يحيى هدم جزءاً منه وبنى مكانه مسجداً، عندما ولي خراسان في عهد الرشيد سنة 178هـ/794م[9]. يقول ابن خلكان (تـ781هـ/1282م) " فعندما ولي الفضل بن يحيى خراسان, أراد هدم النوبهار, فلم يقدر عليه لاحكام بنائه, فهدم منه ناحية وبنى فيه مسجداً " [10]. فلا ينتظر أن

---

[1]. هارتمان , دائرة المعارف الإسلامية, مادة(بلـْخ), مج 7, ص 79.
[2]. محمد بن الحارث الثعلبي (من علماء القرن الثالث الهجري) ، أخلاق الملوك (المنسوب للجاحظ سابقاً)، تحقيق، جليل العطية، بيروت، دار الطليعة، نيسان، 2003م, ص 117.
[3]. ابن الفقيه, البلدان, ص 607.
[4]. القزويني, آثار البلاد, ص 331.
[5]. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ 6, ص 2.
[6]. انظر, المسعودي,.مروج, جـ 3, ص 239, ابن طباطبا , الفخري, ص 156.
[7]. خواندمير, حبيب السير, ص 232, نفسه. دستور الوزراء, ص 159.
[8]. بارتولد , تركستان, ص 204.
[9]. اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص407. الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد, جـ 12, ص 332.
[10]. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ4, ص 29.

يهدم الفضل بيتاً للنار لوجود المجوس, ويبدو أن الروايات المتأخرة التي ربطت النوبهار بعبادة النار, حاولت إعطاء البرامكة نسباً فارسياً لإعلاء شأنهم ورفع منزلتهم.

وظهرت حول النوبهار قصص وأساطير عظَّمت من شأنه, كما يرد عند القزويني، الذي يذكر أن ملوك الهند والصين كانوا يحجون إليه, فهو بمثابة الكعبة عندهم [1], وأورد ياقوت (تـ826هـ/1230م) قصصاً تعلي من شأن النوبهار, ومكانته الدينية, وصلت إلى حد الأسطورة, ويذهب إلى القول, أن ملوك الهند والصين حشدت جيوشها لقتال برمك سادن النوبهار، الذي تخلى عن مكانة النوبهار الروحية عندما أسلم أثناء فتح بَلْخ، في عهد عثمان بن عفان [2].

ومع ذلك فهذه القصص تشعر بأن النوبهار كان معبداً بوذياً. ولم تخرج مثل هذه الروايات عن نطاق القصص التي دخلت الموروث الشعبي للفرس.

يذكر الزمخشري (تـ538 هـ/1140م) أن النوبهار بناه أجداد البرامكة [3]." ونوبهار بلخ بناءٌ للبرامكة" [4], غير أن هذا لا يعني بالضرورة أنهم أقاموا هذا البناء, فقد نسبه اليعقوبي (تـ284هـ/897م) إلى منوشهر الهندي [5]. ويظهر أن تولي البرامكة سدانة النوبهار لفترة طويلة جعلت البعض ينسب بناءه إليهم.

وبجوار النوبهار كانت منازل البرامكة [6], ولا توجد معلومات عن مساحة البناء غير ما يرويه ياقوت الذي انفرد بالقول أنها" سبعة فراسخ في مثلها" [7], ويقدِّرها بارتولد بحوالي 740

---

[1]. القزويني, آثار البلاد, ص 331.
[2]. ياقوت الحموي, معجم البلدان , جـ 5, ص 308.
[3]. الزمخشري , ربيع الأبرار, جـ1، ص 204.
[4]. يشير ياقوت إلى نوبهار آخر قرب الري, انظر, ياقوت الحموي, معجم البلدان, جـ5, ص 307.
Sourdel, (AL-Baramika) ,E . I , (2),vol.I,p,1034.
[5]. اليعقوبي, البلدان, ص 287 .الحميري, الروض المعطار, ص 584.
[6]. اليعقوبي, البلدان, ص 288.
[7]. ياقوت الحموي, معجم البلدان , جـ 5, ص 308.

ميلاً مربعاً [1]. ويبدو أنها لم تكن تضم البناء وحده, بل كانت تشمل الأراضي التي كانت تابعة له, وظلت هذه الأراضي أو جزءاً منها في حوزة هذه الأسرة إلى عهد متأخر [2]. و يذكر ابن الفقيه (تـ290/ 902م) " أنه كان للنوبهار وقوف كثيرة, وضياع عظيمة, سوى ما يحمل إليه من الهدايا" [3]. ولم نجد في المصادر ما يشير إلى الفترة التي بقيت فيها الأملاك التابعة للنوبهار في حوزة البرامكة.

يرى بارتولد أن العرب عند دخولهم بلخ خرَّبوا النوبهار[4], استنادا إلى ما يرويه البلاذري (تـ279هـ/892م)، الذي يذكر أن عامر بن قيس السلمي, عندما سار إلى بلخ " أخرب نوبهارها" [5], ووفقاً لما يرويه الطبري (تـ310هـ/922م)، فان الأمير نيزك الذي انضم إلى قتيبه بن مسلم أثناء فتح خراسان سنة86هـ/705م, لما دخل بلخ سنة 90هـ/708م أتى النوبهار وصلى فيه[6], مما يدلل على بقاء النوبهار وعبادة الأصنام. و يتضح أن هذا البناء ظل قائماً حتى فترة الرشيد, عندما أراد الفضل بن يحيى هدمه سنة 178هـ/794م. وبذلك فقد النوبهار مكانته الدينية, وقال بعض الشعراء [7] :

أوحش النوبهار من بعد جعفر[8]   و لقد كان بالبرامك يَعمُر

ينتسب البرامكة إلى بَرْمك, وهو إشارة لمنصب لا لشخص من يتولى سدانة النوبهار يقول ابن الفقيه (تـ290هـ/902م) " وكانوا يسمون السادن الأكبر برمكاً... فكان كل من ولي منهم السدانة يُسمى برمكاً " [9]. ويقول المسعودي (تـ346هـ/957م) وكان المعظَّم الموكَّل بسدانته

---

[1]. بارتولد , تركستان, ص 112.
[2]. بارتولد, دائرة المعارف الإسلامية , مادة(البرامكة)، مج3, ص492.
[3]. ابن الفقيه, البلدان, ص618.
[4]. بارتولد, تركستان, ص 162.
[5]. البلاذري, فتوح البلدان, ص244.
[6]. الطبري, تاريخ, جـ6, ص446.
[7]. ابن الفقيه, البلدان, ص445.
[8]. هذا اسم والد خالد بن برمك,انظر, خواندمير, حبيب السير, ص233. نفسه, دستور الوزراء, ص159.
[9]. ابن الفقيه, البلدان, ص 617. القزويني, آثار البلاد, ص 331. ياقوت الحموي، معجم البلدان,جـ5، ص307.

– أي النوبهار- يدعى البرمك, وهذه سمة عامة لكل من ولي سدانته ..." [1] . والسادن هذا هو الذي يتولى الإشراف على المعبد, ويتولى أموره ونفقاته, فقد كان له حرية التصرف فيها كما يذكر ابن الفقيه" وسائر ذلك مصروفة إلى البرمك الذي يكون عليه" [2]. وبالغ بعض المؤرخين في إظهار مكانة البرمك, وانقياد الملوك إليه وإغداق الأموال عليه [3]. وجاء في سياست نامه لنظام الملك (تـ485هـ/1092م), أن برمكاً " جد البرامكة المباشر كان أديباً وكاتباً، برع في أخبار ملوك فارس وعلمائها" [4], ونظر في علوم الإسلام [5], وأن البرامكة ساروا على هذا النهج؛ إذ كانوا يتعلمون الخط والكتابة والأدب [6]. وهذا فيه نظر, فلا ينتظر من البرمك أن يكون أديباً وكاتباً, ولعل براعة البرامكة الكتابية فيما بعد، جعلت الرواة ينسبون هذا الفضل إليه، لرفع شأن البرامكة.

انتهت البرمكة إلى أبي خالد البرمكي[7], فقد كان هذا المنصب وراثياً [8]. وليس لدينا عن برمك وأسلافه إلاّ القصص. ولا غرابة في وجود روايات تزعم أن خالد بن برمك من أصل عربي[9], على اعتبار أن عبد الله بن مسلم سبى أم خالد وتسراها أثناء فتح خراسان سنة86هـ/705م[10], وقد انفرد الطبري بذكر هذه الرواية بدون إسناد, ويظهر أن ما كان يدور من نقاش حول أصل البرامكة, جعل البعض يتقربون إليهم بإعطائهم نسباً عربياً, أو بمحاولة الإفادة من منزلتهم.

---

(1). المسعودي, مروج, جـ2, ص382.
(2). ابن الفقيه, البلدان, ص618. ياقوت الحموي. معجم البلدان , جـ5 , ص308.
(3). القزويني, آثار البلاد, ص 331. الحميري, الروض المعطار, ص485. ابن فضل الله العمري, مسالك الأبصار, جـ1, ص223.
(4). نظام الملك , سياست نامه, ص220.
(5). الأزدي. أبو الحسن, أخبار الدول , جـ2, ص327.
(6). نظام الملك , سياست نامه, ص220. الأزدي.أبو الحسن, أخبار الدول , جـ2, ص327.
(7). الزمخشري ، ربيع الأبرار, جـ1, ص 317. ياقوت الحموي ، معجم البلدان , جـ5 ، ص 307.
(8). بارتولد, دائرة المعارف الإسلامية , مادة(البرامكة)، مج3, ص492.
(9). الطبري, تاريخ, جـ6, ص425.
(10). ن. م. جـ6, ص425.

ويميل بعض الباحثين الغربيين إلى فكرة أن أسرة البرامكة عريقة تعود لأيام الساسانيين, وأنها كانت على الدين الزرداشتي[1], اعتماداً على بعض مؤرخي الفرس, فالنرشخي (تـ348هـ/959م) [2], وخواندامير (تـ942هـ/1535م) [3] المتأخر, أرجعا هذه الأسرة إلى فترة الدولة الساسانية, ومثل هذا الربط يمثل محاولة لتمجيدها والتأكيد على عراقتها. وما جاء من روايات تؤكد هذه العلاقة كان لدى مؤرخين كتبوا بعد أن لمع نجم هذه الأسرة في التاريخ العباسي, ولم تنشأ هذه المزاعم قبل عهد هارون الرشيد على حد قول بارتولد[4].

وتتضارب الروايات حول إسلام برمك والد خالد, فابن الفقيه (تـ290هـ/902م) لا يجزم بإسلامه[5], بينما يذكر ياقوت (تـ628هـ/1230م)أنه أسلم أيام عثمان بن عفان وسمي عبد الله[6], أما خواندمير (تـ942هـ/1535م) فقد مجّد برمك هذا في طريقة إسلامه" وفجأة وبالعناية الإلهية أضاءت شعلة الإيمان مصباح قلبه" [7]. وهذه من القصص الشعبي الذي تداوله الناس, والذي توسع في تمجيد البرامكة بعد أن تألقوا زمن الرشيد.

ويبدو أن برمك والد خالد اتصل بالأمويين, فيذكر الطبري أنه وكّل بإعادة أعمار ما خرِّب من مدينة بلخ سنة 107هـ/725م [8]. وهذا يُشعر بمنزلته. ولم يرد له ذكر بعد هذا التاريخ ليبدأ دور ابنه خالد.

ولا تتوافر الروايات التاريخية التي تعطي صورة واضحة عن حياة خالد بن برمك, الذي بدأت به أسرة البرامكة دورها في الدعوة العباسية, ولا تذكر المصادر الأولى ولادته، ويبدو أنها

---

1). لسترانج, بلدان الخلافة الشرقية, ص414. بوخنر, دائرة المعارف الإسلامية, مادة(ساسان), مج11, ص46-50.
2). النرشخي، تاريخ بخارى, ص38.
3). خواندمير, حبيب السير, ص232. نفسه, دستور الوزراء, ص 159.
4). بارتولد, دائرة المعارف الإسلامية , مادة(البرامكة)، مج3, ص493.
5). ابن الفقيه, البلدان, ص 608.
6). ياقوت الحموي، معجم البلدان , جـ5، ص 308.
7). خواندمير, دستور الوزراء, ص162.
8). الطبري, تاريخ, جـ7, ص41.

Muir,The Caliphate,P,400.

كما جاءت في بعض المصادر المتأخرة، إذ يذكر ابن خلكان (تـ681هـ/1282م)[1], والذهبي(تـ748هـ/1347م) [2], أن ولادة خالد بن برمك كانت سنة 90هـ/708م.

ـ البرامكة والدعوة العباسية

كان خالد بن برمك أول من اتصل من أسرة البرامكة بالدعوة العباسية[3], ويُفترض أنه كان مسلماً بعد أن كان على دين المجوس, يقول ابن العمراني (تـ580هـ/1184م) " وكان خالد بن برمك مجوسياً فأسلم " [4]. ولا تحدد الروايات أسباب انضمام خالد بن برمك للدعوة العباسية ووقوفه ضد الأمويين.

لم تكن الإدارة الأموية تجهل وجود حركة, ولكنها لم تتمكن من السيطرة عليها, لدقة تنظيمها و سرّيتها, مكتفية بمطاردة بعض دعاتها, والقبض على كل من تحوم حوله الشكوك[5]. لم يكن دور خالد بن برمك في الدعوة هامشياً, فقد شارك الدعوة السرّية [6]. وكان أحد نظراء النقباء العشرين [7]. واتصل بمحمد بن علي[8]. ثم بإبراهيم الإمام [9], ويرى الدوري أن خالد بن برمك " كان من رجال الدعوة البارزين "[10]. وما أن تقلّد مروان بن محمد الخلافة سنة 127 /744م, حتى كانت أرجاء الدولة المختلفة تسودها الفتن والاضطرابات[11]. ولا سيما

---

1. ابن خلكان , وفيات الأعيان, جـ1, ص334.
2. الذهبي, تاريخ الإسلام, جـ6, ص16.
3. البلاذري, أنساب الأشراف, جـ3, ص136. ابن طباطبا, الفخري, ص156.
4. ابن العمراني , الإنباء، ص68.
5. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص319.
6. البلاذري, أنساب الأشراف, جـ3, ص136. مجهول, أخبار الدولة العباسية , ص254.
7. مجهول, أخبار الدولة العباسية , ص254.
8. انظر, اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص297. الطبري, تاريخ, جـ7, ص107, ص141-142. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص49.
9. انظر, اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص333. الطبري, تاريخ, جـ7, ص353 وما بعدها. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص49. ابن طباطبا , الفخري, ص154.
10. الدوري, العصر العباسي الأول, ص122.
11. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص337,338.

الجانب الغربي منها[1]. إذ كانت خراسان أرضاً خصبة, انطلقت منها الدعوة بأمر من إبراهيم الإمام, وكان خالد بن برمك أحد قادتها [2].

نشط إبراهيم الإمام في قيادة الدعوة, وراح يتصل بالدعاة, يوجههم ويحثهم على الصبر والعمل[3], وكان خالد بن برمك أحد الشيعة (العباسية) بجرجان، الذي نعى إليهم إبراهيم الإمام موت أبيه, وأخبرهم بإمامته من بعده [4].

نظّم أبو مسلم سنة130هـ/747م قوّاته، بتوجيه من إبراهيم الإمام, استعداداً للثورة في خراسان [5], وكان نصر بن سيّار، الأمير على خراسان منذ عام 120هـ/737م [6], يشعر بخطورة الدعوة, فراح ينبه الخليفة الأموي على الأخطار في خراسان, ثم طلب إرسال المدد، الذي يمكنه من مواجهتها, ومقاومة قوات الثورة[7], بقيادة قحطبة بن شبيب الذي ولاّه إبراهيم الإمام قيادة القوات العباسية, فوجهه أبو مسلم إلى ميادين القتال غرباً سنة 130هـ/747م، بدءً بنيسابور لقتال نصر بن سيّار " ومع قحطبة جماعة من كبار الأمراء ومنهم خالد بن برمك "[8].

شارك خالد بإمرة قحطبة في قتال نباته بن حنظلة, عامل بني أمية في جرجان, الذي أرسله والي العراق يزيد بن هبيرة بأمر من مروان بن محمد، على رأس جيش لمساعدة نصر بن سيّار[9], خضعت جرجان لجيش الثورة, وأرسل قحطبة خالد بن برمك إلى اصبهبذ طبرستان يدعوه إلى الطاعة, ويذكر صاحب أخبار الدولة العباسية(القرن الثالث الهجري)، أن ملك طبرستان أجابه

---

[1]. ابن طباطبا , الفخري, ص128.
[2]. الطبري, تاريخ, جـ7, ص389.
[3]. مجهول, أخبار الدولة العباسية , ص321. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص297. الطبري, تاريخ, جـ7, ص359.
[4]. مجهول, أخبار الدولة العباسية , ص240.
[5]. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص240.
[6]. اليعقوبي, البلدان, ص136.الطبري, تاريخ, جـ7, ص154.
[7]. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص241.
[8]. الطبري, تاريخ, جـ7, ص390. مسكوية, تجارب الأمم, جـ3, ص293. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص35.
[9]. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص431, ابن أعثم, الفتوح, جـ8, ص170. الدوري, العصر العباسي الأول, ص31.

إلى ذلك, ووافقه على الصلح [1], وأوكل إلى خالد بن برمك مهمة تنظيم الخراج وجمعه" فقد كان يتقلَّد كل ما يفتتحه جيش الثورة من البلاد "[2]. هذا إضافة إلى الإشراف على الغنائم وتوزيعها, يقول الجهشياري (تـ331هـ/942م) " وكان خالد بن برمك في عسكر قحطبة يتقلَّد خراج كل ما افتتحه قحطبة من الكور, وتقلَّد الغنائم وقسَّمها بين الجند"[3], ويبدو أن عمله هذا نال تقدير الأهالي وشكرهم، حتى كان يقال " انه ما من أحد من أهل خراسان إلاَّ ولخالد عليه يدٌ ومنّـة,لأنه قسط الخراج, فأحسن فيه إلى أهله"[4].

ويرى بارتولد أن خالداً أظهر أيضاً براعة كبيرة في الحرب [5], ويظهر أن بارتولد استند إلى ما رواه الجهشياري (تـ331هـ/942م), من أن خالداً سنة130ه/747م نبَّـه قحطبة ليستعدَّ للحرب, حيث قدَّر بفراسته احتمال قدوم جيش عامر بن ضبارة, عامل بني أمية في اصبهان, الذي أمره يزيد بن هبيرة أمير العراق للقاء جيش قحطبة, بعد مقتل نباته بن حنظلة سنة130ه/747م[6], وعندما سُئل خالد عن كيفية تقديره لقدوم ذلك الجيش قال" رأيت الوحوش قد خالطت العسكر, ومن حكمها أن تنفر منه, فعلمت أنها لم تخالطه, إلا لشيء وراها أعظم مما دخلت فيه"[7], وبذلك استعدت قوات الثورة, ثم انتصرت عام131ه/748م في أصبهان [8], وتولى خالد بن برمك توزيع الغنائم, يقول صاحب أخبار الدولة العباسية" فأقام قحطبة في عسكره بعد قتل ابن ضبارة, وأحصى ما غنموا فيه, وقسّمه في أصحابه, وكان المتولي لذلك خالد بن برمك"[9].

---

(1). مجهول, أخبار الدولة العباسية , ص333.
(2). الطبري, تاريخ, جـ7, ص458. ابن الأثير, الكامل, جـ5, ص387.
(3). الجهشياري, الوزراء, ص87.
(4). ن. م. ص87.
(5). بارتولد, دائرة المعارف الإسلامية, مادة(البرامكة), مج3 , ص494.
(6). البلاذري, أنساب الأشراف, جـ3, ص636. الدينوري, الأخبار الطوال ، ص364. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص343, مجهول, أخبار الدولة العباسية, ص346. الطبري, تاريخ, جـ7, ص405. ابن أعثم, الفتوح , جـ8, ص173.
(7). الجاحظ, الحيوان, جـ4, ص423. الدينوري, الأخبار الطوال, ص364. العسكري, الأوائل, ص274, ابن أبى الحديد, شرح نهج البلاغة, جـ4, ص531. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ6, ص220.
(8). مجهول, أخبار الدولة العباسية , ص346. اليعقوبي, تاريخ, جـ2، ص343. الطبري, تاريخ, جـ7, ص405.
(9). مجهول, أخبار الدولة العباسية , ص349.

توالت انتصارات قوات الثورة, ويذكر صاحب أخبار الدولة العباسية (القرن الثالث الهجري) أن خالداً وُجّه مع المسيّب بن زهير إلى السوس ونيسابور لإخضاعها[1]. بينما يذكر البلاذري (تـ279هـ/892م) [2], والطبري (تـ310هـ/922م) [3], أنه وجّه إلى دير قُنّـى[4].

إن دور خالد في الدعوة العباسية, وما قام به بعد الثورة, وكفاءته, أهّلته لأن يتقلّد مناصب عالية في عهد الخلفاء العباسيين الثلاثة الأوائل.

ـ البرامكة في الدولة العباسية قبل الرشيد

ـ عهد السفاح (132هـ/750م ـ 136هـ/754م)

دخلت قوات الثورة الكوفة في عام 132ه/749م [5]. وسمي أبو سلمة الخلال وزيراً[6]. وكان أبو سلمة يسعى إلى نقل الخلافة إلى العلويين[7], حتى أنه أدخل أبا العباس مع مجموعة من أنصاره إلى الكوفة " على كره منه " [8].

بويع أبو العباس بالخلافة, ولم يقم بأي إجراء مباشر ضد أبي سلمة, نظراً لتوليته رآسة الدعوة. ويُفهم من المسعودي (تـ 346هـ/957م) أن أبا العباس كان يُعدُّ للتخلص منه. " وكان في

---

(1). مجهول, أخبار الدولة العباسية , ص378.
(2). البلاذري, أنساب الأشراف, جـ3, ص138.
(3). الطبري, تاريخ, جـ7, ص419.
(4). البلاذري، أنساب الأشراف, جـ3, ص138. الطبري, تاريخ, جـ7, ص419, مجهول, العيون والحدائق, جـ3, ص196, مسكوية, تجارب الأمم, جـ3, ص178.
(5). الطبري, تاريخ, جـ7, ص418.
(6). مجهول, أخبار الدولة العباسية, ص378. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص352. الطبري, تاريخ, جـ7, ص418, المسعودي, مروج, جـ4, ص115. نفسه, التنبيه والاشراف, ص193. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص119, مسكوية, تجارب الأمم, جـ3, ص335, العسكري, الأوائل, ص278.
(7). اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص349. الكرديزي, زين الأخبار, ص193. الشبيبي, مؤرخ العراق ابن الفوطي, ص60.
(8). اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص347-349. الجهشياري, الوزراء, ص85. المسعودي, مروج, جـ4, ص9. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص120. ابن حبيب, أسماء المغتالين, ص173. مسكوية, تجارب الأمم, جـ3, ص315. الكرديزي, زين الأخبار, ص102. ابن طباطبا, الفخري, ص153. خواندمير, دستور الوزراء, ص154. حسن إبراهيم حسن, تاريخ الإسلام, جـ2, ص164.

نفس أبي العباس منه شيء لأنه حاول ردّ الأمر عنهم إلى غيرهم "[1]. وتم التخلص من أبي سلمة بالتفاهم مع أبي مسلم الذي أوعز بالتخلص منه[2].

حضر خالد بن برمك بيعة أبي العباس في الكوفة[3], والتقى الخليفة فأعجب به, وأقرّه على ما كان يتقلّد من الغنائم [4]. وجعل إليه سنة 132هـ/749م ديوان الخراج وديوان الجند[5] . وتظهر خبرة خالد بن برمك في شؤون الدواوين, فيذكر الجهشياري (تـ331هـ/942م) أنه نظّم الخراج في دفاتر بعدما كان ينظَّم في صحف متفرقة[6].

ويصف الذهبي (تـ748هـ/1347م)- وهو متأخر- خالد بن برمك أنه كان " من أفراد الرجال رئاسة ودهاءً وحزماً"[7]. ظهرت ثقة السفاح به " فقد شكا إليه وهو يتقلّد دواوينه خوفه من هيبة جند أبي مسلم له " [8], فأشار خالد أن يأمر الخليفة أبا مسلم بعرض جنده وإسقاط من لم يكن من أهل خراسان منهم . ففعل أبو مسلم ذلك حتى أسقط بشراً كبيراً في يومين متتالين, وفي اليوم الثالث أدرك أبو مسلم ما يرمي إليه الخليفة, عندما نبهه أحدهم بقوله " علام تسقط الناس أيها الرجل منذ ثلاث؟ فقال أُسقط من لم يكن من أهل خراسان . قال: فابدأ بنفسك فإنك من أهل أصبهان، وقد دخلت في أهل خراسان, فوثب أبو مسلم عن مجلسه فقال: هذا أمر أحكم بليل, وبلغ الخبر أبا العباس وسرّه ذلك " [9] .

---

[1]. المسعودي, مروج, جـ4, ص115.
[2]. الإمامه والسياسة المنسوب لابن قتيبة, ص170. البلاذري, أنساب الأشراف, جـ3, ص156. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص352. الطبري, تاريخ, جـ7, ص449. الأزدي, أبو زكريا ، تاريخ الموصل, ص144. المسعودي, مروج, جـ4, ص116. مسكويه, تجارب الأمم, جـ3, ص335. ابن طباطبا , الفخري, ص255.
[3]. الجهشياري, الوزراء, ص 89. العسكري, الأوائل, ص273. ابن الابّار, أعتاب الكتّاب, ص65.
[4]. الجهشياري, الوزراء, ص89. العسكري, الأوائل, ص273.
[5]. الطبري, تاريخ, جـ7, ص465 . الجهشياري, الوزراء, ص89. العسكري, الأوائل, ص 273. مجهول, العيون والحدائق, جـ3, ص212. ابن العديم, بغية الطلب, جـ7, ص3019. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص55.
[6]. الجهشياري, الوزراء, ص89. الكندي, أخبار الدول, جـ1, ص10. العسكري, الأوائل, ص273. الأزدي، أبو الحسن, أخبار الدول, جـ2, ص289. الخوانساري, روضات الجنات, جـ4, ص177.
[7]. الذهبي, سير أعلام, جـ7, ص229.
[8]. الجهشياري, الوزراء, ص94.
[9]. ن. م. ص95,94.

ولكن أبا العباس لم يعتمد على خالد بن برمك بصورة كلية, فلا يعتبر مستشاره الأول. فهو كأحد عماله الآخرين, ولم يتعدى دوره تنفيذ أوامر الخليفة.

اختلف المؤرخون فيمن تولى منصب الوزارة بعد أبي سلمة, فمنهم من ذكر أبا الجهم بن عطية, أحد صنائع أبي مسلم وأحد ثقاته[1]. ويروي آخرون أن السفاح استوزر خالد بن برمك[2]. يقول الكندي (تـ260هـ/873م) " وأول من وزر من آل برمك خالد بن برمك لأبي العباس السفاح"[3]. أما صاحب الفخري (تـ709هـ/1309م) فيقول" بان كل من استوزر بعد أبى سلمه كان يتجنب أن يسمى وزيراً تطيراً لما جرى على أبي سلمه" [4]. ويجب أن لا يُفهم أن أحداً كان يرفض أن تُطلق عليه هذه التسمية, بل أن الخليفة لم يكن يطلق هذه التسمية. ويراه الطبري كاتباً للخليفة, ويقول " وكتب لأبي العباس خالد بن برمك "[5]. ويؤكد الجهشياري ذلك بقوله " وحلّ محل الوزير"[6]. ويرى سورديل أن خالد بن برمك لم يكن وزيراً, وأنه كان أقرب إلى الكتّاب منه إلى الوزارة[7]. فقد اتخذه أبو العباس كاتبه الأول [8]. إذ أن منصب الوزارة لم يكن قد وضّحت معالمه بعد, وليست الحدود واضحة بين الكتابة والوزارة.

---

1). البلاذري ,أنساب الأشراف, جـ3, ص156. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص361. الطبري, تاريخ, جـ7, ص405. الجهشياري, الوزراء, ص93.
2). المسعودي, التنبيه والاشراف, ص264. القضاعي, عيون المعارف, ص192. الأزدي، أبو الحسن, أخبار الدول, جـ2, ص289. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ1, ص 334. اليافعي, مرآة الجنان, جـ1, ص 416. خواندمير, حبيب السير, ص234.
3). الكندي, أخبار الدول, جـ1, ص10. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ1, ص334.
4). ابن طباطبا , الفخري, ص156.
5). الطبري, تاريخ, جـ6, ص182.
6). الجهشياري, الوزراء, ص89.
7). Sourdel (Al-Baramika),E.I,(2).vol.1,p,1034.
بارتولد, دائرة المعارف الإسلامية, مادة (البرامكة)، مج3, ص494.
8). الجومرد, أبو جعفر المنصور, ص112.

ويبدو أنه صارت بين الخليفة وخالد صلات عائلية, يقول الطبري " ودفع أبو العباس ابنته رَيْطة إلى خالد بن برمك حتى أرضعتها زوجته أم خالد بنت يزيد بلبان بنتٍ لخالد تدعى أم يحيى, وأرضعت أم سلمه زوجة أبي العباس أم يحيى بنت خالد بلبان ابنتها رَيْطة"[1].

ويبدو أن خالداً كسب رضى الكثير من العامة, فقد كان كريماً[2]. فمدحه الشعراء[3]. وتقرّب منه الناس, وكان أول من سمى السؤال زوّاراً لاستقباحه هذا الاسم لكثير من الناس, خاصة وفيهم الأشراف والأكابر[4]. ويظهر أن خالداً كان سخياً، لدرجة أن السفاح لامه على كثرة أُعطياته وصلاته[5]. وقد بالغ ابن الفقيه (تـ290هـ/902م) في وصف كرمه. فقال" لم يكن لخالد بن برمك صنيعة ولا متحرم إلا بنى له داراً على قدر كفايته, ثم وقف على أولاده ما يعينهم أبداً""[6].

ولعل عمل خالد في الخراج زاد من شعبيته حتى" حَسُن أثره " [7]. وأصبح خالد مؤسس أسرة لها دورها في العصر العباسي الأول. بعد وفاة السفاح سنة 136هـ/753م.

---

[1]. الطبري, تاريخ, جـ6, ص182. الجهشياري, الوزراء, ص89.
[2]. الجهشياري, الوزراء, ص150. الأزدي, أبو زكريا ، تاريخ الموصل, ص210. الاصبهاني, الأغاني, جـ3, ص184. ابن حمدون, التذكرة الحمدونية، جـ2, ص294.
[3]. انظر مديح يزيد بن خالد الكوفي. الجهشياري، الوزراء، ص150. العسكري، الأوائل، ص274. الثعالبي،تحفة الوزراء, ص159.
[4]. الكندي, أخبار الدول, جـ1, ص10. العسكري, الأوائل, ص274. الثعالبي, آداب الملوك, ص117. ابن حمدون, التذكرة الحمدونية, جـ8, ص156. ابن طباطبا , الفخري, ص157.
[5]. الكتبي, غرر الخصائص, ص200.
[6]. ابن الفقيه, البلدان, ص 607.
[7]. العسكري, الأوائل, ص373.

- عهد المنصور (136هـ/753م - 774/158م)

لما آلت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور سنة 136ه/753م، عمل جاهداً على تثبيت دعائم الحكم؛ فقد كانت الأوضاع لا تزال مضطربة، فأنشأ الجيش القوي القادر على تثبيت أركان النظام العباسي وحمايته.

ليس هناك ما يشير إلى أن المنصور استوزر خالد البرمكي كما تشير بعض الروايات المتأخرة [1]. فالمسعودي (تـ346هـ/957م) في مروج الذهب يذكر وزراء المنصور، ولا يذكر خالد بن برمك بينهم [2]. ويشير الجهشياري (تـ331هـ/942م) إلى تولي خالد بن برمك ديوان الخراج [3]. ويذكر أن الإدارة كانت بيد عبد الملك بن حميد الباهلي الذي كان من خاصة المنصور ومستشاريه, فقد " قلّده كتابته ودواوينه"[4].

ولعل خالد تقرب من المنصور بتوليته ديوان الخراج مما أثار أبا أيوب المورياني[5], كاتب المنصور وصاحب رسائله [6], الذي كان يخشى ذلك. بدأ المورياني يسلك سبيل الحيلة لإبعاد خالد, وتذكر بعض المصادر المتأخرة[7], أن المورياني ذكر للمنصور تغلب الأكراد على فارس " وأنه لا يكفيه أمرها سوى خالد" [8] دون أن تذكر تولية خالد عليها[9]. وكان أبا أيوب يسعى إلى

---

(1). الأزدي، أبو الحسن, أخبار الدول, جـ2, ص280. ابن خلكان , وفيات الأعيان , جـ1, ص334. النويري, نهاية الأرب, جـ22, ص106. الذهبي, سير أعلام, جـ7, ص229.
(2). المسعودي, مروج, جـ3, ص314.
(3). الجهشياري, الوزراء, ص99.
(4). ن. م. ص96.
(5). ينسب إلى قرية موريان من قرى الأهواز, واسمه سليمان بن مخلد, مات سنة 154 هـ/770م, انظر البلاذري, أنساب الأشراف, جـ3, ص242. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص389. الجهشياري, الوزراء, ص97. المسعودي, مروج , جـ4, ص133. ابن خلكان, وفيات الأعيان , جـ1, ص410. الذهبي, سير أعلام, جـ7, ص23. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص120.
(6). الطبري, تاريخ, جـ7, ص 486,480.
(7). ابن حمدون, التذكرة الحمدونية, جـ8, ص257. الأزدي, أبو الحسن, أخبار الدول, جـ2, ص289. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ1, ص334. الذهبي, سير أعلام, جـ7, ص229.
Sourdel,(AL-Baramika),E.I, (2) ,vol,I,P,1034.
(8). الذهبي, سير أعلام, جـ7, ص 229.
(9). ابن خلكان, وفيان الأعيان, جـ1, ص334. الذهبي, سير أعلام, جـ7, ص229.

إبعاد خالد بن برمك عن العاصمة، حتى يبقى هو إلى جانب الخليفة, وينفرد الجهشياري بذكر تولية خالد فارس. فيقول" فقلّد خالداً فارس, فأقام بها سنين, وأبو أيوب يسعى عليه, ويحض أبا جعفر على مكروهه, ويسعى به ليسقطه من عينه"[1]. غير أن الجهشياري لا يذكر سنة توليته أو مدتها.

يبدو أن المنصور أرسل خالداً إلى فارس كما يذكر الجهشياري, ويبدو أن إرساله هذا كان في صالح أبي أيوب, بعد أن تقلّد الدواوين والوزارة سنة 138هـ/755م [2]. ويشير الجهشياري (تـ331هـ/942م) [3] , والمسعودي (تـ346هـ/957م) [4] , إلى علاقة أبي أيوب مع الخليفة المنصور " وغلب أبو أيوب على المنصور غلبة شديدة, حتى قالت العامة انه سحر أبا جعفر"[5]. إذ جاء في بعض الروايات المتأخرة: " فلما بَعُد خالد عن الحضرة استبد أبو أيوب بالأمر" على حد قول الذهبي (تـ748هـ/1347م) [6], وهو مالا يتناسب وقوة شخصية المنصور.

وأثناء ولاية خالد فارس سمع المنصور بأنه يتصرف ببعض أموال الدولة, فساءه ذلك, والزمه المبلغ الذي كان ناقصاً في دفاتره, وهو ثلاثة آلاف ألف درهم[7]. وهدده بالقتل على أن يحضر المبلغ خلال ثلاثة أيام[8]. وذكر الطبري (تـ310هـ/922م) أن المنصور الزمه ذلك المبلغ لكنه لم يذكر السبب [9]. أما ابن العديم (تـ588هـ/1192م)، المتأخر، فقد ذكر " أن أبا أيوب سعى

---

[1]. الجهشياري, الوزراء, ص99. الثعالبي, لطائف المعارف, ص20. الأزدي، أبو الحسن, أخبار الدول, جـ2, ص416.ابن الابّار, أعتاب الكتّاب, ص97.
[2]. الجهشياري, الوزراء, ص99. ابن حمدون, التذكرة الحمدونية, جـ8, ص227. الأزدي، أبو الحسن, أخبار الدول, جـ2, ص307. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ1, ص410. اليافعي, مرآة الجنان, جـ1, ص343. خواندمير, دستور الوزراء, ص154. زامباور, معجم الأنساب والأسرات الحاكمة, ص5.
[3]. الجهشياري, الوزراء, ص119.
[4]. المسعودي, مروج, جـ4, ص 133.
[5]. الجهشياري, الوزراء, ص119. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ1, ص410. الذهبي, سير أعلام, جـ7, ص223. اليافعي, مرآة الجنان, جـ1, ص343, ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص109. خواندمير, دستور الوزراء, ص154.
[6]. الذهبي, سير أعلام, جـ7, ص229. اليافعي, مرآة الجنان, جـ2, ص289.
[7]. الجهشياري, الوزراء, ص99. الذهبي, سير أعلام, جـ9, ص107. ابن كثير , البداية والنهاية, جـ10, ص121.
[8]. البيهقي, المحاسن والمساويء, ص325,324. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص207.
[9]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص54. البيهقي, المحاسن والمساويء, ص324. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص207 . الذهبي, دول الإسلام, جـ1, ص81. نفسه , سير أعلام, جـ9, ص207. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص120.

للمنصور في خالد وقال له" قد اقتطع خالد من خراجك ثلاثة آلاف ألف درهم, ووصل بها الناس. فأغضبه ذلك, فصرف خالد عن فارس"[1].

جمع خالد ما الزمه المنصور, فقال لابنه يحيى" إني طُولبت بما ليس عندي, وإنما يُراد بذلك دمي, فانصرف إلى حرمتك وأهلك, فما كنت فاعلاً بعد قولي فافعله"[2]. وقد أسعفه أصدقاؤه ببعض المبلغ, وعجز عن أكثره [3]. " ووجّهت له الخيزران بجوهر ثمين قيمته ألف ألف درهم, ومائتا ألف درهم رعاية للرضاع بين الفضل ابنه وبين هارون ابنها"[4]. واكتفى المنصور بما جمعه خالد من المال.

كلّف المنصور خالداً بمهمة خارج بغداد, فقد بعثه مع ابنه المهدي إلى خراسان سنة 141هـ/758م[5], للقضاء على حركة عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي [6], والي خراسان الذي قتل كبار رجال خراسان سنة 140هـ/757م[7]. يقول اليعقوبي (تـ284هـ/897م) " فلما كثرت أمواله وعدده بخراسان، أظهر المعصية وكشف رأسه للخلاف " [8] . ويذكر الطبري هذه الحادثة، ويقول " وكان يرافقه - المهدي- خالد بن برمك لزيادة هيبته"[9]. ويتناول البلاذري (تـ279هـ/892م) القضاء على حركة عبد الجبار الأزدي, وتوجيه المهدي بعد ذلك إلى طبرستان والري لإخضاعهما سنة 142هـ/759م, ويفترض أن خالد بن برمك كان معه[10].

---

[1]. ابن العديم, بغية الطلب, جـ 7, ص 3023.
[2]. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص207. البيهقي, المحاسن والمساويء, ص324.
[3]. ابن كثير , البداية والنهاية, جـ10, ص121.
[4]. الجهشياري, الوزراء, ص 100.
[5]. اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 371. ابن الأثير, الكامل, جـ 5, ص 506.
[6]. البلاذري, أنساب الأشراف, جـ 3, ص 227. اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 371. الطبري, تاريخ, جـ 7, ص 508. ابن الأثير, الكامل, جـ 5, ص 498. بارتولد, تركستان, ص 319.
[7]. البلاذري, أنساب الأشراف, جـ 3, ص 227. اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 371.
[8]. اليعقوبي، البلدان، ص138.
[9]. الطبري, تاريخ, جـ 7, ص 508, 509. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 78.
[10]. البلاذري, أنساب الأشراف, جـ 3, ص 227 فما بعد. الطبري, تاريخ, جـ 7, ص510. ابن الأثير, الكامل, جـ 5, ص 506. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 79.

ثم بنى المنصور مدينة بغداد سنة 145هـ/762م. وترد رواية مفردة لدى الطبري في أحداث 145هـ/762م جاء فيها " ولمّا أراد المنصور بناء مدينة بغداد شاور أصحابه فيها, وكان ممن شاوره فيها خالد بن برمك, فأشار بها, فذُكر عن علي بن عصمة، أن خالد بن برمك خطّ مدينة أبي جعفر له, وأشار بها عليه"[1]. ولا يذكر اليعقوبي (تـ284هـ/897م) أي دور لخالد بن برمك في بناء المدينة, ويذهب إلى القول أن أبا جعفر هو الذي اختط المدينة واختار موقعها " فاختط مدينته المعروفة بمدينة أبي جعفر في الجانب الغربي من دجلة..."[2]. ويوافقه ابن الفقيه (تـ290هـ/ 902م) الذي يذكر أن المنصور هو الذي أمر بخط المدينة[3]. بعدما استشار ذوي المعرفة[4]. ويقول الخطيب البغدادي (تـ463هـ/1070م) بأن المنصور هو الذي وصف للمهندسين والفَعَلَه " صفتها التي في نفسه"[5]. وهكذا تنفي المصادر الأولى رواية الطبري, ولا ذكر لعلي بن عصمة فيها.

يُذكر أن خالداً أشار على المنصور بعدم هدم إيوان كسرى[6], عندما فكّر بذلك لحاجته إلى مواد البناء[7]. ويذكر ابن الفقيه (تـ290هـ/902م) [8], أن المنصور هو الذي استشار خالد في ذلك، ولم يؤيد خالد الهدم. علَّق المنصور على ذلك قائلاً " أبيت يا خالد إلا ميلاً للعجم"[9].

---

(1). الطبري, تاريخ, جـ 7, ص 650.
(2). اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 373. ياقوت الحموي, معجم البلدان, جـ 1, ص 458.
(3). ابن الفقيه, بغداد, ص 31. نفسه البلدان, ص 282.
(4). اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 374. ابن الفقيه, بغداد, ص 52. نفسه, البلدان, ص 284. الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ 1, ص 87.
(5). الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ 1, ص 88.
(6). انظر, ابن قتيبة, المعارف, ص 656. ابن الفقيه, بغداد, ص 37. الطبري, تاريخ, جـ 7, ص 650. المسعودي, مروج, جـ 1, ص 285. الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ 1, ص 130. الثعالبي, غرر السير, ص 382. الزمخشري, ربيع الأبرار, جـ 1, ص 185. الفردوسي, الشاهناماه, ص 543. الأبشيهي, المستطرف, جـ 2, ص 573. لسترانج, بلدان الخلافة الشرقية, ص 52.
(7). قارن ما جاء في بعض المصادر الفارسية التي تذكر أن الهدف من هدم الإيوان ليس الاستفادة من أنقاضه في بناء بغداد, إنما الهدف كان تخريبه. انظر , نظمي زاده, كلشن خلفا, ص 27.
(8). ابن الفقيه, بغداد, ص 36. ابن حمدون, التذكرة الحمدونية, جـ 2, ص 88.
(9). ابن الفقيه, بغداد, ص 36. العسكري, الأوائل, ص 277. مسكويه, تجارب الأمم, جـ 3, ص 431. الزمخشري, ربيع الأبرار, جـ 1, ص 185. ابن الجوزي, المنتظم, جـ8, ص72. ابن الأثير, الكامل, جـ5, ص573. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ6, ص487. النويري, نهاية الأرب, جـ 22, ص 91. ابن الوردي, تاريخ, جـ 1, ص 166. الحميري, الروض المعطار, ص 69.

والجهشياري (تـ331هـ/942م) [1], والمسعودي (تـ346هـ/957م) [2], يذكران أن الرشيد استشار يحيى بن خالد في هدم الإيوان. في حين أن بعض المؤرخين لم يتناولوا مثل هذه الرواية. وفي مقدمتهم اليعقوبي (تـ284هـ/897م) والخطيب البغدادي (تـ463هـ/1070م). مما يدعو إلى الشك فيها أصلاً, وبخاصة أن إيوان كسرى ليس فيه من مواد البناء ما يدعو إلى ذلك.

ومن القضايا التي شغلت المنصور, مشكلة ولاية العهد, فقد أراد تقديم ابنه المهدي على ابن أخيه عيسى بن موسى الذي أوصى له أبو العباس السفاح بولاية العهد بعد أخيه المنصور سنة 136ه/753م [3]. وفي المصادر التاريخية تفصيلات واسعة عن المحاولات التي قام بها المنصور لتأخير عيسى بن موسى في ولاية العهد؛ ذلك أنه لم يَدع وسيلة من وسائل الترغيب والترهيب إلا استعملها لحمل ابن أخيه على تقديم ابنه المهدي عليه في ولاية العهد. فالبلاذري (تـ279هـ /892 م)[4] يذكر أن المنصور كان يكلّم عيسى بن موسى في أمر البيعة بكلام لين، بعد أن طلب إلى الشعراء مدح المهدي والثناء عليه[5]. غير أن عيسى لم يوافق على طلبه. ثم أخذ بعض رجال المنصور بالتضييق عليه, ويذكر البلاذري أن المنصور هدده بالقتل[6]، حتى وافق على طلبه مقابل عشرة آلاف ألف درهم [7]." واقطعه قطائع نفيسة وولاه الأهواز والكوفة وطساسيجها[8]. وتشير بعض المصادر[9] إلى دور لخالد بن برمك في ذلك. يقول الطبري في أحداث 147ه/790م:

---

[1]. الجهشياري, الوزراء, ص 229.
[2]. المسعودي, مروج, ص 301, 302. التنوخي, المستجاد, ص 249. البكري, المسالك والممالك, جـ 2, ص 216. ابن بدرون، شرح قصيدة ابن عبدون, ص 231. ابن أبي عون, الأجوبه المسكته, ص 20. ابن خلدون, تاريخ, مج 3, ق 2, ص 616.
[3]. اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 399. الطبري, تاريخ, جـ 7, ص 588. ابن الجوزي, المنتظم, جـ 8, ص291. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 75. اليافعي, مرآة الجنان, جـ 1, ص 324. حمدان الكبيسي,(عيسى بن موسى), المؤرخ, ع 4, سنة 14, ص 172.
[4]. البلاذري, أنساب الأشراف, جـ 3, ص 253.
[5]. المرزباني, معجم الشعراء, ص 96.
[6]. البلاذري, أنساب الأشراف, جـ 3, ص 254.
[7]. الجهشياري, الوزراء, ص 127.
[8]. البلاذري, أنساب الأشراف, جـ 3, ص 254.
[9]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 19. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 200.

" وأعيا الأمر أبا جعفر فيه, فبعث إلى خالد بن برمك, فقال له: كلمه يا خالد, فقد ترى امتناعه من البيعة للمهدي, وما قد تقدمنا به في أمره. فهل عندك حيلة, فقد أعيتنا الحيل, وظل عنّا الرأي"[1].

لبى خالد ما طلب المنصور وذهب إلى عيسى بن موسى ومعه ثلاثون من كبار الشيعة (العباسية), وأمام تمسك عيسى بن موسى بولاية العهد[2]. قام خالد من عنده وقال" نُخبر أمير المؤمنين أنه قد أجاب, ونشهد عليه إن أنكره"[3]. وشهد من ذهب مع خالد من كبار الشيعة أمام المنصور على تنازل عيسى بن موسى[4], ولعل المنصور استحسن ذلك. ويذكر الطبري أن المنصور" شكر لخالد ما كان منه, وكان المهدي يعرف ذلك له, ويصف جزالة الرأي فيه"[5]. وفي الوقت الذي لم يتناول البلاذري (تـ279هـ/892م) هذه الرواية[6]. يقول الطبري (تـ310هـ/ 922م) " وكان هذا تدبير خالد بن برمك"[7]. وأشار ابن الجوزي (تـ597هـ/1200م) إلى الموضوع، دون أن يذكر خالداً. ويكتفي بالقول: ذهب ثلاثون نفساً لإقناع عيسى بن موسى[8].

عيَّن المنصور خالد بن برمك والياً على الري [9], وطبرستان[10], ودنباوند[11], وتختلف المصادر في الفترة التي قضاها خالد في تلك المناطق, يذكر ابن الفقيه (تـ290هـ/902م) أن إقامته بها كانت خمس سنين[12]. ولا يحدد تاريخ توليته. أما الجهشياري (تـ331هـ/942م) فيروي أن

---

(1). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 19. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 200. مسكويه, تجارب الأمم, جـ 3, ص 442.
(2). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 20.
(3). الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 201.
(4). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 20. مسكويه, تجارب الأمم, جـ 3, ص 441.
(5). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 20. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص201.
(6). البلاذري, أنساب الأشراف, جـ 3, ص 252.
(7). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 20. مجهول, العيون والحدائق, جـ 3, ص 260.
(8). ابن الجوزي, المنتظم, جـ 8, ص 105.
(9). اليعقوبي, البلدان, ص 89.
(10). ابن الفقيه, البلدان, ص537.
(11). اليعقوبي, البلدان, ص 91. ابن الفقيه, البلدان, ص 564.
(12). ابن الفقيه, البلدان, ص 574.

إقامته كانت سبع سنين[1]. وقد تكون الرواية الثانية هي الأرجح لأن الجهشياري أكثر صلة بالإدارة والدواوين.

وينفرد ابن الفقيه بذكر سبب تولية خالد طبرستان, فقد بعثه المنصور لمحاربة الأصبهبذ[2], وقد كان مقامه في طبرستان، حيث وضع يزدجرد بعد هربه من العراق إلى إيران في جبل طبرستان، ذخائر الأكاسرة النفيسة لصعوبة الوصول اليها. ولـمّا وصل خالد الجبل, وملك قلاعه, وجد من الجواهر والتيجان والسيوف والياقوت مالا قيمة له, مما زاد في هيبة خالد في نفوس الأهالي" لأنه فتح هذا الفتح الجليل"[3]. ويُنسب لخالد تخطيط مدينة المنصورة في طبرستان أثناء ولايته عليها[4].

في عام 158هـ/774م ورد خبر انتقاض أمر الموصل, وانتشار الأكراد فيها, فاستشار المنصور المسيّب بن زهير الضبي[5], صاحب شرطة بغداد[6], وقد كان صديقاً لخالد, فاقترح عليه خالد فأرسله[7], وتختلف المصادر في سنة تولية خالد الموصل, فالطبري (تـ310هـ/922م) [8] يذكرها سنة 158هـ/774م, بينما الأزدي (تـ334هـ/945م) الذي خبر تاريخ الموصل, يذكر أن خالداً وليها مرتين, الأولى سنة 148هـ/765م[9], والثانية سنة 771/155م- 158هـ/774م [10]. ولعل الطبري بالغ في وصف حالة الموصل[11]. وخاصة أن عمل الأكراد هذا أمر اعتيادي. وتمكن خالد

---

[1]. الجهشياري, الوزراء, ص 136.
[2]. ابن الفقيه, البلدان, ص 570. الطبري, تاريخ, جـ 7, ص 512.
[3]. ابن الفقيه, البلدان, ص 579.
[4]. ن . م . ص 580. بارتولد, دائرة المعارف الإسلامية, مادة (البرامكة), مج 3, ص 494.
[5]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 55. البيهقي, المحاسن والمساوىء, ص 324. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 16. الذهبي, تاريخ الإسلام, جـ 5, ص 364.
[6]. اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 384. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 56. الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ 13, ص 138.
[7]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 54. البيهقي, المحاسن والمساوىء, ص 324. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 207. الذهبي, دول الإسلام, جـ 1, ص 81. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 1, ص 120.
[8]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 55.
[9]. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 207.
[10]. ن. م. ص 224.
[11]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 55, 56.

من القضاء على الفتن [1]. ويروي الطبري عن أحمد بن سوار الموصلي أنه قال" ما هبنا أميراً قط هيبتنا خالداً من غير أن يشتدَّ علينا, ولكن هيبته كانت في صدورنا"[2].

وبالجملة كان خالد من رجال المنصور القريبين, ولكن لم يكن له سلطات واسعة, ولم تكن مكانته عند المنصور استثنائية أو حساسة, فما كان يقوم به لا يتعدى تنفيذ أوامر الخليفة, الذي كان يشرف على كل صغيرة وكبيرة. وليس أكثر تعبيراً عن ذلك ما يرويه الطبري بقوله" فكان - المنصور- شغله في صدر نهاره بالأمر والنهي والولايات والعزل وشحن الثغور والأطراف, وأمن السبل, والنظر في الخراج ومصلحة معاش الرعية لطرح عالتهم, والتلطف لسكونهم وهدوئهم..."[3].

استمر خالد والياً على الموصل[4], حتى وفاة المنصور سنة 158ه/774م, وهو عائد من الحج, ليخلفه ابنه المهدي [5].

- عهد المهدي (158هـ/775م - 169هـ/785)

استدعى المهدي خالد بن برمك من الموصل. يذكر الأزدي (تـ334هـ/945م) أنه" كتب إلى خالد بن برمك أن استخلف على عملك وأشخص, فاستخلف الحسن بن برمك وشخص إلى المهدي"[6]. ويذكر الجهشياري أن المهدي أراد إرسال خالد إلى فارس سنة 158ه/774م" فأهل الخراج يعذبون بصنوف العذاب"[7]. وكان من سياسته إصلاح شؤون الخراج, وإزالة الأساليب

---

1. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 228.
2. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 56. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 209. الأزدي, أبو الحسن، أخبار الدول, جـ 2, ص 289. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 16.
3. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 70. الجهشياري, الوزراء, ص 139.
4. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 209. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 16. الذهبي, تاريخ الإسلام, جـ 5, ص 365.
5. اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 392. الجهشياري, الوزراء, ص 134. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 225. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 16.
6. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 236.
7. الجهشياري, الوزراء, ص 142.

السيئة في الجباية؛ فقد طلب المهدي أن يُكتب إلى جميع العمال" برفع العذاب عن أهل الخراج"[1]. فحين وليّ خالد فارس" وضع عنهم خراج الشجر, وكانوا يلزمون له خراجاً ثقيلاً, وأكثر الصِّلات والجوائز والإحسان إلى كافة الناس وخاصتهم"[2].

ثم غضب المهدي على خالد وحاول نكبته؛ وهناك روايتان في بيان سبب ذلك؛ الأولى ويذكرها الجهشياري [3], الذي يروي أن خالداً ضرب عنق أحد القادة الذين شغبوا في فارس, ويدعى شاكر التركي, وكان قريباً لفرج خادم المهدي, فوشي به للمهدي واتهمه بالمعصية[4]. والرواية الثانية تذكر أن سبب ذلك يعود إلى أن خالداً أحسن إلى عيسى بن زيد أحد كبار الطالبيين الذين صحبوا محمد بن عبدالله الملقب بالنفس الزكية, وقد طلبه المهدي أثناء ولايته. ويكرر هذه الرواية الزمخشري (تـ538هـ/1143م) [5]. ويجزم بذلك.

ولعل تصرف خالد ببعض أموال الدولة جعلت المهدي يتغير عليه, يقول الجهشياري " فغضب المهدي عليه وحبسه وألزمه مالاً جليلاً... حتى شفعت الخيزران في أمره, وردته إلى منزله"[6]. وهذا يظهر أن خالداً بن برمك لم يكن له الأثر الذي تصوّره بعض المصادر المتأخرة[7]. التي بالغت في الحديث عنه, بل أن خالداً كان بين صعود وهبوط في صلاته بالمهدي, وكان يتخوف على مكانته [8], ويتودد لمن هو قريب للمهدي كأبي عبيدالله وزير الخليفة[9].

---

1). الجهشياري, الوزراء, ص 142, 143.
2). ن . م . ص 151.
3). ن . م . ص 151.
4). ن . م . ص 151, 152.
5). الزمخشري, ربيع الأبرار, جـ 2, ص 205.
6). الجهشياري, الوزراء, ص 151.
7). خواندمير, حبيب السير, ص 232.
8). الجهشياري, الوزراء, ص 143, 144.
9). المسعودي, مروج, جـ 4, ص 169. الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ 13, ص 198. ابن الأبّار, أعتاب الكتّاب, ص 72. ابن خلدون, تاريخ, مج 3, ق 2, ص 444.

أصبح يحيى بن خالد البرمكي سنة 161هـ/777م كاتباً لهارون ابن الخليفة, بأمر المهدي[1]. يقول الطبري " وفيها- سنة 161هـ/777م- صرف أبان بن صدقة عن هارون بن المهدي إلى موسى بن المهدي, وجعله له كاتباً ووزيراً, وجعل مكانه مع هارون بن المهدي يحيى بن خالد بن برمك " [2].

أراد المهدي تدريب ابنه هارون وإعلاء شأنه, فأخذ يعده سنة 163هـ /779م لإرساله على رأس جيش للثغور للصائفة. وقبل المسير بأيام قليلة, جمع المهدي عدداً من كتّاب أبناء الدعوة العباسية ليختار من بينهم رجلاً يقوم بإدارة العسكر. ويتحدث يحيى بن خالد عن ذلك فيقول" دعانا المهدي إلى حضرته, فدخلنا جميعاً, وكنت أسير في مؤخرة القوم... وقال المهدي: إني تصفحت أبناء شيعتي, وأهل دولتي, واخترت منهم رجلاً لهارون ابني أضمّه إليه ليقوم بأمر عسكره, ويتولى كتابته, فوقعت عليك خيرتي له, ورأيتك أولى به, إذ كنت مربيه وخاصته"[3].

ويبدو من رواية الطبري أن يحيى لم يكن يتوقع مرافقة الرشيد, لافتقاده للخبرة العسكرية, حتى كان آخر من دخل إلى المهدي, ويبين الطبري[4], أن الخليفة أرسل معه والده خالد لخبرته وحكمته[5] " ووجه المهدي خالد بن برمك مع الرشيد وهو ولي العهد حين وجهه لغزو الروم, وتوجه معه الحسن وسليمان أبناء برمك"[6]. وأمر المهدي لخالد بمائة ألف درهم معونة على سفره مع ابنه هارون[7]. ويذكر اليعقوبي أن المهدي أرسل معه عدداً من القوّاد والجند[8].

---

1. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 140. أبو الفداء, المختصر, جـ 2, ص 8.
2. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 140.
3. ن. م. جـ 8, ص 146. الجهشياري, الوزراء, ص 150. ابن العديم, بغية الطلب, جـ 7, ص 1019. ابن خلدون, تاريخ, مج 3, ق 2, ص446.
4. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص148.
5. ن. م. جـ 8, ص 146. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 243. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 60. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 146.
6. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 146.
7. ابن عذاري, البيان المغرب, جـ 1, ص 80.
8. اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 396.

بدأت الاستعدادات لتهيئة الحملة, وكان الخليفة نفسه يشرف على إعدادها, حتى أصبح لهذه الغزوة وقع خاص[1]. وكانت بوادر الاستغراب على وجوه العامة والخاصة على حد قول الطبري [2], لأن هارون لم يكن قد سبق له أن غزا, حتى أن موسى بن عيسى, وعبد الملك بن صالح " كانا يتضاحكان عندما كان الرشيد يضرب بالصّوالجة " [3].

ووفقاً لرواية الطبري, فقد حقق الرشيد انتصاراً كبيراً [4] " فسار الرشيد إلى بلاد الروم في جحافل عظيمة, وفتح الله عليهم فتوحات كثيرة, وغنموا أموالاً جزيلة جداً"[5]. ويبين الطبري أثر وجود خالد إلى جانب هارون" وكان لخالد بن برمك في ذلك أثر لم يكن لغيره"[6].

استقبل الخليفة ابنه هارون مع أهل بغداد, استقبال الفاتحين, ويرى الجومرد أن هناك من كان يعمل للدعاية لها بين الناس[7]. لكن لم نجد لهذه الدعاية أثراً في المصادر التاريخية.

وكما عززت هذه الغزوة مكانة هارون, فقد رفعت مكانة خالد بن برمك[8], الذي لم يمكث طويلاً بعدها حتى توفي سنة 165ه/781م[9]. يذكر المسعودي (تـ346هـ/957م) أنه لم يكن أحد من أبناء خالد يضارعه في نبل خصاله. ويقول" لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من وُلده في جودة رأيه وبأسه وعلمه وجميع خلاله"[10]. ويروي صاحب الفخري (تـ709هـ/1309م) أن خالداً كان له شأن عند الخلفاء[11].

---

[1]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 144. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 243. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 146.
[2]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 145.
[3]. ن. م. جـ 8, ص 145, 146.
[4]. ن. م. جـ 8, ص 148. الجهشياري, الوزراء, ص 150.
[5]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 147. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 146.
[6]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 147.
[7]. الجومرد, هارون الرشيد, ص 78.
[8]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 147.
[9]. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ 1, ص 334. الذهبي, تاريخ الإسلام, جـ 6, ص 16.
[10]. المسعودي, مروج, جـ 4, ص 333. الكندي, أخبار الدول, جـ 1, ص 10. الزمخشري, ربيع الأبرار, جـ 3, ص 664. الأزدي, أبو الحسن, أخبار الدول, جـ 2, ص 289.
[11]. ابن طباطبا, الفخري, جـ 156.

اعتنى خالد بتربية ابنه يحيى, وجعله المهدي كاتباً لهارون[1], الذي وُليّ سنة 164هـ/780م على الجانب الغربي من الدولة[2]. أي جميع الولايات غربي الفرات من الأنبار إلى افريقية.

قرَّر الخليفة إرسال هارون سنة 164هـ/780م[3], في غزوة أخرى إلى الصائفة[4], ويبدو أن ما حققه من نصر في الحملة الأولى, دفع (اغسطه زوجة ليون) إلى طلب الصلح من هارون, وأن تدفع له مالاً كثيراً [5], وراح الشعراء يتغنون بهذه الانتصارات. فقد قال مروان بن أبي حفصة[6].

أطَـفْتَ بقسطنطينةِ الروم مُسنداً إليها القَنَـا حتى اكتسا الذّلَّ سورها

وما رمتها حتى أتتك مُلوكها بجزيتـها والحرب تغلي قدورهـا

وفي عام 166هـ/782م أخذ المهدي البيعة لهارون بعد الهادي[7], ولقبه بالرشيد[8], ويظهر أن المهدي كرّر خطأ بعض الخلفاء في العهد للرشيد[9]. وكان المهدي أول من بايع لأكثر من واحد من أولاده من خلفاء بني العباس[10]. فما أن يصل أحدهما إلى الملك حتى يعمل على انتزاعها من خَلَفِه لجعلها لولده. وما أمرُ عيسى بن موسى مع المنصور والمهدي نفسه ببعيد. وقد

---

[1]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 148. الجهشياري, الوزراء, ص 150. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 245. ابن الجوزي, المنتظم, جـ 8, ص 264. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 88. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 146. ابن خلدون, تاريخ, مج 3, ق 2, ص 449.
[2]. الجهشياري, الوزراء, ص 150.
[3]. اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 396.
[4]. كان سبب هذه الغزوة هزيمة عبد الكبير بن عبد الحميد أمام البيزنطيين سنة 164هـ/780م . مما أثار غضب المهدي. انظر, الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 150.
[5]. اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 396. البسوي, المعرفة والتاريخ, جـ 1, ص 167. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص152. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 246. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 67. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 146.
[6]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص152. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 246.
[7]. البلاذري, أنساب الأشراف, جـ 3, ص255.
[8]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 154. الجهشياري, الوزراء, ص 150. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 247. النويري, نهاية الأرب, جـ 22, ص 116. ابن خلدون, تاريخ, مج 3, ق 2, ص 446.
[9]. شاكر مصطفى, دولة بني العباس, جـ 1, ص 417.
[10]. الدوري, العصر العباسي الأول, ص 100.

يكون للخيزران دور في العهد للرشيد بعد أخيه الهادي، فقد وجدت في شخصية الرشيد ما يشبع رغباتها وطموحها في السلطة والحكم[1], بعد أن كانت تستبد بالأمر والنهي في عهد المهدي على حد قول الطبري [2].

ويذكر الطبري في أحداث 169هـ/785م رواية مفردة ودون إسناد, مفادها أن المهدي كان قد عزم على تقديم الرشيد على أخيه الهادي [3]. ولعل المهدي لم يكن يمانع هذه الفكرة, أو أنه كان يساير نفوذ زوجته الخيزران وحليفها يحيى البرمكي. وفي الإمامة والسياسة (أواسط القرن الثالث الهجري) أن المهدي قبل وفاته خاطب الرشيد بقوله" والله ما أردت استخلافك ولا هممت به لحداثة سنك "[4].

ترك غياب الهادي عن العاصمة المجال واسعاً أمام الخيزران ويحيى البرمكي، إذ كان يحارب بعض الثائرين بجرجان[5]، عندما جاء خبر وفاة المهدي بماسبذان سنة 169هـ/785م[6].

- عهد الهادي (169هـ/785م - 170هـ/786م)

لدى سماع نبأ وفاة المهدي أرسلت الخيزران إلى الربيع بن يونس حاجب المهدي[7], وإلى يحيى البرمكي " تستدعيهما لتشاورهما في الأمر, فأجابها الربيع وامتنع يحيى"[8]. ويرى

---

[1]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 205. المسعودي, مروج, جـ 4, ص 326. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 158.
[2]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 205.
[3]. ن . م . جـ 8, ص 168.
[4]. الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة, ص 82.
[5]. اليعقوبي, تاريخ, جـ 8, ص 414. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 168.
[6]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 187. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 254. ابن طباطبا, الفخري, ص 181.
[7]. الأزدي, أبو زكريا, تاريخ الموصل, ص 253.
[8]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 188. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 259. مسكويه, تجارب الأمم, جـ 3, ص 486. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 188. ابن خلدون, تاريخ, مج 3, ق 2, ص 453.

الجومرد أن امتناع يحيى عن الذهاب إلى الخيزران, يعود إلى أنه كان يعلم جيداً بأنه مجرد اتصاله بالخيزران, سيثير الريبة والشك في نفس الهادي [1].

يشير الطبري إلى منزلة يحيى البرمكي لدى الرشيد عند وفاة المهدي, إذ استمع إلى رأي الموالي والقوّاد الذين جاءوا يطلعونه على أمر الجند, ويخشون حدوث الشغب [2] ولكنه كان يستأنس برأي يحيى إذ قال " ادعوا إليّ أبي يحيى بن خالد البرمكي"[3].

أشار يحيى على الرشيد برأي غير الرأي الذي أشار به القوّاد والموالي, الذين أرادوا حمل المهدي إلى بغداد, وقال " لا أرى رأي هؤلاء ... والأصوب أن يدفن هاهنا"[4] حيث توفي بماسبذان[5]. ثم طلب يحيى بن خالد من الرشيد أن يتوجه بالخاتم والقضيب إلى الهادي, وأن يأمر لكل جندي بمائتي درهم[6]. ويرى الدوري أن مشاغبات الجند وتدخلهم في أمور الدولة كان بادرة خطيرة في عهد الهادي [7]. لذلك مال الرشيد إلى رأي يحيى، بإعطاء رواتب سنتين, ثم نادى بأخذ الخاتم إلى الهادي [8].

جدد الهادي الأمر ليحيى بكتابة أمور هارون الذي أخذ البيعة له من بعده. ويذكر الطبري[9], والجهشياري[10]," أنه كتب إلى يحيى بن خالد يجزيه الخير, ويأمره أن يقوم من أمر هارون بما لم يزل يقوم به, وأن يتولى أموره وأعماله على ما لم يزل يتولاّه"[11]. وعلى الرغم من

---

(9). الجومرد, هارون الرشيد, ص 56.
(1). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص187.
(2). ابن الجوزي, المنتظم, جـ 8, ص 305. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 88.
(3). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص187.
(4). ن. م. جـ 8, ص 187. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 254 . ابن طباطبا, الفخري, ص 181.
(5). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 187.
(6). الدوري, العصر العباسي الأول, ص 101.
(7). مجهول, العيون والحدائق, جـ 3, ص 282. ابن الجوزي, المنتظم, جـ 8, ص 305. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 88.
(8). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص188.
(9). الجهشياري, الوزراء, ص 169.
(10). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص187.

قصر عهد الهادي, فقد شهد أحداثاً جمة, لعب فيها يحيى البرمكي والخيزران دوراً كبيراً ومؤثراً, بعد أن عزم الهادي على تقديم ابنه جعفر الذي لم يكن يبلغ الثامنة من عمره [1].

كان الهادي يشعر بمكانة أمه الخيزران, وكان الناس أثناء توليته الخلافة, يتوافدون على دارها لقضاء حوائجهم[2]. وكثيراً ما كانت تكلِّمه في أمر الحوائج " حتى كان يجيبها إلى كل ما تسأل"[3]. مما قوّى في نفسها الميول للحكم. ويذكر المسعودي (تـ346هـ/957م) أنه كان كثير الطاعة لها[4]. ولم يكن هذا ضعفاً في شخصية الهادي الذي يصفه المسعودي في مروج الذهب بأنه" كان قاسي القلب شرس الأخلاق, صعب المرام"[5]. إذ لم يكن في البداية قادراً على مواجهتها, فعمل على المماطلة وعدم تلبية رغباتها, بعد أن انهال عليها الناس. يقول الطبري " وكانت الخيزران في أول خلافة موسى تفتات عليه في أموره, وتسلك فيه مسلك أبيه من قبله في الاستبداد بالأمر والنهي" [6]. وكان المنصور قد حذر ابنه المهدي في وصيته له من النساء وقال " وايّاك أن تدخل النساء في مشورتك"[7]. وبذلك فتح عهد المهدي المجال للنساء التدخل في شؤون الدولة[8]. ويظهر أن الهادي هو الذي استفاد من هذه الوصية؛ فقد حاول جاهداً أن لا يدع النساء يتدخلن في أمور الحكم[9]. سألته أمه الخيزران مرة في حاجة, وقالت: إني تضمنت هذه الحاجة

---

(11). اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 405. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص207. الجهشياري, الوزراء, ص 169. المسعودي, مروج, جـ 3, ص 333. ابن العمراني, الإنباء, ص73. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 158.

(1). ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 158.

(2). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 206. المسعودي, مروج, جـ 3, ص 356. ابن كثير, البداية والنهاية. جـ 10, ص 158.

(3). المسعودي, مروج, جـ 4, ص 186.

(4). ن. م . جـ 4, ص 183. نفسه, التنبيه والإشراف, ص 297. ابن طباطبا, الفخري, ص 189.

(5). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 205.

(6). ن. م. جـ 8, ص 104.

(7). الدوري, العصر العباسي الأول, ص 99.

(8). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 207.

Muir, The Caliphate, P 416.

لعبدالله بن مالك رئيس حرس الخليفة [1]. وقالت لا بد من إجابتي[2], لكنه رفض إجابتها. والملاحظ أن طلبها هذا كان يتم بصيغة الأمر, وكانت تضمن النفاذ سلفاً لصاحب الحاجة.

استاء الهادي من تدخل أمه هذا, وهدّد الأشراف والخاصة من الاستمرار في طلب الحاجات منها, وقال" والله لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي وخاصتي لأضربن عنقه, ولأقبضن ماله"[3]. فقد كانوا ينشدون رضاها أملا أن يكون تقربهم منها سبباً في ارتقائهم عند الخليفة .

وهكذا بدأت بوادر عدم الثقة بين الخيزران وابنها- حسب ما يرويه الطبري- بعد أربعة شهور من حكم الهادي " وكان يجيبها إلى كل ما تسأل, حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته"[4]، حتى ضاق ذرعاً. وتذكر بعض المصادر أنه حاول التخلص منها[5], فقد ازدادت شقة الخلاف بين الهادي وأمه, والتي كانت تقف مع يحيى البرمكي، إلى جانب الرشيد الذي حاول الهادي خلعه[6]، والمبايعة لابنه جعفر.

ولعل الرشيد كان يلين أمام أخيه الهادي, لكن يحيى البرمكي كان ينصحه بالصمود ويذكر المسعودي [7], أن الرشيد" كان قد اطمأن للخلع فمنعه يحيى". ويقول الجهشياري أن هارون عزم على إجابته[8].

---

[9]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 132.
[10]. ن. م. جـ 8, ص 206. المسعودي, مروج, جـ 4, ص 187. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 10. ابن العبري, تاريخ مختصر الدول, ص 128. النويري, نهاية الأرب, جـ 22, ص 124.
[1]. المسعودي, مروج, جـ3, ص 327. مسكويه, تجارب الأمم, جـ 3, ص 488. ابن طباطبا, الفخري, ص 191. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 100. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص 158.
[2]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 206. النويري, نهاية الأرب, جـ 22, ص 124.
[3]. مجهول, العيون والحدائق, جـ 3, ص 389. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 100.
[4]. الجهشياري, الوزراء, ص 169.
[5]. المسعودي, مروج, جـ 3, ص 333.
[6]. الجهشياري, الوزراء, ص 169. التنوخي, الفرج بعد الشدة, جـ 4, ص 94. مسكويه, تجارب الأمم, جـ 3, ص 490.

وكان الهادي يعلم أن تعنت الرشيد كان بتحريض من يحيى البرمكي, فاستدعاه سنة 170هـ/786م, وكلَّمه بأمر خلع الرشيد, وبذل له(الهنيّ والمريّ) من أعمال الرقة, كما وصله بعشرين ألف دينار[1]. والظاهر أن الهادي كان يهدف إلى إبعاد يحيى البرمكي عن بغداد, إذ رأى في اجتماعه مع أمه الخيزران أثر كبير في منع الرشيد من التنازل عن ولاية العهد, وينفرد اليعقوبي (تـ284هـ/897م) بذكر سبب جعل يحيى بن خالد يحث الرشيد على التمسك بولاية العهد, حيث يورد اتهام الهادي ليحيى بقوله " بلغني انك ترضى هارون للخلافة ونفسك للوزاره"[2].

إن المنافسات بين رجال الحاشية قد وسّعت من شقة الخلاف بين الهادي وأخيه الرشيد, حتى كانت هناك محاولات للتخلص من الرشيد ومن يحيى البرمكي، حسب ما تذكره بعض المصادر[3]. ولكنها لم تكن محاولات جادة, فسرعان ما كان يصفح عنهما[4]، ويدخل مع يحيى في نقاش وحوار على غير عادته؛ فيذكر صاحب العيون والحدائق (القرن الرابع الهجري), أن هرثمة بن أعين قال: اختصصت بموسى الهادي, وكنت مع ذلك شديد الحذر منه لإقدامه على الدماء[5].

لم يتمكن الهادي من إقناع يحيى في جعل الرشيد يتنازل لصالح ابنه جعفر، إذ قال يحيى " يا أمير المؤمنين إنك إن حملت الناس على نكث الإيمان هانت عليهم أيمانهم, وجرأتهم على حل العقود التي تعتق لهم" [6]. ويذكر الجهشياري [7], والمسعودي [1], أنه قال" ولو تركت الأمر في

---

[7]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 208. الجهشياري, الوزراء, ص 169. مجهول, العيون والحدائق, جـ 3, ص 286. ابن طباطبا, الفخري, ص 198.
[1]. اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 406.
[2]. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 260. مسكويه, تجارب الأمم, جـ 3, ص 494.
[3]. مجهول, العيون والحدائق, جـ 3, ص 286.
[4]. ن. م . جـ 3, ص 286. ابن طباطبا, الفخري, ص 189.
[5]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 209. الجهشياري, الوزراء, ص 169. المسعودي, مروج, جـ 4, ص 197. مسكويه, تجارب الأمم, جـ 3, ص 492. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 97. ابن طباطبا, الفخري, ص 198. النويري, نهاية الأرب, جـ 22, ص 122. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 158.
[6]. الجهشياري, الوزراء, ص 169.

بيعة أخيك بحاله وبويع لجعفر من بعده, كان ذلك أوكد لبيعته". فوافقه الهادي على ذلك, وقال " نبهتني والله على أمر لم أكن قد انتبهت له [2]. غير أن بعض رجال حاشية الهادي كيزيد بن مزيد, وعبدالله بن مالك, وعلي بن عيسى[3], لم يكونوا يجهلون طموح يحيى, فراحوا ينبهون الهادي إلى هذه الحقيقة، كلما شعروا بمحاولة التقارب بينهما" تقرباً إليه ورغبة في ما يصل إليهم من الإعطاء"[4]. فقد أنكروا على الرشيد حقه بالخلافة " وخلعوا هارون ودسّوا إلى الشيعة, فتكلموا في أمره, وتنقَّصوه... وأمر الهادي أن لا يسار بين يدي هارون بالحربة, فاجتنبه الناس, وتركوا السلام عليه"[5].

أدرك يحيى خطورة الموقف, فأشار على الرشيد أن يستأذن الهادي, ويخرج للصيد, وطلب منه أن يطيل المدة " بعد أن أمر- الهادي- بالتضييق عليه في الأكثر من أموره " حسب ما يرويه المسعودي [6]. لأن الهادي كما يذكر الطبري كان عازماً على خلع الرشيد[7]. وفي الوقت نفسه كان الهادي لا يأل جهداً في مراجعة يحيى في أمر البيعة, حتى نبهه إلى صغر سن ابنه جعفر, وأن مشايخ بني هاشم قد لا يرضون بذلك [8]. غير أن حجج يحيى كلها لم يكن من شأنها إلاّ تأجيل المشكلة لا حلها, لأن الهادي كان يدرك أثر يحيى الذي " كان القيِّم بأمر الرشيد "[9]. فقبض عليه

---

(7). المسعودي, مروج, جـ 4, ص 197.
(8). ن. م. جـ 3, ص 333. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 96.
(9). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 207. الجهشياري, الوزراء, ص 174. المسعودي, مروج, جـ 3, ص 333. مسكويه, تجارب الأمم, جـ 3, ص 490. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 196.
(1). الجهشياري, الوزراء, ص 174.
(2). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 207. المسعودي, مروج, جـ 4, ص 333. مسكويه, تجارب الأمم, جـ 3, ص 491. مجهول, العيون والحدائق, جـ 3, ص 285. النويري, نهاية الأرب, جـ 22, ص 122.
(3). المسعودي, مروج, جـ 3, ص 333.
(4). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 210.
(5). ن. م . جـ 8, ص 209. المسعودي, مروج, جـ 3, ص 333. ابن طباطبا, الفخري, ص198. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 258.
(6). المسعودي, مروج, جـ 3, ص 333.

وأودعه السجن[1]. وأرسل الهادي إلى عماله بالقدوم لمبايعة ابنه جعفر[2]، بعد أن عزل الرشيد عن ولاية غرب الدولة الإسلامية[3].

أدركت الخيزران خطورة الموقف, وشعرت بأن الهادي عازم هذه المرة على تولية ابنه جعفر[4]. بعد أن قبض على حليفها يحيى البرمكي, وعزم على قتله. لكن تدخل إبراهيم بن ذكوان الحراني[5], وزير الهادي أنقذ الموقف [6]. واكتفى الهادي بزج يحيى في السجن[7]. ولا تكشف المصادر عن أسباب تدخل إبراهيم بن ذكوان الحراني في أمر يحيى، غير ما يذكره التنوخي (تـ384هـ/994م) بقوله " يا أمير المؤمنين إن ليحيى عندي يداً أريد أن أكافئه عليها, فأحب أن تهبه لي الليلة, وأنت في غدٍ تفعل به ما تحب "[8]. فوافقه الهادي آملاً أن يقنع يحيى بعدم حث الرشيد على التمسك بولاية العهد. فقد كان الحراني ينقل إلى يحيى أسرار الهادي بواسطة أحد أتباعه, وهو إسماعيل بن صبيح الذي كان كاتباً ليحيى بن خالد نفسه, حسب ما يذكر الطبري[9], والجهشياري[10]. لكن الهادي قرّر قتل يحيى. وفي الوقت الذي كان فيه يحيى ينتظر مصيره[11], توفي الهادي سنة 170هـ/786م.

---

7). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 210. الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 260.
8). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 212. التنوخي, الفرج بعد الشدة, جـ 4, ص 94. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 98. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 158.
9). اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 406.
10). الأزدي, أبو زكريا، تاريخ الموصل, ص 259.
1). انظر, الجهشياري, الوزراء, ص 167. التنوخي, الفرج بعد الشدة, جـ 3, ص 326 وما بعدها. ابن الأثير, اللباب, جـ 1, ص 358.
2). الجهشياري, الوزراء, ص 167. ابن طباطبا, الفخري, ص 192.
3). اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 406. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 205. الجهشياري, الوزراء, ص 174. التنوخي, الفرج بعد الشدة, جـ 4, ص 94.
4). التنوخي, الفرج بعد الشدة, جـ 4, ص 95,94.
5). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 207.
6). الجهشياري, الوزراء, ص 168.
7). اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 406. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 212.

ووفاة الهادي يحيطها الغموض. يقول الطبري " واختلف في السبب الذي كانت به وفاته"[1]. وترد في ذلك روايتان؛ الأولى وترد عند الطبري الذي يذكر أن سبب وفاته كانت من قرحة في جوفه [2]. والطبري لا يعلق عليها, ولا تؤيدها المصادر الأخرى. والرواية الثانية, ترد في أكثر المصادر [3]؛ تفيد أن الخيزران خافت أن يخلع الهادي هارون, فدسّت إليه بعض الجواري لقتله" وخافت الخيزران على هارون منه- أي الهادي- ودسّت إليه من جواريها لما مرض من قَتَلَه بالغم والجلوس على وجهه"[4]. وما تذكره المصادر عن رغبة الخيزران في تولية الرشيد, واتفاقها مع يحيى البرمكي, يؤيد اشتراكها في ذلك [5].

وينفرد المسعودي بالقول, بأن الهادي قبل موته طلب إحضار أمه الخيزران الذي أبدى برَّه لها[6]. وإن صحّت رواية المسعودي, فقد كان لقاءً حزيناً ومؤثراً من قبل الهادي, لكن لم يكن له أثر واضح في قلب الخيزران, إذ أنها عندما سمعت نبأ وفاته لم تظهر عليها علامات الحزن والألم, وأخذت تـُعدّ لتولية الرشيد للخلافة[7].

---

[8]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 205.
[9]. ن. م . جـ 8, ص 205.
[10]. ن. م. جـ 8, ص 205. مجهول, العيون والحدائق, جـ 3, ص 288. مسكويه, تجارب الأمم, جـ 3, ص 493. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 100. ابن طباطبا, الفخري, ص 198.
[1]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 206. الكرديزي, زين الأخبار, ص 109. ابن طباطبا, الفخري, ص 191.
[2]. اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 406. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 218. الجهشياري, الوزراء, ص 175. ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ 5, ص 333.
[3]. المسعودي, مروج, جـ 3, ص 333.
[4]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 213.

الفصل الثانـي

البرامكــــة والوزارة

ـ حال الوزارة عند مجيء البرامكة

ـ استيزار يحيى البرمكي

ـ الفضل بن يحيى

ـ جعفر بن يحيى

ـ حال الوزارة عند مجيء البرامكة

أول ما أطلق لفظ وزير[1] في الدولة العباسية كان على أبي سلمة الخلال[2]. وكان الخلال يسمى وزير آل محمد قبل خلافة أبي العباس, وأن رجال الدعوة العباسية هم الذين أعطوه هذا اللقب[3] , ولعله كان من الأمام العباسي. ويظهر أن أبا سلمة كان من فئة الكتّاب, فقد " كان فصيحاً عالماً بالأخبار والأشعار والسِّير والجدل والتفسير" [4] . ويرى الدوري بأن منصب الخلال ووظائفه كانت تقارب وظيفة عبد الحميد الكاتب [5]. فالطبري (تـ310هـ/922م) يطلق لفظ الكاتب على خالد بن برمك الذي جاء بعد أبى سلمة[6]. ويبدو أن عمل الوزير هذا امتداد لما كان زمن الأمويين. يقول المسعودي (تـ346هـ/957م) " وكان ملوك بني أمية تنكر أن تخاطب كاتباً لها بالوزارة, وتقول الوزير مشتق من المؤازرة, والخليفة أجلّ من أن يحتاج إلى المؤازرة"[7].

ولم تكن لأبي سلمة صلاحيات شاملة أو محددة, ولكن صاحب الفخري (تـ709هـ/1309م) يقول " بأن السفاح عندما استوزر أبا سلمة فوّض إليه الأمور, وسلّمه الدواوين "[8]. وليس في المصادر الأولى ما يوافق روايته؛ فلم تكن الدواوين كلها بيده, فديوان الخراج وديوان الجند- أهم الدواوين ـ كانا بيد خالد بن برمك[9], ولكن أبا سلمة كان متنفذاً بحكم مكانته رئيساً للدعوة.

---

[1]. انظر عن أصل اشتقاق الوزارة, الثعالبي, تحفة الوزراء, ص41.
[2]. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص352. ابن طباطبا, الفخري, ص155.
[3]. مجهول, أخبار الدولة العباسية, ص378.
[4]. ابن طباطبا, الفخري, ص155.
[5]. الدوري, النظم, جـ1, ص217.
[6]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص182. الجهشياري, الوزراء, ص89.
[7]. المسعودي, التنبيه والاشراف, ص294.
[8]. ابن طباطبا, الفخري, ص155.
[9]. الطبري, تاريخ,جـ7, ص465. الجهشياري, الوزراء, ص89. العسكري, الأوائل, ص273. مجهول, العيون والحدائق, جـ3, ص212.

ويصعب تحديد صلاحيات الوزير, إذ أن ملامح الوزارة لم تظهر في عهد السفاح, ولم تكن قد تقررت نظمها ومهامها بعد, ولم يكن قد استقر معناها [1]. وأن تسمية الخلال وزيراً تشير إلى اتجاه جديد في التنظيم, وإلى مساعد أول للخليفة, ولكن غير محدد في طبيعته, ومما يقوي هذا الرأي أن المصادر الأولى المعتمد عليها اضطربت بعد موت أبي سلمة في تحديد صفة من حلّ محله, فالمسعودي يذكر أن السفاح استوزر خالد بن برمك[2]. والجهشياري لا يصرح باستيزاره , ويذكر أنه حلّ محل الوزير[3], في حين أن البلاذري (تـ279هـ/892م) واليعقوبي (تـ284هـ/897م) يذكران أن السفاح استوزر أبا الجهم بن عطية[4], أما صاحب الفخري (تـ709هـ/ 1309 م) المتأخر نسبياً, فيذكر أن أحداً لم يتخذ هذا اللقب بسبب الفأل السيء الذي لحق به بعد مقتل أبي سلمة سنة 132هـ/749م[5].

وجاء المنصور ولم يتخذ في بداية حكمه وزيراً, بل اتخذ كاتباً وهو عبدالملك بن حميد[6]. لذلك لم يذكر البلاذري (تـ279هـ/892م) الوزراء في عهد المنصور, وفي فصل خصّصه عن أبي أيوب المورياني, وهو أبرز من خدم المنصور, يتحدث ببساطة عنه على أنه" كاتب أمير المؤمنين"[7] . وخليفة بن خيّاط (تـ240هـ/854م) يذكره كاتباً للرسائل[8]. وحتى الطبري (تـ310هـ/922م) الذي كثيراً ما أشار إلى أبي أيوب, لم يذكره على أنه وزير[9]. والجهشياري (تـ331هـ/942م) ذكره أولاً بلقب كاتب, وكان ينوب عن عبد الملك بن حميد " فلم يزل أمر أبي أيوب يعلو ومحله من رأي أبي جعفر يزيد حتى قلّده وزارته" [10]. فالجهشياري من بين المصادر الأولى أطلق على أبي أيوب لقب الوزير بعد أن استكتبه المنصور ووثق به فقلّده

---

(1). جويتاين , دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية, ص87.
(2). المسعودي, التنبيه والاشراف, ص264.
(3). الجهشياري, الوزراء, ص89.
(4). البلاذري, أنساب الأشراف, جـ3, ص156. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص361.
(5). ابن طباطبا, الفخري, ص156.
(6). الجهشياري, الوزراء, ص96.
(7). البلاذري, أنساب الأشراف, جـ3, ص242.
(8). خليفة بن خياط, تاريخ, ص435.
(9). الطبري, تاريخ, جـ6, ص486.
(10). الجهشياري, الوزراء, ص97,96.

" الدواوين مع الوزارة "[1]. وذكره ابن كثير (تـ774هـ/1372م), كاتباً للخليفة وليس بوزير [2]. ولعل مثل هذا الاختلاف يعود إلى عدم استقرار وتحديد مهام الوزير في هذه الفترة.

ومهما يكن فلم يتجاوز عمل الوزير في عهد المنصور المشورة وتنفيذ الأوامر, إذ كان المنصور يتولى الأمور بنفسه, ويراقب ويوجه وزيره ومدبري أمور دولته[3], رغم أنه " كان يشاور في الأمور دائماً "[4]. هذا الوضع حال دون قيام الوزراء بنشاط فعَّال منفرد في عهده, ولعلّ قوة شخصية المنصور وكفايته الإدارية والعسكرية هي التي جعلت مهام الوزير غير محددة، فكان عمل الوزير لا يتعدى التنفيذ وإبداء المشورة متى طـُلبت منه [5].

قال صاحب الفخري عن الوزارة زمن المنصور " لم تكن للوزارة في أيامه طائلة لاستبداده واستغنائه برأيه وكفايته... وإنما كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء, وكانوا على وجل منه وخوف, فلا يظهر لهم أبَّـهة ولا رونق"[6]. ويروي البلاذري عن أحد المقربين لأبي أيوب المورياني قوله" كنا جلوساً عند أبي أيوب في مجلسه, فأتاه رسول أبي جعفر, فامتُـقع لونه وتغيـّر" [7].

عزل المنصور أبا أيوب المورياني عن الوزارة سنة 153هـ/770م, ويُذكر السبب المباشر إلى عدم تنفيذه أمراً للمنصور ليستثمر ضيعة لابنه الأمير صالح, ولم ينفذ أبو أيوب ما طـُلب منه[8]. ويبدو أن ذلك لم يكن من قبيل الوشايات, بدليل أن المنصور خرج بنفسه إلى ناحية الضيعة ليعاينها, فتحقق له كذب أبي أيوب [9]. فأدين عمله هذا وكان السبب الرئيس لنكبته. فحبسه

---

(1). الجهشياري، الوزراء، ص97.
(2). ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص114.
(3). الجهشياري, الوزراء, ص139.
(4). ابن طباطبا, الفخري, ص174.
(5). الدوري, النظم,جـ1, ص218.
(6). ابن طباطبا, الفخري, ص174.حسن إبراهيم حسن, تاريخ الإسلام,جـ2, ص165.
(7). البلاذري، أنساب الأشراف ، جـ3، ص245. الجهشياري, الوزراء, ص102.
(8). الجهشياري, الوزراء, ص123.
(9). ن. م. ص119،120.

المنصور، وحبس أخاه وبني أخيه " ثم طولبوا بالأموال وعذّبوا وضُيّق عليهم "[1]. وفي رواية أن المنصور قبل توليه الخلافة تزوج إحدى بنات بعض الدهاقين عندما نزل بالأهواز, فولدت منه ابناً, ولما تولى الخلافة جاءه الابن, فاعترف به وصيّره إلى أبي أيوب لرعايته, لكن أبا أيوب استوحش منه, فسقاه سُماً فمات, عرف المنصور أن موته كان بتدبير أبي أيوب , فنكبه لهذا السبب [2].

ويظهر أن المنصور استغنى في سنيه الأخيرة عن الوزير, فيذكر المسعودي (تـ346هـ/957م), أنه بعد أن استوزر وزيرين هما ابان بن عطية الباهلي, وأبي أيوب المورياني" استكتب ابان بن صدقه إلى أن مات" [3]. لم يكن منصب الوزير قد استقر في عهده , ولم تكن للوزارة صلاحيات واضحة, ولم تكن قد تطورت بعد. فكان تارة يعين وزيراً وأخرى كاتباً, وفي الحالتين لم يتجاوز مركز هذا الموظف المشورة وتنفيذ أوامر الخليفة, ولا يريد للوزير أن يكون له شأن. فانتهى عهده بين وزير وكاتب, ولم تحدد صلاحيات أي منهما.

وإذا أمعنا النظر في وزراء المنصور نجدهم من الموالي, كان يعينهم لمقدرتهم الكتابية والإدارية " لا لكبير أثرهم أو لتنفذهم "[4]. فكان عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلي[5]. وكان المورياني من قرية من قرى الأهواز, اشتراه المنصور قبل خلافته, اهتم بتثقيفه إلى أن ولاّه الوزارة[6].

وفي عهد المهدي تطور مفهوم الوزارة، فقد عهد إلى وزيره أبي عبيد الله معاوية بن يسار بتولي الأمور بعد أن استوزره سنة 159هـ/775م-163هـ/779م[7] . إن الكفاءة التي أبداها أبو عبيد

---

(1). الجهشياري, الوزراء, ص121.
(2). ن. م. ص122,121.
(3). المسعودي, مروج, جـ3, ص314.
(4). الدوري, النظم, جـ1, ص218.
(5). الجهشياري, الوزراء, ص97.
(6). ن. م. ص97.
(7). ن. م. ص141.

الله جعلت أيامه أنظر الأيام وأكثرها أبَّهة . يقول صاحب الفخري " في أيامه ـ المهدي ـ ظهرت أبَّهة الوزارة بسبب كفاية وزيره أبي عبيد الله معاوية بن يسار "[1]. إضافة إلى أن ثقة المهدي بوزيره وشخصيّة الخليفة السمحة كان لها أثر في ذلك, فكان على حد قول المسعودي (تـ346هـ/957م) " كريماً... حسن العفو, كريم الظفر, لا يدخله غفلة عند مخوفة, ولا يتكل في الأمور على غير ثقة "[2]. ويصفه صاحب الفخري (تـ709هـ/1309م) بأنه " كان شهماً فطناً كريماً "[3]. وتعبيراً عن ثقة المهدي به ورضاه عن كفاءته, فقد أعطاه سلطة واسعة. ويبدو أنه كانت له كفاءة ملحوظة في الشؤون المالية, فيُذكر عنه أنه كان يضبط أمور الخلافة، ويشير على المهدي بالاقتصاد, وحفظ الأموال [4] . وبادر إلى إصلاح شؤون الخراج في السواد , فوضع نظام المقاسمة على الغلات في الخراج [5], الذي يقوم على أخذ نسبة من المحصول. وتفرّد في زمانه بأنه كان أول من صنّف كتاباً في الخراج[6]. ويبدو أنه لم يصل إلينا . وهذا يدل على أن صلاحيات أبي عبيدالله كانت أكثر من صلاحيات الوزراء الذين كانوا في خلافة المنصور[7]. إذ تعدّت صلاحيات الوزير الأعمال الكتابية والدواوين , إلى الأعمال الاقتصادية, دلالة على اهتمام الدولة بالجانب المادي.

إن الإصلاحات التي قام بها أبو عبيدالله كانت من المفروض أن تزيد مركزه عند المهدي, لكن المهدي نكبه وعزله عن الوزارة سنة 163هـ/779م [8]. والمرجح أن السبب الحقيقي لنكبته

---

[1]. ابن طباطبا, الفخري, ص181.
[2]. المسعودي, التنبيه والاشراف, ص313.
[3]. ابن طباطبا, الفخري, ص179.
[4]. الجهشياري, الوزراء, ص158.
[5]. ابن طباطبا , الفخري, ص182.
[6]. ن. م. ص182.
[7]. جويتاين, دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية, ص95.
[8]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص44. الجهشياري, الوزراء, ص156.التنوخي, نشوار المحاضرة, جـ8, ص136. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ1, ص411. ابن الأثير, الكامل, جـ6, ص7. الجاجرمي, نكت الوزراء, ص24. ابن خلدون, تاريخ, مج 3, ق 2, ص444.

السعايات التي سار فيها الوشاة ضده, وعلى رأسهم الربيع بن يونس, إذ اتهم ابنه بالزندقة [1]. وكان المهدي قد جدّ في طلب الزنادقة وتتبعهم[2]. وكان عزل أبي عبيد الله بادرة خطيرة في عهد المهدي, إذ فسح المجال لدسائس رجال البلاط في التأثير في عزل وتعيين الوزراء[3].

استوزر المهدي يعقوب بن داوود سنة 163هـ/779م [4], ولا ترد معلومات عن الوظائف التي شغلها قبل توليه الوزارة, سوى أنه كان كاتباً لبعض ولاة خراسان[5]. ويذكر الطبري أن سبب استيزار يعقوب بن داوود يعود إلى رغبة المهدي في تتبع آل الحسن لعلاقة يعقوب بهم منذ عهد المنصور[6].

ساد الانسجام والوفاق علاقة المهدي بوزيره الجديد, وأصبح ليعقوب بن داوود صلاحيات واسعة, يشير إلى ذلك الطبري بقوله " فكان لا ينفذ للمهدي كتاب إلى عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب بن داوود إلى أمينه وثقته بإنفاذ ذلك "[7]. ويضيف الجهشياري قوله " وتفرَّد يعقوب بتدبير الأمور كلها "[8]. ويقول في مكان آخر " وغلب على أمره – المهدي – كله ووزارته يعقوب بن داوود "[9]. وبالغت بعض المصادر المتأخرة بقولها " ثم لم تزل منزلته ترتفع عند المهدي حتى استوزره, وتجاوز مرتبة الوزراة حتى فوّض إليه أمر الخلافة "[10].

وبلغ يعقوب بن داوود منزلة رفيعة عند المهدي, فكان يستطيع مقابلته في أي وقت, ويشير عليه في الأمور. يقول الطبري " ... فكان يعقوب يدخل على المهدي ليلاً, ويرفع إليه

---

[1]. انظر عنها, ابن قتيبة , الشعر والشعراء, جـ2, ص757. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص400. التنوخي, نشوار المحاضرة, جـ8, ص263.ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ2, ص159. ابن الأثير, الكامل, جـ6, ص60. ابن طباطبا, الفخري, ص183.

[2]. الجهشياري, الوزراء, ص153.

[3]. الدوري، العصر العباسي الأول، ص96.

[4]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص156. الجهشياري, الوزراء, ص155.

[5]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص154.

[6]. ن. م. جـ 8, ص155. الجهشياري, الوزراء, ص155.

[7]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص136.

[8]. الجهشياري, الوزراء, ص157. التنوخي, نشوار المحاضرة, جـ8, ص136. ابن طباطبا, الفخري, ص184.

[9]. الجهشياري, الوزراء, ص156.

[10]. مسكويه, تجارب الأمم, جـ3, ص173. النويري, نهاية الأرب, جـ22, ص116.

النصائح في الأمور الحسنة الجميلة من أمر الثغور, وبناء الحصون, وتقوية الغزاة, وتزويج العزّاب, وفكاك الأساري والمحبّسين والقضاء على الغارمين, والصدقة على المتعففين "[1]. بينما لم يكن الوزير في عهد المنصور يمارس مثل هذه الصلاحيات[2].

ويعتبر عصر المهدي بداية لوضوح ملامح الوزارة وصلاحياتها, وقد يعود ذلك إلى الاستقرار الإداري والسياسي الذي شهده عصره [3], إضافة إلى أن شخصية المهدي تختلف عمن سبقه من الخلفاء, فالسفاح أول خليفة عباسي أراد إرساء قواعد الدولة, والقضاء على معاقل الأمويين[4], وتابع المنصور بناء الدولة العباسية[5], وجاء المهدي وأركان الدولة قد استقرت, ليركن إلى الراحة[6], فاهتم بشؤون الرعية, يقول الطبري في أحداث 161هـ/777م " وأمر – المهدي – باتخاذ المصانع في كل منهل, وبتجديد الأميال والبرك وحفر الركايا مع المصانع "[7]. وفي سنة 166هـ/782م أقام البريد بين مكة والمدينة واليمن, وكان أول من وضع ذلك[8], وقد ترك له والده المنصور أموالاً كثيرة, يقول الجهشياري " وكان أبو جعفر خلَّف في بيوت الأموال عند وفاته تسع مئة ألف درهم, وستين ألف ألف درهم, فلما صرف المهدي أبا عبيد الله عن الوزارة, وقلَّدها يعقوب, زيّن له هواه, فأنفق المال, وأكبّ على اللذات والشرب وسماع الأغاني "[9]. وقال الشاعر بشار بن برد يهاجم الوضع[10] :

بني أمية هبّوا طال نومكم   إن الخليفة يعقوب بن داوود

ضاعت خلافتكم يا قوم فاطلبوا   خليفة الله بين الزقِّ والعـود

---

[1]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص 119.
[2]. ن. م. جـ8, ص70.
[3]. الجهشياري, الوزراء, ص155.
[4]. ابن طباطبا, الفخري, ص157.
[5]. ن. م. ص160.
[6]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص157. الجهشياري, الوزراء, ص159,158. ابن طباطبا, الفخري, ص185.
[7]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص136.
[8]. ن. م . جـ8, ص162.
[9]. الجهشياري, الوزراء, ص159,158.
[10]. ن. م . ص159. ابن طباطبا , الفخري, ص185.

في الوقت الذي يذكر الطبري بأنه " لم يُر في دار المنصور لهوٌ قط, ولا شيء يشبه اللهو واللعب والعبث "[1].

إن هذا لا يعني أن المهدي لم يكن مهتماً بأمور الخلافة, فلم يتمادى في إعطاء الصلاحيات الواسعة لوزارئه, إذ كان يراقب الأمور, كما أن العلاقة بينه وبين وزارئه لم تكن على وتيرة واحدة, بل تنازعها الصفاء مرة, والاضطراب مرة أخرى, وليس أدل على ذلك من نكبته لوزيره يعقوب بن داوود سنة 166هـ/782م [2], عندما شعر بخطره على الدولة [3], ثم أمر المهدي " بعزل أصحاب يعقوب جميعاً من الأعمال في الشرق والغرب, وأن يُحبس جميع أهل بيته وأقاربه "[4]. وأمْرُ نكبته مختلف فيه, فمنهم من يذكر أنه كان بسبب ميله للطالبيين [5], وينفرد المسعودي برواية أخرى وهي " أنه كان يرى الإمامة في الأكبر من ولد العباس, وأن غير المهدي من عمومته كان أحق بها منه " [6].

استوز المهدي بعده الفيض بن أبي صالح, يصفه الجهشياري (تـ331هـ/942م) بأنه " كان متكبراً متجبراً مترفعاً "[7], ويذكر صاحب الفخري (تـ709هـ/1309م) بأن المهدي فوّض إليه الأمور[8] . لكن المصادر لا تسعف في تحديد الصلاحيات والمهام التي كانت بيده .

ويرى الدوري أن أسس الوزارة رسخت في عهد المهدي واتسعت سلطاتها, ومع وجود هذه السلطة الواسعة, إلا أن الخليفة يستطيع سحبها متى أراد دون تردد أو حذر[9]. ويظهر أن

---

[1]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص63. ابن طباطبا, الفخري, ص159.
[2]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص154. ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ2, ص147. الحصري, زهر الآداب, جـ3, ص151. مسكويه, تجارب الأمم, جـ3, ص473. ابن الأثير, الكامل, جـ6, ص69. النويري, نهاية الأرب, جـ22, ص116. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص147.
[3]. الأزدي, تاريخ الموصل, ص239. مسكويه , تجارب الأمم, جـ3, ص372. ابن طباطبا, الفخري, ص174.
[4]. الجهشياري, الوزراء, ص163.
[5]. ن. م. ص161,160. ابن طباطبا, الفخري, ص186,185.
[6]. المسعودي, مروج, جـ4, ص137.
[7]. الجهشياري, الوزراء, ص164.
[8]. ابن طباطبا, الفخري, ص188.
[9]. الدوري, النظم, جـ1, ص221.

الوزراء أنفسهم كانوا يخشون خطورة منصب الوزارة, وقد يفكرون في التخلي عنه [1], ويذكر الجهشياري أن يعقوب بن داوود كان " قد ضجر بموضعه ... وقدّم النية على تركه ". وكان يقول للخليفة " أعفني وولّ من شئت, فإني أحب أن أسلم عليك أنا وولدي, والله إني لأتقرَّع في الليل منذ وليتني أمور المسلمين "[2]. ويرى براون أن هذا المنصب لم يكن مطمعاً لرجال البلاط, لأنه كان محفوفاً بالمخاطر[3]. ومما يبرر هذا الرأي ما ذكرته الروايات عن النهايات المأساوية لبعض من تولى هذا المنصب في هذه الفترة, حتى أصبح بحق سلَّم المجد والنكبات كما أطلق عليه البعض[4]. ومن جهة أخرى فإن عصر المهدي له أهميته في تطور مفهوم الوزارة, وفي بلورة صلاحياتها.

لم تطُل فترة حكم الهادي، مما يتعذر معه استخلاص صورة واضحة لمعالم الوزارة في عهده . استوزر الهادي الربيع بن يونس[5]. ولا يصرح الطبري باسيزار الهادي إبراهيم بن ذكوان الحراني, ويقول" وكان إبراهيم الحراني في موضع الوزارة لموسى "[6]. والمسعودي لا يذكره بين وزراء الهادي [7]. ويطلق خليفة بن خياط على إبراهيم الحراني لقب وزير, ويقول بأنه كان للهادي " وزيره وصاحب أمره "[8]. ويذكر الجهشياري الذي كرّس كتابه للحديث عن الوزراء والكتّاب, بأن الهادي لما صرف الربيع بن يونس عن الوزارة " قلَّدها إبراهيم بن ذكوان الحراني "[9]. إلا أنه لا تتوافر معلومات عن دوره الإداري, إذ لم يُعمِّر في الوزارة طويلاً بسبب وفاة الهادي.

---

1). الجهشياري, الوزراء, ص160.
2). ن. م. ص160.
3). براون, تاريخ الأدب في ايران, جـ1, ص421.
4). عبد الحليم عبَّاس, البرامكة في بلاط الرشيد, ص10.
5). الجهشياري, الوزراء, ص167.
6). الطبري, تاريخ, جـ8, ص207
7). المسعودي, مروج, جـ4, ص337.
8). خليفة بن خياط, تاريخ, ص447.
9). الجهشياري, الوزراء, ص167.

يلاحظ مما مر أن منصب الوزارة كان بين وزير وكاتب, هذا أدى إلى عدم وضوح سلطة الوزير وصلاحياته, نتج عنه تصادم مستمر بين الخلفاء ووزرائهم, أدى إلى تأكيد سلطة الخليفة, كما أن الوزراء كانوا في عهد السفاح وعهد المنصور كتَّابا بالدرجة الأولى[1]. ثم استقر منصب الوزارة في عصر المهدي, وفقاً للمسعودي الذي يقول " فلم يكن الخلفاء والملوك تستوزر إلا الكامل من كتّابها "[2]. وهذا دليل على أن الحذق بالأمور الكتابية كان ضرورياً لجميع أولئك الذين يشغلون هذا المنصب, إذ كانوا يعينون من كتَّاب الدواوين. فرغم أن أبا سلمة حمل لقب وزير حتى قبل عصر السفاح, لكن مضى وقت طويل حتى أصبحت وظيفة الوزير نظاماً دائماً وأساسياً ، بدأت تترسخ أسسها زمن المهدي, بعد أن اتسعت صلاحياتها, وأصبحت سلطة الوزير ظاهرة, فقد " قلّد أبا عبيد الله وزارته ودواوينه "[3]. ويرى جويتاين أن الوزارة أينعت وتطورت زمن المهدي نتيجة للصلاحيات التي أعطيت لوزارئه[4]. بعد أن اتسعت سلطتهم و صارت على الدوواين كافة.

---

(1). الطبري, تاريخ, جـ8, ص182. الجهشياري, الوزراء, ص 89.
(2). المسعودي , التنبيه والإشراف, ص294.
(3). الجهشياري, الوزراء, ص141.
(4). جويتاين, دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الإسلامية, ص94.

ـ استيزار يحيى البرمكي

حفظ الرشيد ليحيى البرمكي موقفه [1], وتذكر المصادر أنه قلّده الوزارة فور توليته الخلافة، وقال له: " يا أبة, أنت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك, وحسن تدبيرك, وقد قلّدتك أمر الرعية, وأخرجته من عنقي, فاحكم بما ترى، واستعمل من شئت, واعزل من رأيت, فإني غير ناظر معك في شيء" [2]. وفي ذلك يقول إبراهيم الموصلي[3]:

ألم تَرَ أن الشمس كانت سقيمــة　　　فلما ولي هارون أشرق نورها

بيمن أمين الله هارون ذي الـنّدى　　　فهارون واليها ويحْيى وزيرها

وبموجب هذا التفويض جرّد الرشيد نفسه من كافة الصلاحيات, وعهد بها إلى يحيى بن خالد, وأصبح الأمر والنهي بيده, وأعطاه سلطة تكاد تكون مطلقة, مما يدعو إلى الشك أصلاً بنصوص هذا التفويض " لأنه يناقض أسس الخلافة العباسية من الناحية الدينية "[4]. ويُعتبر انتقاصاً لمكانة الرشيد, وإقرارا ضمنياً بتنازله عن بعض اختصاصاته كخليفة. ويرى سورديل أن هذا الاعتراف بسلطة يحيى من قبل الرشيد لا يمثل دلالة الواقع [5], بينما يؤيد جويتاين صدور هذا التفويض من الرشيد, على اعتبار أنه كان لا يزال شاباً, وهو يدين ليحيى في وصوله للحكم, وفوق كل ذلك تنقص الرشيد الكفاءة والخبرة في إدارة شؤون العامة[6]. وما قدّمه جويتاين لا يُعدّ مبرراً

---

[1]. انظر الفصل الأول، ص29- 35.
[2]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص233. الجهشياري, الوزراء, ص177. المسعودي, مروج, جـ4, ص196. مجهول, العيون والحدائق, جـ3, ص291. مسكويه, تجارب الأمم , جـ3, ص504. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ6, ص 221. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص160.
[3]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص233. المسعودي, مروج, جـ4, ص196. الأصبهاني, الأغاني, جـ5, ص242. ابن العمراني, الإنباء, ص75. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ6, ص 221. ابن كثير , البداية والنهاية, جـ10، ص160.
[4]. الدوري, النظم, جـ1, هامش1, ص222.
[5]. Sourdel , Le Vizirat Abbaside, vol.1,p.136.
[6]. جويتاين, دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية, ص97.

لتفويض يحيى البرمكي أمور الخلافة, بالرغم من صغر سن الرشيد، الذي لم يكن يتجاوز الثانية والعشرين [1], وقد يكون صنائع البرامكة من الرواة قد وضعوه على لسانه, وربما ساعد ارتفاع نفوذ البرامكة في بداية عهد الرشيد على وضع مثل هذا القول, مما يقود إلى الشك أيضاً بما صدر عن الرشيد سنة 178هـ/794م, ففي رواية يذكرها الطبري بدون إسناد أنه " في هذه السنة فوّض الرشيد أموره كلها إلى يحيى بن خالد بن برمك "[2]، وأصبح من أعظم الوزراء على حد قول الذهبي (تـ748هـ/1347م) [3], ويرى بوفا أنه بموجب هذا التفويض أصبح يحيى البرمكي الحاكم المطلق لبلاد الخلافة[4]. غير أنه لم تكن هناك ضرورة أو سابقة لمثل هذا التفويض, ويظهر أن يحيى البرمكي في السنوات الأولى من حكم الرشيد كان يرجع إلى الخيزران ويأخذ بتوجيهاتها, يقول عنها الطبري (تـ310هـ/922م) " أنها كانت هي الناظرة في الأمور "[5]. ويقول الجهشياري (تـ331هـ/942م) " وقام يحيى بالأمور, وكان يعرض على الخيزران ويورد ويصدر عن أمرها "[6]. ويضيف ابن كثير (تـ774هـ/1372م) " فكانت هي المشاورة في الأمور كلها, فتبرم وتمضي وتحكم "[7]. إذ كان يحيى يحاول جاهداً استرضاءها والامتثال لأوامرها ورغباتها[8], بعد أن كان يقنعها, وهي لم تكن تعارضه, إذ انشغلت بجمع المال, وعُرفت بحبها له [9]. وترد إشارات إلى أن يحيى البرمكي كان يثني الخيزران عن اتخاذ بعض الإجراءات التي كان يراها غير مناسبة, بحكمة وتواضع, إذ اقترح عليها في بداية حكم الرشيد عندما أرادت قتل كل من تسرّع إلى خلع الرشيد قوله " يُرمى بهم في نحور الأعداء, فإن دافعوا عن أنفسهم, كان لهم في الدفع عنها شغل, وإن أصابهم العدو, كنت قد استرحت منهم, فأذنت له في ذلك, فتخلص من القوم

---

(1). البلاذري, أنساب الأشراف, جـ3, ص278. الطبري, تاريخ, جـ8, ص230.

(2). الطبري, تاريخ, جـ8, ص256. تاريخ الموصل, ص280. ابن حمدون, التذكرة الحمدونية, جـ7, ص207. ابن الأثير, الكامل, جـ6, ص145. النويري, نهاية الأرب , جـ22, ص131. ابن كثير , البداية والنهاية, جـ10, ص178.

(3). الذهبي, سير أعلام , جـ9, ص60.

(4). Bouvat, Les Barmacides, p ,49.

(5). الطبري, تاريخ, جـ8, ص234.

(6). الجهشياري, الوزراء, ص177.

(7). ابن كثير , البداية والنهاية, جـ10, ص165.

(8). Sourdel , Le Vizirat Abbaside, vol,1,p.140

(9). المسعودي، مروج، جـ4، ص196.

شغل, وإن أصابهم العدو, كنت قد استرحت منهم, فأذنت له في ذلك, فتخلص من القوم جميعاً "[1].

ومع ذلك لم يصل يحيى في الدولة إلى وصف صاحب الفخري (تـ709هـ/1309م) - المتحمس للبرامكة – الذي يندفع ويقول " فنهض يحيى بن خالد بأعباء الدولة أتمَّ النهوض وسدّ الثغور, وتدارك الخلل, وجبى الأموال, وعمّر الأطراف, وأظهر رونق الخلافة "[2].

وبموت الخيزران سنة 173هـ/789م , فقد البرامكة حليفاً قوياً, وبدأت سلطتهم تتقلّص تدريجياً, رغم أنها كانت بطيئة, فالأحداث تدل على أن الرشيد كان يراقب ويشرف، رغم ما يبدو من ثقته بالبرامكة, ويظهر ذلك فور انتهاء موكب التشييع, إذ يبدو أن الرشيد كان يفكر بتولية الفضل بن الربيع لمنصب أو لأخر, فتمنعه أمه من توليته[3]. ولعلّ الرشيد لم يتخذ مثل هذا القرار إلا بعد أن شعر باتساع سلطة البرامكة[4], إذ أصبحت عطاياهم تفوق عطايا الخليفة نفسه[5]. لكن لا توجد دلائل تاريخية تبين أن الفضل بن الربيع تسلّم ديوان الخاتم بشكل فعلي, فالرشيد ردّ هذا الديوان سنة 180هـ/796م إلى يحيى البرمكي بعدما كان إلى ابنه جعفر, وليس إلى الفضل بن الربيع[6].

كما ولـّى الرشيد علي بن عيسى بن ماهان خراسان سنة 183هـ/799م على غير إرادة يحيى البرمكي[7], فلما حمل علي بن عيسى بن ماهان خراج خراسان إلى الرشيد " وكان مقداراً عظيماً "[8] , التفت إلى يحيى وقال له " هذا أثر ما ارتأيناه وخالفتنا عليه "[9], وعندما عزل

---

(1). الجهشياري, الوزراء, ص178.
(2). ابن طباطبا, الفخري, ص198.
(3). الطبري, تاريخ, جـ8, ص238.
(4). ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص100.
(5). العسكري, الأوائل, ص277,276. التنوخي, المستجاد, ص138.أبو حيان التوحيدي, البصائر,جـ8, ص54.
(6). الطبري، تاريخ، جـ8، ص265.
(7). ن. م. جـ8, ص304.
(8). ن. م. جـ8, ص314.
(9). ن. م. جـ8, ص314. الكتبي, غرر الخصائص, ص 201. ابن أبي عون, الأجوبة المسكته, ص32.

علي بن عيسى بن ماهان عن خراسان, استشار يحيى بن خالد, فأشار عليه بإرسال يزيد بن مزيد, لكن الرشيد لم يقبل مشورته [1].

خصّ الرشيد يحيى البرمكي بمزايا عديدة, وقلّده وظائف استثنائية " فهو أول من أمِّر من الوزراء "[2], ولم يكن أحد من الخلفاء قد فعل ذلك مع وزرائه, فهي بدعة جديدة, ويبدو أن هذا اللقب الذي ينفرد بذكره الجهشياري, جاء بعد أن قلّد الرشيد يحيى البرمكي ديوان الخاتم[3] – أهم الدووابن- الذي لم يكن يتولاه عند بين أمية إلا أوثق الناس عندهم[4]. إذ كانت الدواوين كلها بيد يحيى بن خالد مع الوزارة [5] باستثناء ديوان الخاتم الذي كان مع أبي عباس الطوسي[6], إذ قلّده إياه الرشيد بعد أن عزله عن خراسان سنة 170هـ/786م[7], وأضيف هذا الديوان إلى يحيى البرمكي بعد مرور سنة على حكم الرشيد[8] بعد موت أبي العباس الطوسي سنة 171هـ/787م[9]. " فاجتمعت له الوزارتان "[10]. وهذا اللفظ يطلقه الطبري لأول مرة, وهو يرمز إلى سلطة جديدة تمتع بها يحيى بن خالد. وهكذا اتسعت سلطات الوزير حتى صارت على الدواوين كافة .

ويبدو أن تحويل ديوان الخاتم كان بتدبير يحيى البرمكي، الذي كان يكثر من تقديم الرسائل الصادرة من ديوان الخراج باسم الخليفة, وكان الطوسي يتأخر في ختمها[11], حتى شكا يحيى هذا إلى الرشيد, فنقل ديوان الخاتم إليه, وأصبح يحيى البرمكي ينفذ الكتب, ويختمها بنفسه. يقول الجهشياري " فأمره أن يكاتب العمال عن نفسه, وأمر كاتبه أن يكاتب عنه في المهم, وأن

---

(1). الطبري, تاريخ, جـ8, ص315.
(2). الجهشياري, الوزراء, ص177.
(3). الذهبي, تاريخ الإسلام, جـ11, ص17. ابن كثير , البداية والنهاية, جـ10, ص160.
(4). الصولي, أدب الكتّاب, جـ2, ص141.
(5). الجهشياري, الوزراء, ص177.
(6). الطبري, تاريخ, جـ8, ص235. الجهشياري, الوزراء, ص177.
(7). الدينوري، الأخبار الطوال، ص387. الطبري, تاريخ, جـ8, ص235. الذهبي, تاريخ الإسلام, جـ11, ص17.
(8). الذهبي, تاريخ الإسلام, جـ11, ص17. ابن كثير , البداية والنهاية, جـ10, ص160.
(9). خليفة بن خياط، تاريخ، ص465.
(10). الطبري, تاريخ, جـ8, ص235.
(11). الجهشياري, الوزراء, ص178.

يؤرخ الكتب باسم الكاتب "[1], وفي هذا دلالة واضحة على أن الرشيد لم يفوّض يحيى البرمكي تفويضاً مطلقاً بما يصدر عنه من الكتب, بل أمر الرشيد كاتبه الخاص بتولي الأمور المهمة. ويرى براون أن يحيى البرمكي كان يهدف إلى التخلص من بعض الشخصيات التي تمثل العنصر العربي والقريبة من الخليفة, ليصبح أكثر الشخصيات أهمية في بلاط الرشيد[2], بعد أن حاز على ثقة الخليفة بإعطائه ديوان الخاتم[3].

ويعتبر ديوان الخاتم من المهام الجديدة التي تمتّع بها يحيى في عهد الرشيد, ومع ذلك فقد تنقّل هذا الديوان بين ولديه الفضل وجعفر, إذ قال الرشيد يوماً ليحيى " إني أريد أن أجعل الخاتم الذي بيد أخي الفضل لجعفر "[4], إذ تسلمه الفضل من أبيه يحيى, فكتب والده إليه " قد أمر أمير المؤمنين ... أن تحول الخاتم من يمينك إلى شمالك "[5] . ويظهر أن طلب الرشيد كان ودياً من يحيى, إذ قال " أريد أن أوقّع بهذا توقيعاً لا يجري مجرى العزل للفضل "[6]. وعند صاحب الفخري " إني استحييت من مكاتبة الفضل في هذا المعنى " [7]. مما يدلل على مكانة البرامكة عند الرشيد. ورغم أن المصادر سكتت عن ذكر أسباب نقل الخاتم إلى جعفر, إلا أنه يمكن القول أن ذلك كان بسبب منزلة جعفر لدى الرشيد.

---

(1). الجهشياري, الوزراء, ص178
(2). براون , تاريخ الأدب في ايران, جـ1, ص423.
(3). Sourdel, Le Vizirat Abbaside , vol .1 ,p .137
(4). الجهشياري, الوزراء, ص207. الزمخشري, ربيع الأبرار, جـ1, ص327. الحصري، زهر الآداب, جـ1, ص385. ابن بدرون, شرح قصيدة ابن عبدون, ص239. ابن حمدون, التذكرة الحمدونية, جـ4, ص186. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ4, ص27. الكتبي, غرر الخصائص, ص152. الجاجرمي, نكت الوزراء, ص33.
(5). ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ4, ص27. ابن طباطبا, الفخري, ص205. الراغب الأصفهاني, محاضرات الادباء, جـ1, ص227. الجاجرمي, نكت الوزراء, ص33.
(6). الجهشياري, الوزراء, ص207.
(7). ابن طباطبا, الفخري, ص205.

نفـّـذ الفضل طلب أبيه بأمر من الرشيد, وبذلك انتقلت رئاسة ديوان الخاتم من يحيى إلى ابنيه الفضل وجعفر, ويرى سورديل أن احتفاظ البرامكة بالخاتم لفترة طويلة, تدل على المكانة الاستثنائية التي شغلها يحيى وأبناؤه في عهد الرشيد[1].

وعهد الرشيد ليحيى بن خالد النظر في المظالم[2], بعدما كان هذا مقتصراً على الخليفة[3]. إذ كان المنصور قد عيَّن موظفاً للمظالم، وهو الحسن بن عمارة، ينظر فيها ويرفعها له للبت فيها[4], وكان المهدي أول من جلس للمظالم من بني العباس, فكان " محبباً للخاص والعام لأنه افتتح أمره النظر في المظالم " [5], ثم جلس الهادي من بعده للنظر في المظالم بنفسه[6], فكانت وظيفة النظر في المظالم من أعلى الوظائف وأرفعها رتبة, يتولى ناظر المظالم النظر في قضايا الظلم والتعدي التي يرتكبها رجال الدولة، فيما يعجز عنه القضاء, لينظر من هو أقوى يداً [7]. لهذا السبب كانت هذه المهمة مقتصرة على الخلفاء, ثم أوكلت فيما بعد للوزراء, فكان يحيى البرمكي ينظر في ظلامات الناس.

ولعل عمل يحيى بن خالد هذا كان يريح الرشيد في البداية, ويذكر الجهشياري (تـ331هـ/942م) أن يحيى بن خالد عندما كان ينظر في أمور المتظلمين أثنى عليه الرشيد بقوله " بارك الله عليه وأحسن جزاؤه, فقد خفف عني, وحمل الثقل دوني, وناب منابي "[8]. وترد رواية في الفخري (تـ709هـ/1309م) وهو متأخر, يتضح فيها أثر الدعاية المضادة للرشيد بصورة مكشوفة, إذ يقول على لسان الرشيد" جزى الله يحيى خيراً, تصدّى للأمور, وأراحني من الكدِّ,

---

(1). Sourdel, Le Vizirat Abbaside , vol .1 ,p .139,140.

(2). الجهشياري, الوزراء, ص225. الأصبهاني, الأغاني, جـ5, ص90.
(3). الطبري, تاريخ, جـ8, ص216. الأزدي, تاريخ الموصل, ص232.
(4). وكيع, أخبار القضاة, جـ3, ص241.
(5). المسعودي, مروج, جـ4, ص137.
(6). الطبري, تاريخ, جـ6, ص216.
(7). الماوردي, الأحكام السلطانية, ص132.
(8). الجهشياري, الوزراء, ص255.

ووفرَّ أوقاتي على اللذة "[1]. ويوافق الفخري ما جاء في بعض كتب الأدب من روايات موالية للبرامكة، والتي صوّرت الرشيد غارقاً في الملذات[2], في الوقت الذي كان الرشيد فيه منشغلاً بأمور الخلافة, ومشاكلها الكثيرة, حتى أناب عنه وزيره يحيى بن خالد, إذ كان الرشيد يولي اهتماماً كبيراً بشؤون الرعية, ومما يُروى عنه، أنه عندما ألح عليه الثلج في بعض غزواته قال له بعض أصحابه " أما ترى يا أمير المؤمنين ما نحن فيه من الجهد والرعية وادعة؟ " فأجاب " اسكت على الرعية المنام وعلينا القيام ولا بد للراعي حراسة رعيته "[3].

وثمة ظاهرة أخرى تمثلت في منصب الوزير, إذ كان الفضل وجعفر يقومان ببعض المهام مع يحيى, وحسب رواية الجهشياري, كانا يحضران الجلسات التي يعقدها يحيى للنظر في أمور العامة " فكان يحيى وابناه الفضل وجعفر يجلسون جلوساً عاماً في كل يوم إلى انتصاف النهار, ينظرون في أمور الناس وحوائجهم "[4].

ثم كان يحيى يتولى النظر في بيت المال, فينظر إلى ما يرد إليه من الأموال وما يخرج منه في وجوه النفقات. ويبدو أنه كان له اختصاصات بالجانب المالي, ومع ذلك ترد إشارات إلى وجود أشخاص كانوا يساعدونه في ذلك, ولعل أكثرهم أهمية, أبو الوزير عُمَرَ بن مطَرِّف الذي تقلّد ديوان المشرق للمهدي أثناء ولايته للعهد, وكتب له في خلافته, ثم كتب للهادي وللرشيد من بعده, إذ قدَّم ليحي البرمكي كشفاً لواردات بيت المال، من أموال نقدية وعينية من كافة بلدان الخلافة [5], للموازنة بين دخل الدولة وخراجها. كما خصَّ الرشيد يحيى البرمكي بميزة أخرى " لم تكن تنفذ إلا عن الخليفة "[6], وهي الكتب التي كانت تصدر عن ديوان الخراج. يقول الجهشياري "

---

[1]. ابن طباطبا, الفخري, ص208.
[2]. الأصبهاني, الأغاني, جـ18, ص220.
[3]. الاربلي, خلاصة الذهب المسبوك, ص110.
[4]. الجهشياري, الوزراء, ص177.
[5]. ن. م. ص281.
[6]. ن. م. ص178.

وكانت الكتب التي تنفذ من ديوان الخراج تؤرخ باسم يحيى بن خالد "[1]. فديوان الخراج من أهم الدواوين المختصة بالإيرادات, وهو المسؤول عن تنظيم الخراج وجبايته[2], وقد عهد الرشيد ليحيى بالإشراف عليه, فأصبح له صلاحيات مالية مهمة, وترد إشارات عند الأزدي (تـ334هـ/945م) إلى تكليف الرشيد يحيى البرمكي الخروج بنفسه إلى أهل الموصل سنة 175هـ/791م، عندما كسر الخراج عندهم, لينظر في أمرهم, ويتعرف على أحوال الخراج عندهم[3].

كان الرشيد على صلة مباشرة بإدارة الدولة, وكان يشير على يحيى البرمكي بتولية العمال, والولاة, وكتّاب الدواوين[4], وترد إشارات إلى أن يحيى البرمكي عيَّن أحمد بن يزيد السلمي على ولاية الموصل, ثم ولاّه ثغور إرمينية[5], وقلّد ثابت بن موسى ديوان العراقين وخراج الشام[6], إذ كان موسى على دراية كبيرة بأمور الخراج، وقد تقلّد خراج الكوفة زمن المنصور[7], وحسب ما يذكره الجهشياري, فإن يحيى البرمكي طلب من أبي عبيدالله معاوية بن يسار وزير المهدي السابق أن يقلّده ديوان الرسائل وديوان الخاتم, غير أن أبا عبيدالله استعفى لكبر سنه[8]. ومن جهة أخرى كان الرشيد يشاور يحيى البرمكي ببعض الإجراءات الإدارية والعسكرية, ففي عام 183هـ/799م استشاره الرشيد بتولية علي بن عيسى بن ماهان على خراسان[9], وفي عام 187هـ/802م, أشار على الرشيد قبول الصلح الذي طلبه نقفور ملك الروم[10], وليس كما يرى المدور " بأن يحيى عمل على تقويم الدولة, ولم يكن للرشيد من الخلافة إلا الاسم "[11].

---

(1). الجهشياري, الوزراء, ص178.
(2). أبو يوسف, الخراج, ص23.
(3). الأزدي, تاريخ الموصل, ص276.
(4). الطبري, تاريخ, جـ8, ص352. الأزدي, تاريخ الموصل, ص295.
(5). الأزدي, تاريخ الموصل, ص295.
(6). الجهشياري, الوزراء, ص177.
(7). ن. م. ص124.
(8). ن .م. ص 179.
(9). الطبري, تاريخ, جـ8, ص314.
(10). الجهشياري, الوزراء, ص207. الطبري, تاريخ, جـ8, ص307.
(11). المدور, حضارة الإسلام, ص103.

ولم يُروَ عن يحيى بن خالد أنه قام بفتح أو غزو[1], فقد اقتصر عمله على الوزارة وأمور الإدارة, على خلاف أبيه خالد, وترد إشارات إلى تكليف الرشيد ليحيى سنة 178هـ/794م للقضاء على عبدويه الأنباري, الذي غلب على افريقيه, وقد كثر اتباعه, وعظم شأنه, فأرسل يحيى البرمكي إليه يقطين بن موسى, وكاتبه منصور بن زياد " فلم يزل يحيى بن خالد يتابع على عبدويه الكتب بالترغيب بالطاعة والتخويف للمعصية والإعذار إليه والإطماع والعِدَة حتى قبل الأمان " وكفَّ عن عمله وقدم بغداد[2].

ويبدو أن الرشيد وإن أقرّ فعلياً ببعض الصلاحيات لوزيره يحيى البرمكي, إلا أن الرشيد كان يتابع الأمور بنفسه. ومن جهة أخرى استقر منصب الوزير، وبقي لفترة طويلة, إذ تقلّد يحيى ابن خالد الوزارة مدة سبع عشرة عاماً. ويرى جويتاين أن وضع يحيى البرمكي أوجد فكرة الوزير المفوّض تفويضاً مطلقا[3], لأن يحيى صار لهارون وزيره وصاحب أمره [4]. وشطت بعض المصادر المتأخرة إلى القول، بأنه فوّض له أمور خلافته[5], وغالى صاحب الفخري (تـ709هـ/1309م) بالقول " ... وظهرت دولة بني برمك منذ حيئذٍ "[6]. وكان يسميها الدولة البرمكية.

ويجب ألا يستنتج أن يحيى البرمكي تمتع بفكرة الوزير المفوض تفويضاً مطلقاً بشكلها الواقعي كما صوّرتها بعض الروايات التي شطت في ذلك, فكل ما في الأمر أن علاقة يحيى بالرشيد كانت حسنة, جعلته يتمتع بصلاحيات واسعة, إضافة إلى صلته بالخيزران, كما لا يغيب عن البال الصلاحيات التي تمتع بها الوزير زمن المهدي.

---

(1). الطبري, تاريخ, جـ8, ص268.
(2). ن. م. جـ8, ص256.
(3). جويتاين, دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الإسلامية, ص97.
(4). خليفة بن خياط, تاريخ, ص465.
(5). النويري, نهاية الأرب, جـ22, ص131.ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص170.
(6). ابن طباطبا, الفخري, ص197.

كان يحيى بن خالد يعمل على اصطناع الأولياء والأنصار[1], فقد أجزل العطايا والصلات على الفقهاء والأدباء, كما أجرى الأرزاق على وجوه أهل الأمصار, وانفتح يحيى على العامة بإنشاء كتاتيب لليتامى[2], وكانت الحياة اليومية تحظى باهتمام كبير من يحيى البرمكي وأبنائه, فما كانت ترفع لهم قضية يلتمس فيها صاحبها حاجة، إلا استنابوا لها, ويُذكر أن أصحاب الحوائج كانوا يُكثرون القعود بالقرب من باب يحيى, فكان يلقاهم ببشر وطلاقة ويلبي لهم حوائجهم, وقلما يمضي يوم إلا ويصل يحيى من يطلبه في حاجة[3], فمدحه الشعراء والأدباء[4], إذ كان بعضهم يتحدث بفضائل البرامكة وكرمهم[5], حتى خرج شعرهم إلى إطار المغالاة في المدح, وقيل ليحيى, لِمَ لا تقول الشعر, قال شيطان أخبث من أسلطه على عقلي, ولا خير في شيء أحسنه أكذبه[6]. وروى صاحب العقد الفريد(تـ328هـ/939م) [7], أن أحد الشعراء أتى يحيى بن خالد فأنشده :

سألت الندى هل أنت حرٌ فقال لا　　　ولكنني عبدٌ ليحيى بن خالد

فقلت شراءٌ قال لا بـل وراثـــة　　　توارثني عن والدٍ بعد والـد

جاء عند الجهشياري (تـ331هـ/942م) [8], والبيهقي (تـ320هـ/932م) [9], سؤال يحيى مؤدبي ابنه إبراهيم – الذي توفي صغير السن – ما يؤيد ذلك, قال: هل اتخذتم له في أعناق الرجال مننأ, وحببتموه إلى الناس؟ قالوا : لا, قال: فبئس العشراء أنتم , وهو إلى هذا أحوج [10]. بل

---

[1]. الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ14, ص136,135.
[2]. الجهشياري, الوزراء, ص177. الأصبهاني, الأغاني, جـ14, ص199.
[3]. الجهشياري, الوزراء, ص178.
[4]. الأصبهاني, الأغاني, جـ2, ص336.ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ4, ص448. ابن المعتز, طبقات الشعراء, ص421.
[5]. ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ4, ص448.
[6]. الثعالبي, رسائل, ص3.
[7]. ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ1, ص268. الحموي, ثمرات الأوراق, ص144.
[8]. الجهشياري, الوزراء, ص180.
[9]. البيهقي, المحاسن والمساويء, ص158.
[10]. الجهشياري, الوزراء, ص180. البيهقي, المحاسن والمساويء, ص158.

إن البيهقي يذكر أن البرامكة كانوا يخرجون بالليل سراً ومعهم الأموال يتصدقون بها دون أن يدري بهم أحد[1].

وعُرف يحيى البرمكي بالفصاحة والبلاغة, حتى بالغ الكتّاب والمؤرخون في الحديث عنها[2]. يقول صاحب الفخري عنه بأنه " كان كاتباً بليغاً لبيباً أديباً "[3] . ورأيه في البلاغة كما يرد عند الجهشياري " أن تكلم كل قوم بما يفهمون "[4]. ولم يُروَ عنه قوله للشعر, ويورد الماوردي (تـ450هـ/1058م) بيتين من الشعر اقتضتها ضرورة الموقف, فقد أنشد وهو يحض أبنه جعفر على العلم[5] :

تفنّن وخذ من كل علم فإنما   يفوق امرؤ في كل فن له علم

فأنت عدوّ للذي أنت جاهلٌ   به ولعلم أنت تتقنه سَلْمُ

أما نثره فكثير, وهو موجز بليغ, يصل به إلى ما يريد بعبارات سهلة قصيرة, ولا يكاد يخلو كتاب من كتب التاريخ والأدب , إلا احتوى على شيء من نثره, إذ اشتهر في إعداد التوقيعات التي كانت تتصف بالبلاغة والإيجاز عند التعليق على رسالة أو عريضة[6]. فكان يقول لأولاده " إن استطعتم أن تكون كتبكم كلها توقيعات فافعلوا "[7]. يريد بذلك حضهم على الإيجاز والاختصار. وفي رواية أن ابنه جعفراً قال هذا لكتّابه[8], ومن توقيعات يحيى البرمكي لأحد عماله

---

[1]. البيهقي, المحاسن والمساويء, ص193.
[2]. الجاحظ, رسائل, جـ1, ص103.
[3]. ابن طباطبا, الفخري, ص98.
[4]. الجهشياري, الوزراء, ص210.
[5]. الماوردي, أدب الدنيا والدين, ص31.
[6]. الجهشياري, الوزراء, ص210.
[7]. ابن حمدون, التذكرة الحمدونية , جـ6, ص314.
[8]. الجاحظ, البيان والتبيين, جـ1, ص115. الصولي, أدب الكتّاب, جـ2, ص134.

" قد كثر شاكوك, وقلَّ شاكروك, فإما اعتدلت, وإما اعتزلت, والسلام "[1]. ومما يُذكر عنه أنه لم يكن يتأخر في إعداد التوقيعات للرد على أصحابها [2].

وكان يحيى البرمكي أول من زاد في الكتب " واسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله"[3]. ووضع كتاباً بذلك, ويبدو أنه لم يصل إلينا. وأظهر يحيى البرمكي غاية في الحِلم, وترد عند الجهشياري حكاية ظريفة, فيروي أن يحيى بن خالد كان يتحدث والخدم يترامون بالبطيخ, فأصابت بطيخة وجهه, فلم يحرك ساكناً, ولم يشعرهم بغضب [4].

ويشار إلى اهتمام يحيى بن خالد بالحكمة والكلام[5], يقول المسعودي (تـ346هـ/957م) أن يحيى كان " ذا علم ومعرفة وبحث ونظر "[6]. وتبدو عنايته بالثقافة بأن طلب من عبد الحميد بن عبد الرحمن اللاحقي ترجمة كتاب كليلة ودمنة شعراً, مقابل عشرة آلاف دينار[7]. ويُذكر أن سيبويه قدِم بغداد في خلافة الرشيد وقصد يحيى بن خالد, فجمع بينه وبين الكسائي والأخفش للمناظرة في بعض المسائل اللغوية [8]. كما عُرف يحيى بمجالسه العلمية, ويذكر ابن حزم الأندلسي (تـ456هـ/1063م), أن يحيى بن خالد " كان يعقد في بيته مجلساً يحضره أهل البحث والنظر"[9]. ويضيف المسعودي أن مجلسه كان يجتمع فيه كثير من أهل الكلام, وأبرزهم علي بن هيثم من متكلمي الشيعة, ومحمد بن الهذيل العلاّف شيخ البصرين, وهو معتزلي المذهب, وهشام بن الحكم شيخ الإمامية, وكانوا يتكلمون في مواضيع شتى؛ تشمل العلوم الشرعية, والعلوم العقلية[10].

---

(1). المسعودي , مروج, جـ4, ص19. الثعالبي, تحفة الوزراء, ص147. الراغب الأصبهاني, محاضرات الأدباء, ص223.

(2). الجهشياري, الوزراء, ص188. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية , جـ2, ص243,242.

(3). الجهشياري, الوزراء, ص177.

(4). ن. م. ص187.

(5). اليعقوبي, مشاكلة الناس, ص25.

(6). المسعودي , مروج, جـ4, ص370.

(7). ابن بدرون, شرح قصيدة ابن عبدون, ص231,230.

(8). ابن النديم, الفهرست, ص233. الخوانساري , روضات الجنات, جـ5, ص322. طاش كبري زاده , مفتاح السعادة, جـ1, ص140. القفطي, إنباء الرواة , جـ2, ص359,358.

(9). ابن حزم الأندلسي, طوق الحمامة, ص24.

(10). المسعودي , مروج, جـ4, ص370،377. الخوانساري, روضات الجنات, جـ7, ص274.

ولم يرد أنه كان ليحيى بن خالد أي مجانبة أو ميول متشددة, ويبدو أن ذلك ترك أثراً حسناً عند جلسائه. وبالغت الروايات في إظهار مجالس البرامكة على أنها مجالس للتفكير الحر, من خلال طرح بعض الآراء المتضاربة في المجالس التي يعقدونها [1]. ولم تخرج مثل هذه الروايات والآراء عن إظهار البرامكة وكأنهم رواد الحرية والفكر في الدولة العباسية, فأشاعت قصصاً روّجتها بين الناس لرفع مكانتهم.

توفي يحيى بن خالد سنة 190هـ/805م بالرقة [2], بعد أن حبسه الرشيد, ويذكر الجهشياري أن الرشيد اغتم لوفاته, وقال: اليوم مات أعقل الناس وأكملهم [3], ودفن بالرافقة على شاطيء الفرات[4]. ومما يُذكر عنه أنه احتفر نهر سيْحان بالبصرة[5].

استعان يحيى البرمكي بأبنائه في تصريف شؤون الدولة, وخاصة الفضل وجعفر, ويرى سورديل بأن يحيى منذ البداية ربط أبناءه بواجباته الإدارية والحكومية[6], وأصبح الرشيد محاطاً بعائلة البرامكة.

---

(2). المسعودي , مروج, جـ4, ص371,370.
(3). الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ14. ص136.
(4). الجهشياري, الوزراء, ص 261.
(5). الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ14، ص136.
(6). الطبري, تاريخ, جـ8, ص266.
(7). Sourdel, Le Vizirat Abbaside , vol .1 ,p .136 .

الفضل هو أخو الرشيد بالرضاعة[1], وكان يدعوه أخي, وهو أكبر أبناء يحيى, ومع ذلك كان جعفر أقرب إلى الرشيد من الفضل, وكثيراً ما كان الرشيد يقول ليحيى, أنت للفضل وأنا لجعفر. ولعل ذلك عائد إلى شخصية جعفر الذي كان أطلق وجهاً [2], يأنس به الرشيد أكثر من الفضل, لسهولة أخلاق جعفر. وأظهرت بعض المصادر الفضل أكثر اتزاناً وجدية من جعفر[3]، إذ يصف الجهشياري (تـ331هـ/942م) الفضل بأنه " كان شديد الكِبر "[4] . ويقول الخطيب البغدادي (تـ462هـ/1069م) " وكان فيه كِبر شديد "[5] . وفي رواية عن الواقدي أن يحيى بن خالد كان ينهى ابنه الفضل عن ذلك, ويُذكر عنه أنه دخل على أبيه يتبختر في مشيته, فكره ذلك منه وعلّق " ... إن البخل والجهل مع التواضع أزْين بالرجل من الكِبر مع السخاء "[6]. لذلك " كان جعفر أحظى منه- عند الرشيد ـ وأخص " [7]. ويظهر أن الرشيد وجد في جعفر ما يوافق ميوله, فكان قريباً منه, يشارك في مجالس أنسه [8], في الوقت الذي لم يكن الفضل كذلك, وكان يقول " لو علمت أن الماء يُنقص من مروئتي ما شربته أبداً " [9].

كان الفضل كريماً [10], وكتب التاريخ والأدب زاخرة بالأخبار والروايات التي تتحدث عن كرمه, والتي تصل أحياناً إلى حد الخيال [11], حتى وصفه البعض بحاتم الإسلام[12]. فجاد

---

(1). الطبري, تاريخ, جـ8, ص230. الجهشياري, الوزراء, ص136. الشابشتي, الديارات, ص227. الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ14, ص332. ابن الأثير, الكامل , جـ6, ص106. ابن طباطبا , الفخري , ص201.
(2). الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ12, ص332.
(3) . الطبري, تاريخ, جـ8, ص293. الجهشياري, الوزراء, ص194. ابن طباطبا , الفخري , ص205.
(4) . الجهشياري, الوزراء, ص197.
(5) . الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ12, ص332. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص228.
(6). الجهشياري, الوزراء, ص198.
(7). ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص228.
(8). الأصبهاني, الأغاني, جـ14, ص120,119.
(9). الطبري, تاريخ, جـ8, ص293. الجهشياري, الوزراء, ص194.
(10) . ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ1, ص270. الأصبهاني, الأغاني, جـ5, ص195.التنوخي, المستجاد, ص135. العسكري, الأوائل, ص342. الثعالبي, رسائل, ص12. نفسه, ثمار القلوب, ص61.
(11). الأصبهاني , الأغاني, جـ2, ص195. الجهشياري, الوزراء,ص192. ابن طباطبا , الفخري , ص201 فما بعد .
(12). الثعالبي, ثمار القلوب, ص161.

الشعراء بمدحه [1]. ولا ترد معلومات عن ثقافة الفضل ولعلها كانت عالية, إذ ترد إشارات إلى تقديره لأهل الثقافة والعلم, فقد منح عبد الحميد اللاحقي الذي ترجم كتاب كليلة ودمنة شعراً, خمسة آلاف دينار تقديراً لعمله [2].

شارك الفضل في مهام الدولة, فكانت شخصيته أقرب إلى الإدارة, وكان أقرب إلى شخصية والده يحيى [3], إذ قال الرشيد يوماً ليحيى " يا أبي ما بال الناس يسمون الفضل الوزير الصغير ولا يسمون جعفراً بذلك؟ فقال يحيى, لأن الفضل يخلفني "[4] . فكان ينوب عن والده في بعض مهامه [5].

إن أهم نجاح حققه الفضل على الصعيد الخارجي, إخماده لثورة يحيى بن عبد الله بن الحسن ببلاد الديلم عام 176هـ/792م [6], بمهارة ودون سفك دماء " بعد أن اشتدت شوكته وقوي أمره " [7], وانضم إليه عدد من الخارجين على الخلافة [8]. والواقع فإن ظهور يحيى بن عبد الله كان مقلقاً للرشيد, فعمل منذ البداية على الحد من تزايد نفوذه, وقرر مواجهته عسكرياً, وندب إليه الفضل بن يحيى في جيش بلغت عدته ـ فيما قيل ـ خمسين ألف مقاتل [9].

عمل الفضل على تهدئة الوضع, وأظهر حنكة مكّنته من الحيلولة دون قيام الثورة, إذ اتبع سياسة المساومة واللين, بأن دعا يحيى بن عبد الله إلى الكف عن عمله, ووعده بالأمان من جانب الخليفة[10] . استجاب يحيى بن عبدالله لسياسة الفضل, ولم يتوان عن قبول الأمان , فلم يزل الفضل

[1] . ابن قتيبة, الشعر والشعراء, جـ1, ص836. الأصبهاني, الأغاني, جـ13, ص140. ابن المعتز, طبقات الشعراء, ص217.
[2]. ابن بدرون, شرح قصيدة ابن عبدون, ص231.
[3]. حسن إبراهيم حسن, تاريخ الإسلام, جـ2, ص57.
[4] . ابن طباطبا, الفخري , ص205.
[5] . ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ2, ص272.
[6] . سيتم الحديث عن الثورة في الفصل الثالث.
[7] . الطبري, تاريخ, جـ8, ص242.
[8] . ن. م. جـ8, ص242.
[9] . ن. م. جـ 8، ص242.
[10]. الأزدي, تاريخ الموصل, ص277.

يحتال في أمره حتى أجابه إلى الصلح " فأعطاه الأمان, فقبله وقدم عليه, فأتى به الرشيد, فوصله وأحسن إليه "[1]. إلى أن تم التخلص منه في ظروف غامضة[2] . وتعبيراً عما قام به الفضل, استقبله الرشيد, وأكرمه غاية الإكرام[3] .

وفي العام ذاته 176هـ-792م ولّـى الرشيد الفضل الجزء الشرقي من بلاد الخلافة, ويشمل كور الجبال وطبرستان ودنباوند وقومس وأذربيجان[4] . ثم ولاّه خراسان سنة 178هـ/794م [5]. يقول الجهشياري " وقلّد – الرشيد – الفضل المشرق كله... وشخص الفضل إلى عمله في سنة ثمان وسبعين ومئة " [6]. والولاية على خراسان لها أهمية كبيرة, فهي معرضة على الدوام لأخطار خارجية ومشاكل داخلية, ويرى بارتولد أن مهمة ولاة خراسان هي تدعيم النظام السياسي, وقمع عناصر الاضطراب [7]. أثنى المؤرخون على سيرة الفضل في خراسان, ونوّهوا بأعماله وفتوحه, فقد أظهرته الروايات والياً مصلحاً, بدأ ولايته بفاتحة طيبة, وحذا الفضل بحذو أبيه باتباع سياسة أكثر قرباً من العامة, إذ عدل بين الناس, وزاد مرتبات الجند والقوّاد وأكرم الكتّـاب[8] . ويرى بوفا أن الفضل اكتسب شعبية كبيرة بخراسان نتيجة للأعمال التي قام بها[9], ويذكر بوفا – اعتماداً على أحد المصادر الفارسية - أن الرشيد سمع ذات يوم امرأة تنادي على ابنها باسم الفضل, فسألها عن سبب تسميته بذلك, فأجابت بأن الفضل بن يحيى كان ذو معاملة حسنة في خراسان, فأرادت تسمية

---

(1). الطبري, تاريخ, جـ8, ص243. الأزدي, تاريخ الموصل, ص277. ابن طباطبا , الفخري , ص194.
(2). الطبري, تاريخ, جـ8, ص250.
(3). ن. م. جـ 8, ص243. مجهول, العيون والحدائق, جـ3, ص296.
(4). الطبري, تاريخ, جـ8, ص242. الجهشياري, الوزراء, ص189. الأزدي, تاريخ الموصل, ص277. مجهول, العيون والحدائق, جـ3, ص96. مسكوية , تجارب الأمم, جـ3, ص521. ابن الجوزي, المنتظم, جـ9, ص36.
(5). اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص407. خليفة بن خياط , تاريخ, ص462. الطبري, تاريخ, جـ8, ص257. الأصبهاني, تاريخ سني ملوك الأرض, ص165. مسكوية , تجارب الأمم, جـ3, ص521. ابن الجوزي, المنتظم, جـ9, ص36. ياقوت الحموي, معجم الأدباء, جـ19, ص8. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ4, ص28.
(6). الجهشياري, الوزراء, ص190.
(7). بارتولد, تركستان, ص317.
(8). الجهشياري, الوزراء, ص191. الذهبي, تاريخ الإسلام, جـ11, ص21.ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ4, ص29.
(9). Bouvat, Les Barmacides, p ,61,62.

ابنها الفضل إكراماً له[1]. ويرى آخر أن خراسان أصبحت أكثر استقراراً زمن الفضل بن يحيى، وأن التغيير المتتالي للولاة بعده، أدى إلى عدم الإستقرار فيها [2].

وتنسب المصادر للفضل الكثير من الأعمال, فقد اهتم بالعمارة, فأنشأ الربط والمساجد[3], فهدم جزءاً من النوبهار وبنى فيه مسجداً [4] , وخصص مبالغ كبيرة لتوسعة مسجد بخارى، وزيادة مبانيه بعد أن أصبح يضيق بأهله[5]. ويذكر الجهشياري أنه " أحرق دفاتر البقايا " [6] التي تحتوي على بقايا مستحقة من الضرائب. ويثمن البيهقي (تـ320هـ/932م) ما قام به الفضل ويقول " وقف الفضل بخراسان موقفاً لم يقفه أحد قط..أمر بدفاتر البقايا التي على الناس فأحضرت, وأمر الحاجب بالخروج إلى الناس وإعلامهم أنه قد وهبها لهم, ثم أمر بها فضربت في النار, وكان مبلغ ذلك أكثر من عشرين ألف ألف درهم "[7].

ويُنسب إلى الفضل غزو بلاد ما وراء النهر[8], وفتح عدة كور, منها كابل[9]. وولّـى الفضل قائد شرطته إبراهيم بن جبريل سجستان , فجبى خراجها ومقداره أربعة ملايين درهم[10]. وفي رواية أن الفضل وهبه له, يقول الطبري على لسان إبراهيم بن جبريل " ثم عقد لي الفضل على سجستان, فلما حملت خراجها وهبه لي, وزادني خمسماية ألف درهم " [11]. ويُستنتج أن الفضل كان على جانب لا يستهان به من الكفاءة والقيادة. ويبدو أن الرشيد استحسن ما قام به

(1) Bouvat, Les Barmacides, p ,61.

(2). EL - Hibri, , Reinterpreting Islamic Historiography, p.54.

(3). الطبري, تاريخ, جـ8, ص257. مجهول, العيون والحدائق, جـ3, ص296. مسكوية , تجارب الأمم, جـ3, ص522.

(4). الجهشياري, الوزراء, ص191.

(5) Bouvat, Les Barmacides, p ,62

(6). الجهشياري, الوزراء, ص191.

(7). البيهقي, المحاسن والمساويء, ص200.

(8). الطبري, تاريخ, جـ8, ص257. مجهول, العيون الحدائق, جـ3, ص296. ابن الجوزي, المنتظم, جـ9, ص36.

(9). اليعقوبي, تاريخ , جـ2, ص407. نفسه, البلدان, ص119.

(10). الجهشياري, الوزراء, ص192.

(11). الطبري, تاريخ, جـ8, ص259,258.

الفضل في خراسان, فلما عاد إلى بغداد سنة 179هـ/795م, كان الرشيد على رأس مستقبلية, ومعه أشراف بني هاشم وعدد من القوّاد والكتّاب, وأكرمه غاية الإكرام وخلع عليه الخلع [1].

ويُنسب للفضل بن يحيى إنشاء جيش العباسيّة المكون من خمسماية ألف جندي, وجلهم من العجم, وأنه جعل ولاءهم إليه [2]. ويرى بارتولد أن إنشاء هذا الجيش كان لتدعيم قوة الدولة[3].

إن ما يذكره بعض المؤرخين من أعمال قام بها الفضل في خراسان يبدو متعذراً خلال الفترة التي قضاها هناك, إذ لم تتجاوز السنة 178هـ/794م - 179هـ/795م, هذا إلى أن الفضل لم يستثمر كل الفترة, بل قيل أنه كان مشغولاً بلهوه عن القيام بأعباء ولايته[4], ويتعذر إنشاء جيش بهذا العدد, أضف إلى ذلك فإن الروايات التي تتحدث عن الجيش الذي أنشأه الفضل، لا تتناول مصيره بعد مغادرة الفضل خراسان سنة 179هـ/795م, غير ما يذكره الطبري عن إرسال عشرين ألفاً منهم إلى بغداد[5]. ويُفهم من الطبري أن هذا الجيش كان نظامياً, إذ يقول " وخلّف – أي الفضل – الباقي منهم بخراسان على أسمائهم ودفاترهم "[6]. ومعنى ذلك أنهم بحاجة إلى نفقات من المتعذر أن تتولى أمرها الولايات. ومن جهة أخرى ليس من عادة الولاة إعداد الجيوش وإرسالها إلى دار الخلافة, بل الخليفة نفسه الذي يأمر بإرسال الجيش إلى الولايات كلما دعت الحاجة لذلك [7].

---

(1) . الطبري, تاريخ, جـ8, ص259. الجهشياري, الوزراء, ص191.مجهول, العيون والحدائق, جـ3, ص296. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ4, ص49. الذهبي, تاريخ الإسلام, جـ11, ص18.

(2) . الطبري, تاريخ, جـ8, ص257. ابن الجوزي, المنتظم, جـ9, ص36. ابن كثير , البداية والنهاية, جـ10, ص172.

(3) . بارتولد, دائرة المعارف الإسلامية, مادة (البرامكة) , مج 3, ص495.

(4) . المسعودي, مروج , جـ4, ص264.

(5) . الطبري, تاريخ, جـ8, ص257.

(6) . ن. م . جـ8, ص257.

(7) . ن. م. جـ8, ص242.

وكانت الأسباب الموجبة لعزل الفضل عن خراسان كما جاء عند الجهشياري (تـ331هـ/942م) " لتكثير وقع عنده ـ عند الرشيد- على الفضل في الأقوال "[1]. ويذكر المسعودي (تـ346هـ/957م) أن الفضل كان مشغولاً باللهو والصيد ابتداءً [2], وما رافقه من إسراف في المظاهر، وفق ما حملته تقارير رجال البريد إلى الخليفة, إذ يُذكر أن صاحب البريد أنفذ للرشيد كتاباً يذكر فيه انشغال الفضل بن يحيى بالصيد " وإدمان اللذات عن النظر في أمور الرعية"[3]. إذ كان الرشيد على اطلاع بكل ما يحدث في الولايات [4], فكانت رقابته على الأقاليم شاملة .

وغضب الرشيد لما نقل البريد إليه, وأغاظته تصرفات الفضل في خراسان, فرمى بالكتاب إلى يحيى, وطلب منه تنبيه ابنه الفضل [5], وحثه على الالتفات إلى أمور ولايته, ويشير المسعودي إلى ما كتبه يحيى إلى ابنه الفضل قوله " حفظك الله يا بُني, وأمتع بك, وقد أنهي إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية, ما أنكره, فعاود ما أزيَن بك ... "[6] . فانصاع الفضل لكتاب أبيه, وانصرف عن اللهو, إلى أن غادر خراسان[7]. ويرى بوفا أن سبب عزل الفضل عن خراسان كان بسعاية من أخيه جعفر الذي أثاره نجاح أخيه, فطلب من الرشيد أن يعزله عن خراسان[8]. ولا يبين بوفا ما حمله على ذكر هذا الرأي, إذ لم ترد إشارات إلى أن جعفراً لم يكن على وفاق مع أبيه يحيى أو أخيه الفضل.

---

(1). الجهشياري, الوزراء, ص228.
(2). المسعودي, مروج , جـ4, ص264.
(3). ن. م. جـ4, ص234.
(4) Bouvat, Les Barmacides, p ,60.
(5). المسعودي, مروج , جـ4, ص265,264.
(6). ن. م. جـ4, ص234. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ4, ص28. ياقوت الحموي, معجم الأدباء, جـ19, ص19,18.
(7). المسعودي, مروج , جـ4, ص234.
(8). Bouvat, Les Barmacides, p ,60.

ويبدو أن الرشيد لم يتغاض عن تصرفات الفضل في خراسان, إذ بدأ تدريجياً بتجريده من بعض مهامه, فما لبث أن صرفه عن طبرستان والري سنة 180هـ/796م [1]. ولم ترد إشارات إلى تدخل يحيى البرمكي عند الرشيد في أمر ابنه الفضل, أو محاولة تبرير تصرفاته, إذ يذكر الجهشياري أن الرشيد لم يَرُد إلى الفضل أي من الأعمال التي كان يتقلدها [2] .

عهد الرشيد إلى الفضل بتثقيف ابنه محمد الأمين " وضم إليه أعماله ودواوينه " [3]. وتذكر بعض المصادر أن الفضل ساهم في العهد للأمين . وتعددت الروايات حول ذلك, قيل أن الفضل عندما كان بخراسان لعب دوراً كبيراً في البيعة لمحمد بن الرشيد, فبايع الناس له وسماه الأمين [4]. وقيل أن الفضل بن يحيى أرسل وفداً من خراسان إلى الرشيد يحضونه على البيعة لمحمد الأمين [5]. ويذكر اليعقوبي (تـ284هـ/897م) أن الرشيد عقد البيعة للأمين سنة 175هـ/791م [6], وكان عمره يومئذ خمس سنوات. فهذا أمر متعلق بالخلافة ولا يصدر إلا عن الخليفة نفسه, ولكن الفضل أراد خدمة الأمين بإظهار البيعة له بخراسان .

وهكذا لعب الفضل دوراً مميزاً في دولة الرشيد, وخاصة على المستوى الإداري, فعلت مكانته. ويُذكر عنه أنه كان يريد الزواج من ابنة خاقان ملك الخزر, لكنها ماتت في الطريق قبل أن تصل إليه, فأعيدت جثتها إلى والدها, إذ أخبر أنها قُـتلت غدراً, فاستعدَّ لحرب المسلمين وغزا إرمينية سنة183هـ/799م , وأسر العديد من المسلمين هناك [7]. وفي رواية أن سبب غزو إرمينية

---

(1). الطبري, تاريخ, جـ8, ص266.
(2). الجهشياري, الوزراء, ص277.
(3). ن. م. ص193.
(4). ن. م. ص193.
(5). الأصبهاني, الأغاني, جـ18, ص312.
(6). اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص408.
(7). الطبري, تاريخ, جـ8, ص269.

كان بسبب ضرب سعيد بن سلْم[1] عنق المنجم السّلْمي , فاستجار ابنه بالخزر, فدخلوا إرمينية إلى أن أخرجهم منها يزيد بن مزيد[2].

وبعد أن أوقع الرشيد بالبرامكة سجن الفضل بن يحيى ومات سنة 193هـ/808م في الحبس بالرقة [3].

---

(1). سعيد بن سلْم الباهلي, ولاّه الرشيد الجزيرة سنة 180هـ/796م , ثم إرمينية سنة 182هـ/798م. انظر، الطبري, تاريخ, جـ8, ص269,266.
(2). الطبري, تاريخ, جـ8, ص270.
(3). ن. م. جـ8, ص341. الجهشياري, الوزراء, ص260.

أما جعفر بن يحيى فقد كان سمح الأخلاق طَـلْق الوجه[1], استفاضت شهرته في الأدب ثم القصص حتى وصلت إلى حد الأسطورة [2], اختلفت الروايات حول كرمه, وصفه البعض بالجود والسخاء والكرم, وأن الناس كانوا يقصدونه في حوائجهم[3]. ووصفه آخرون بالبخل [4]. لكن الدلائل تشير إلى أنه كان يغدق الأموال على الشعراء [5]. وكان مشهوراً عنه التأنق بلباسه, فهو أول من أدخل لبس الأطواق ـ الياخة ـ لطول عنقه[6], وفي رواية أنها طوق القميص, يقول الجهشياري " وكان جعفر طويل العنق, وهو أول من عرَّض الجُرُبَّانات – طوق القميص – وحشاها بالقطن, وما زال الناس ينسوبنها إلى ابن برمك, يقولون جُرُبَّانات برمكية " [7]. ويذكر البعض أنه استعمل الجُرُبَّانات ليستر بها طول عنقه [8]. وفي رواية أن الرشيد قبل الإيقاع بالبرامكة أخذ يتأمل حُسن عنق جعفر, وحسن موقع الجُرُبَّانات منه, فقال له جعفر؛ لا والله ما تأملت إلاّ موضع سيفك فيه[9].

كان جعفر ذا ثقافة عالية, وقد أجمعت الروايات على ذلك [10], إذا اهتم والده بتعليمه, فقد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الذي علـَّمه وفقـَّهه[11], فكان من ذوي الفصاحة والمشهورين بالبلاغة [12]. عُرف بالمهارة الفائقة في فن الكتابة, وُصف بأنه " كان بليغاً كاتباً "[1], وتعبِّر رسائله

---

(1). الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ7, ص164. ابن عساكر, تاريخ دمشق, جـ72, ص176. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ1, ص328. الاربلي, خلاصة الذهب المسبوك, ص149.

(2). انظر, الإتليدي, إعلام الناس, ص215 فما بعد. قصص ألف ليلة وليلة, جـ1, ص51, 88-91, 180-185 , 562 فما بعد . جـ2, ص1108-1110, 1117 فما بعد .

(3). المسعودي, مروج , جـ3, ص370. ابن المعتز, طبقات الشعراء, ص202. القمي, الكنى والألقاب , جـ2, ص40.

(4). ابن بدرون, شرح قصيدة ابن عبدون, ص231,230.

(5). الأصبهاني, الأغاني, جـ5, ص175.

(6). الجاحظ, البيان والتبيين, جـ3, ص175.

(7). الجهشياري, الوزراء, ص215.

(8). العسكري, الأوائل, ص275.

(9). الجهشياري, الوزراء, ص216.

(10). الجاحظ, البيان والتبيين, جـ1, ص105. التنوخي, الفرج بعد الشدة, جـ1, ص366. الأصبهاني, الأغاني, جـ4, ص325. الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ7, ص 164. الحصري, زهر الآداب, جـ1, ص118. ابن رشيق, العمدة, جـ1 , ص166. أبو حيان التوحيدي, الإمتاع والمؤانسة, جـ1, ص15. الماوردي, أدب الدنيا والدين, ص51. الثعالبي, التمثيل والمحاضرة, ص 146. كرد علي , رسائل البلغاء, ص405.

(11). الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ7, ص164. ابن عساكر, تاريخ دمشق, جـ72, ص177. ابن خلكان , وفيات الأعيان , جـ1, ص379. الذهبي, سير أعلام, جـ9, ص61.

(1). الجاحظ, البيان والتبيين, جـ1, ص151. التنوخي, الفرج بعد الشدة, جـ1, ص166. الأصبهاني , الأغاني, جـ4, ص325.

وتواقيعه عن علمه وبلاغته, فكانت له تواقيع بديعة, وذكر البعض بأن الناس كانوا يشترون رسائله وتواقيعه بالأثمان الكثيرة, ويتنافسون عليها ويتدارسها الكتّاب[2], ومن توقيعاته " إذا كان الإيجاز كافياً, كان الإكثار عيّاً, وإذا كان الإيجاز مقصِّراً كان الإكثار أبلغ "[3]. وكان موصوفاً بفصاحة لسانه[4], فالبيان عنده كما يرد عند الجاحظ (تـ255هـ/868م) "... أن يكون سليماً من التكلف بعيداً عن الصنعة, بريئاً من التعقّد, غنياً عن التأويل "[5] . ويقول عنه البيهقي (تـ470هـ /1077 م) في تاريخه بأنه " كان وحيد زمانه في آداب السياسة والفضل والأدب والعقل والاعتداد بالنفس "[6] . ويرى بوفا أن جعفراً كان مولعاً بالشعر[7], ومّوه إسحاق الموصلي بمعرفة جعفر بالألحان والأشعار والموسيقى[8].

هذه الصفات التي تمتع بها جعفر جعلته أقرب إلى الرشيد, لكنه لم يكن كأخيه الفضل في أمور الإدارة [9], فكان إلى جانب الرشيد, ويُذكر أنه لـّما مرض جعفر سنة 175هـ/791م طلب الرشيد من طبيبه الخاص بختيشوع [10] أن يتولى خدمته ومداوته, فأشار بختيشوع إلى من هو أمهر منه، وهو ابنه جبرائيل الذي عالج جعفر في مدة ثلاثة أيام, وفيما بعد عيَّنه الرشيد رئيساً على جميع الأطباء[11], وشطت الأخبار في وصف العلاقة بين الرشيد وجعفر, إذ يذكر الجهشياري أن الرشيد كان يدخله معه في ثوبه [12], ويذكر غيره أنه كان عنده " بمثابة انفرد بها ولم يشارك

---

(2). الجهشياري, الوزراء, ص204.
(3). الجاحظ, البيان والتبيين, جـ1, ص106. التنوخي، الفرج بعد الشدة، جـ1، ص366. ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ2 ، ص156. الثعالبي، تحفة الوزراء، ص139. كرد علي، رسائل البلغاء، ص473.
(4). الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص146. الماوردي, أدب الدنيا والدين, ص254.
(5). المسعودي, مروج , جـ4, ص433.
(6). الجاحظ, البيان والتبيين, جـ1, ص106.
(7). البيهقي, تاريخ, ص722.
(8). Bouvat, Les Barmacides, p. 70.
(9). الأصبهاني , الأغاني, جـ4, ص83. جـ6, ص316. ابن المعتز, طبقات الشعراء, ص204,203.
(10). ابن طباطبا, الفخري, ص205.
(11). ابن النديم, الفهرست, ص413.
(12). ابن أبي اصيبعة, عيون الأطباء, ص188.
(1). الجهشياري, الوزراء, ص204.

فيها"[1] . ومما يشار إليه أن جعفراً نفسه كان يطلب من الشعراء وصف الألفة بينه وبين الرشيد[2], فكان الشاعر أبان اللاحقي يمدح البرامكة ويختص بجعفر لا يكاد يفارقه [3].

وهناك إشارات إلى تولية جعفر على بعض الولايات, لكنها كانت اسمية, فقد كان يرسل نوَّاباً عنه, وفي الوقت الذي كان الفضل على الجانب الشرقي من بلاد الخلافة[4], اختص جعفر بالجانب الغربي, يقول الجهشياري " ثم ولـَّى الرشيد جعفراً المغرب كله من الأنبار إلى افريقية في سنة ست وسبعين ومئة, وقلَّد الفضل المشرق كله... فأقام جعفر بحضرة الرشيد "[5]. ثم ولاّه في عام 176هـ/792م مصر, فأرسل جعفر إليها عمر بن مهران [6], فتولـَّى خراجها وضياعها وحربها, وأصلح أمرها بعد أن كان عليها موسى بن عيسى[7], كذلك انتدب جعفر من ينوب عنه حين ولاّه الرشيد خراسان سنة 180هـ/796م [8], فاستعمل عليها محمد بن الحسن بن قحطبة, ولم تتجاوز ولايته عليها العشرين ليلة على حد قول الطبري [9]. وينفرد الأصبهاني (تـ356هـ /966م) بذكر سبب عزل جعفر عن خراسان, في أن الشعراء عند توليته حضروا فمدحوه ، فأكثروا، مما أسعد جعفر " ثم بدا للرشيد في ذلك التدبير, فعزل جعفراً عن خراسان, بعد أن أعطاه العهد والكتب ..." [10]. وفي عام 180هـ/796م عيَّنه الرشيد رئيساً لحرسه[11], لكن الرشيد أخذه منه وقلَّده هرثمة بن أعين بعد أن أخذ يقلص نفوذ البرامكة.

---

(2). الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ7, ص164. ابن عساكر, تاريخ دمشق, جـ72, ص176.
(3). الأصبهاني, الأغاني, جـ18, ص203.
(4). ابن المعتز, طبقات الشعراء, ص212.
(5). اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص407. خليفة بن خياط , تاريخ, ص462. الطبري, تاريخ, جـ8, ص257.
(6). الجهشياري, الوزراء, ص190.
(7). الطبري, تاريخ, جـ8, ص252. ابن الأثير, الكامل, جـ6, ص126. الذهبي, تاريخ الإسلام, جـ11, ص13.
(8). الطبري, تاريخ, جـ8, ص253.
(9). خليفة بن خياط, تاريخ, ص465.
(10). الطبري, تاريخ, جـ8,ص266. ابن الجوزي, المنتظم, جـ9, ص47.
(11). الأصبهاني, الأغاني, جـ18, ص225,224.
(12). الطبري, تاريخ, جـ8, ص266. ابن الجوزي, المنتظم, جـ9, ص47.

ثم أرسله الرشيد عام 180هـ/796م للقضاء على فتنة الشام[1], ولعلها من أبرز المهام التي وكّلت لجعفر خارج بغداد, ويذكر اليعقوبي (تـ284هـ/897م) [2] أن الفتنة ظهرت بحمص, بينما يذكرها الطبري (تـ310هـ/922م) [3], والجهشياري (تـ331/942م) [4] دون أن يعينا المكان الذي ظهرت فيه, ويحدد ابن عساكر (تـ575هـ/1179م) أن منطقة الفتنة كانت دمشق[5]. وتتفق المصادر على أن الفتنة قامت على أساس العصبية سنة176هـ/792م، بين القبائل اليمنية والقيسية, عندما قُـتل أخ لعامر بن خريم المُرِّي، كبير القيسية الملقب بأبي الهيذام[6]. ويبدو أن تصرفاته اتخذت طابع العداء العلني ضد الخلافة, وكان الوالي على الشام حينئذ موسى بن عيسى, فثار أبو الهيذام لمقتل أخيه, وجمع جموعاً كبيرة اصطدمت مع القبائل اليمنية[7]. وبدأت المعارك الطاحنة حتى " قتل من الطرفين بشر كثير "[8], إلى أن هدأت نار الفتنة مؤقتاً بعد أن أرسل الرشيد موسى بن يحيى البرمكي سنة 176هـ/792م " فأقام موسى بها حتى أصلح بين أهلها "[9]. لكنها ما لبثت أن تجددت سنة 180هـ/796م , وتفاقم أمرها حتى أن الرشيد اغتم لأمرها, وكان تجددها مقلقاً له، لدرجة أنه أراد الخروج بنفسه لتهدئة الوضع, فواجه الرشيد هذه الفتنة بإرسال جعفر البرمكي، الذي رافقه عدد من القوّاد[10], فبدأوا بمطاردة أبي الهيذام وقواته. وتجمع المصادر على أن جعفراً تمكن من إخماد الفتنة " حتى استقامت له الأمور "[11]. واستغل جعفر هذا الانتصار بأن جرَّد

---

[1]. انظر, اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص410. الدينوري, الأخبار الطوال, ص387. الطبري, تاريخ, جـ8, ص362. الجهشياري, الوزراء, ص208. الأزدي, تاريخ الموصل, ص289. ابن عساكر, تاريخ دمشق, جـ72, ص175. ابن العديم, بُغية الطلب, جـ1, ص62. ابن الأثير, الكامل, جـ6, ص127-132. ابن كثير , البداية والنهاية, جـ10, ص210. أمينة البيطار, الحياة السياسية..., رسالة دكتوارة ص51-60.

[2]. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص410.

[3]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص262.

[4]. الجهشياري, الوزراء, ص208.

[5]. ابن عساكر, تاريخ دمشق, جـ61, ص233.

[6]. ن. م. جـ25, ص311.

[7]. ن. م. جـ61, ص233.

[8]. الدينوري, الأخبار الطوال, ص387.

[9]. ابن عساكر, تاريخ دمشق, جـ61, ص233.

[10]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص262.

[11]. الجهشياري, الوزراء, ص208. الطبري, تاريخ, جـ8, ص262.

المقاتلين من كل سلاح " ولم يَدَع لهم رمحاً ولا سيفاً "[1]. دلالة على أنه صادر كل ما يعين على تجدد الفتنة مرة أخرى[2]. وفي رواية أن الرشيد كان يريد اللحاق بجعفر, فلما بلغه قتل أبي الهيذام غيَّر وجهته نحو الثغور[3].

عاد الأمن والسكينة للبلاد, وتركها جعفر بعد أن ولّى عليها عيسى بن العكي وعاد إلى بغداد[4], وحاز جعفر على رضى الرشيد التام, فأكرمه وخلع عليه الخلع[5]. ولعل هذه من المرات النادرة التي يخرج فيها جعفر خارج العاصمة, ويترك ملازمة الرشيد. استغل جعفر هذه المناسبة للتعبير عن الإخلاص والولاء, إذ أسرف في التعبير عن حزنه لفراق الخليفة, وعبَّر بعد عودته عن عدم رغبته الخروج مرة أخرى وترك مجلس الخليفة[6].

أشرك يحيى ابنه جعفر النظر في المظالم[7], فكان الناس يزدحمون على بابه لعرض رقاعهم عن طريق يونس بن بكير الشيباني، الذي تولى وظيفة رفع المظالم[8], ويذكر الجهشياري أن جعفراً جلس يوماً للمظالم ووقَّع ما يقرب ألف توقيع في ليلة واحدة لم يشوبها أي خلل[9]. ويندفع الجهشياري بالقول بأنها " أخرجت فعرضت على العمال والقضاة والكتَّاب, وكتَّاب الدواوين, فما وجد فيها شيء مكرر, ولا شيء يخالف الحق "[10]. وهذا فيه نظر لأنه لا شأن لهم بذلك. ورغم الشهرة التي نالها جعفر في توقيعاته, فقد بالغت الروايات في ذلك, إذ أنه يتعذر إنجاز هذا العدد الكبير منها في ليلة واحدة, وخاصة أن البعض يذكر أن ذلك كان بحضرة الرشيد[11].

---

(1). ابن عساكر, تاريخ دمشق, جـ72, ص175.
(2). احسان عبّاس, تاريخ بلاد الشام, ص48.
(3). اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص415.
(4). ابن عساكر, تاريخ دمشق, جـ72, ص175. الذهبي, سير أعلام , جـ9, ص61.
(5). الطبري, تاريخ, جـ8, ص263. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص 175.
(6). الطبري, تاريخ, جـ8, ص265.
(7). الجهشياري, الوزراء, ص204. البيهقي, تاريخ, ص722.
(8). الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ7, ص164,152.
(9). الجهشياري, الوزراء, ص204. الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ7, ص164.الذهبي, سير أعلام, جـ9, ص61.
(10). الجهشياري, الوزراء, ص204.
(11). ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ1, ص359.

وفي رواية أن آخر مظلمة وقَّعها كانت تحوي أكثر من مائة سطر[1], والتواقيع في العادة وجيزة بين سطر وبضعة أسطر.

لم يكن نظر جعفر في المظالم موضع رضى القاضي أبي يوسف، الذي حثّ الرشيد في كتاب الخراج في تواضع, أن ينظر بنفسه فيها, يقول " فلو تقَّربت إلى الله عز وجل يا أمير المؤمنين بالجلوس لمظالم رعيتك في الشهر أو الشهرين مجلساً واحداً تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم "[2]. ويبدو أن نصيحة أبو يوسف هذه جاءت بعد أن تلمَّس بعض الظلم والضرر الذي أصاب الرعية " لأن المتظلمين كثروا على باب جعفر " بعد أن كان يتأخر عنهم[3]. إذ كان أبو يوسف يدرك دور الخليفة في رفع الظلم عن الرعية عند جلوسه للمظالم بنفسه[4], فقد حاول جاهداً من خلال نصيحته، التأكيد على سلطة الرشيد الدينية. وقد أثمرت جهوده , إذ استجاب الرشيد, وجلس للمظالم بنفسه[5].

بقي ديوان الخاتم مع جعفر البرمكي[6], إلى أن ردّه الرشيد إلى أبيه عام 180هـ/796 م[7]. وتعددت المهام التي تقلَّدها جعفر, ولعل أبرزها تكليفه بالإشراف على البريد ودور الضرب والطرْز[8]. وهذه المهام كافية لإشغال جعفر عن مجالس اللهو المزعومة مع الرشيد, والتي روّجت لها قصص الأتليدي (تـ1100هـ/1688م) [9] المتأخر, حتى أصبحت على ألسن العامة وشاعت بينهم .

---

[1]. البيهقي, تاريخ, ص722.
[2]. أبو يوسف, الخراج, ص121.
[3]. الجهشياري, الوزراء, ص210.
[4]. أبو يوسف, الخراج, ص121.
[5]. الأزدي, تاريخ الموصل, ص306.
[6]. خليفة بن خياط, تاريخ, ص465. التنوخي, الفرج بعد الشدة, جـ1, ص366. الزمخشري, ربيع الأبرار , جـ1, ص 327. ابن طباطبا , الفخري, ص205. الخوانساري, روضات الجنات, جـ4, ص177.
[7]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص265. ابن الجوزي, المنتظم, جـ 9, ص47.
[8]. الجهشياري, الوزراء, ص204. والطرْز جمع (طراز) , وهي المتعلقة بحياكة الملابس والأعلام والشارات الرسمية الخاصة بالخليفة. انظر , دائرة المعارف الاسلامية, مادة (طراز) , مج 15, ص121-142.
[9]. الإتليدي, إعلام الناس, ص224,212. وما بعدها . الأصبهاني , الأغاني, جـ5, ص174. وما بعدها .

ويعتبر إشراف جعفر البرمكي على دور الضرب ميزة لم يتولها شخص قبله, بعد أن كان يختص بها الخلفاء. يقول المقريزي (تـ845هـ/1441م) " وهارون الرشيد أول من ترفَّع عن مباشرة العيار بنفسه, وكان الخلفاء قبله يتولون النظر في عيار الدراهم والدنانير بأنفسهم..."[1]. ويرى الدوري أن تولية جعفر على دور الضرب كانت بدعة [2]. ولعل إشرافه على السكة هو الذي دعا الرشيد لأن يأمر بكتابة أسم جعفر على النقود التي كانت تصدر بالمحمدية ومدينة السلام[3]. ففي العادة كان يظهر اسم أمير الولاية على النقود الفضية[4], فأمر الرشيد بكتابة أسم جعفر بصفته المشرف على دور الضرب.

وتوفرت عملات يرجع سكها إلى سنوات 176هـ/792م-186هـ/802م [5], وليس إلى سنة 184هـ/800م فقط كما يذكر المقريزي [6] , حوت معلومات مهمة، انفردت بها عن المصادر الأخرى, إذ كان أول الولاة الذين ظهر أسمهم على الدنانير (علي) بن سليمان بن علي, والي مصر بين سنتي 169هـ/785م-170هـ/786م [7], لكن أكثر ظهور لأسماء الولاة كان على الدراهم [8]. وظهر اسم ولي العهد الأمين على الدنانير الذهبية ابتداءً من سنة 181هـ/797م-186 هـ/802م [9], ولم يكن قد أعطي حق ظهور اسم ولي العهد على دنانير أي خليفة قبل الرشيد, فقد ظهر اسمه على الدنانير المضروبة في مدينة السلام في السنوات, 181هـ/797م, 182 هـ/798م[10],

(1). المقريزي, شذوذ العقود, ص19.
(2). الدوري, العصر العباسي الأول, ص126.
(3). المقريزي, شذوذ العقود, ص18.
(4). Laviox, Catalogue Des Monnaies Musulmanes , p.186.
(5). محمد العش, النقود العربية الإسلامية, جـ1, ص229.
(6). المقريزي, شذوذ العقود, ص19.
(7). محمد العش, النقود العربية الإسلامية, جـ1, ص224.
(8). Lavoix , Catalogue Des Monnaies Musulmanes ,p. 180,182.
(9). محمد العش, النقود العربية الإسلامية, جـ1, ص230.
(10). ن. م. جـ1, ص230. =
= Lavoix , Catalogue Des Monnaies Musulmane. ,p.197 .

183هـ/799م, 184هـ/800م, 186هـ/802م[1], كما ظهر اسم الأمين على الدنانير المضروبة في مصر سنة 181هـ/797م, وسنة 182هـ/798م, مقروناً باسم (جعفر) البرمكي[2], ولم يعط مثل هذا الحق للمأمون , الذي تولى ولاية العهد بعد أخيه الأمين سنة 183هـ/799م[3], إذ اقتصر ظهور أسمه على الدراهم المضروبة في مدينة الرافقة, ومدينة بلخ سنة 185هـ/801م[4].

بدأ ظهور اسم جعفر على النقود سنة 176هـ/792م [5], في أماكن مختلفة, لم تقتصر على المحمدية ومدينة السلام [6], فقد ظهر اسمه على الدنانير المضروبة في مصر في السنوات , 176هـ/792م- 186هـ/802م[7], وهي السنة الأخيرة التي ظهر فيها اسم جعفر على النقود, وظهر اسم جعفر على الدراهم الصادرة في المحمدية في السنوات 180هـ/796م-186هـ/ 802م [8]. وظهر اسمه على الدنانير المضروبة في مدينة السلام في السنوات 179هـ/795م[9], 180هـ/796م, 181هـ/797م[10], 186هـ/802م[11], وعلى النقود المضروبة في البصرة سنة

---

(1). محمد العش, النقود العربية الإسلامية, جـ1, ص231,230.

(2). Lane Poole, Catalogue of Oriental Coins, vol , 1, p.72. Lavoix , Catalogue Des Monnaies Musulmane ,p.199.

(3). الطبري, تاريخ, جـ8, ص269. الأزدي, تاريخ الموصل, ص293.

(4). Lane Poole, Catalogue of Oriental Coins, vol , 1, p.70. Lavoix , Catalogue Des Monnaies Musulmane ,p.183.

(5) Lane Poole, Catalogue of Oriental Coins, vol , 1, p 63 .

(6). المقريزي, شذوذ العقود, ص19

(7). Lavoix , Catalogue Des Monnaies Musulmane.. ,p.183. Lane Poole, Catalogue of Oriental Coins, vol , 1, p.63. محمد العش, النقود العربية الإسلامية,جـ1, ص230-232.

(8). Lavoix ,. Catalogue Des Monnaies Musulmane ,p.192-194. Lane Poole,Catalogue of Oriental Coins, vol , 1, p.77,78. محمد العش, النقود العربية الإسلامية, جـ1, ص374.

(9). Lane Poole, Catalogue of Oriental Coins, vol , 1, p 80. Lavoix , Catalogue Des Monnaies Musulmane. ,p.196.

(1). مهاب درويش لطفي, " الدينار العباسي في المتحف العراقي" , مجلة المسكوكات, بغداد، ع7, سنة 1976, ص46.

(2). Lavoix , Catalogue Des Monnaies Musulmane ,p.197.

185هـ/ 801م [1], ومدينة الري سنة 179هـ/795م[2], وفي مدينة زَرَنْج في السنوات, 177هـ/793م, 178هـ/794م, 180هـ/796م [3].

وهذا يشير إلى أن جعفر بن يحيى كان مشرفاً على السكة كلها, فقد ظهر اسمه على النقود في الأقاليم الشرقية والغربية. ويظهر أنه لم ينل شخص قبل جعفر مثل هذا الشرف, وتأثر بهذا التقليد المأمون, إذ ظهر لقب (ذو الرئاستين) الفضل بن سهل على العملة في عهده [4] . فقد ظهر اسمه على العملة التي ضربت في مدينة السلام سنة 198هـ/813م [5], والدنانير المضروبة في العراق في السنوات 199هـ/814م, 200هـ/815م, 202هـ/817م, 203هـ/818م, 204هـ/ 819م[6]. وعلى الدينار الذي ضرب في مدينة مرو سنة 200هـ/815م [7], كما ظهر اسمه على النقود التي ضربت في المغرب سنة 202هـ/817م[8].

وحوت السجلات [9] معلومات قيمة عن وزن العملة, ويبدو أن خللاً أصاب العملة زمن الرشيد, إذ كانت السنوات 177هـ/793م-186هـ/802م، أكثر السنوات التي ظهر تدني العملة بوضوح[10], ففي سنة 177هـ/793م تدنى وزن الدينار في مصر إلى85, 3غ [11] , وسنة186هـ /802م إلى 3,50 غ [12] , في حين كان وزن الدينار قبل ذلك يتراوح بين 4,05 – 4,25غ [13] .

---

(3). Ibid, p, 182.

(4). Ibid, p, 185.

(5). Ibid, p, 186.

(6). محمد العش, النقود العربية الإسلامية, جـ1, ص241,238.
(7). ن. م. جـ 1, ص238.
(8). ن. م. جـ1, ص239-243.
(9). ن. م. جـ1, ص240.
(10). ن. م. جـ1, ص241.
(11). ن. م. جـ1, ص225-235.
(12). ن. م. جـ1, ص228-232. =
(1)= . محمد العش, النقود العربية الإسلامية, جـ1, ص229.
(2). ن. م. جـ1, ص231.
(3). ن. م. جـ1, ص227.

وقد ذكر المقريزي (تـ845هـ/1441م) أن مستوى العملة تدنى زمن الرشيد حتى بطلت[1]. ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن جعفراً لم يدقق بالإشراف على دور الضرب. وضرب جعفر دنانير للصلات والهبات, فقد زاد ماية دينار على كل دينار, وكان يفرقها على الناس في النيروز والمهرجان[2]. ويُذكر أن جعفراً كان يصعد إلى أعلى داره ويرمي بها, فمن أخذ منها شيئاً كان له[3], وفي رواية أنه بعد سقوط البرامكة وُجد لجعفر بركة في داره التي في سويقة جعفر, فيها أربعة آلاف دينار وزن كل دينار مائة دينار ودينار[4]. وكان عليها صورة وجهه[5], وعلى كل دينار من أحد جانبيه كتب[6] :

وأصفرَ من ضرب دار الملوكَ　　　يلوح على وجهه جَعفَرُ

ومن الجانب الآخر:

يزيـــد على مئـــة واحـــــداً　　　إذا ناله مُعْسِـر يَيْسِـــر

وهذه لم تكن الدنانير المتداولة المتعامل بها, ولا تُعد بوجه عام من نقود الدولة, ولم تعْرض سجلات النقود لمثل هذا النوع من العملة, ومع ذلك يرى جويتاين أن هذا يدل على عِظم السلطة التي وصل إليها جعفر[7]. ولا شك أن ما أعطي لجعفر من الإشراف على دور الضرب، يعتبر تخلياً من الخليفة عن أهم مسؤولياته, غير أن المدور سار وراء القصص التي أحاطت بجعفر, إذ رأى بأن سلطته كانت تقارب سلطة الخليفة ويشترك معه, لأنه خصه ببعض المزايا التي لم تكن لغيره [8].

---

4). المقريزي, شذوذ العقود, ص19.
5). الكندي, أخبار الدول, جـ1, ص24.
6). المقري, المختار, ص76.
7). الجهشياري, الوزراء, ص241.
8). ابن عساكر, تاريخ دمشق, جـ72, ص181.
9). الجهشياري, الوزراء, ص241.
10). جويتاين , دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية, ص99.
1). المدور, حضارة الإسلام, ص105.

ويذكر الطبري بأن جعفر البرمكي وزر للرشيد بعد أبيه يحيى " ووزر للرشيد ابنه جعفر بن يحيى بن خالد " [1]. ولكن المتتبع للروايات التي يذكرها الطبري خلال عهد الرشيد, لا يجده يطلق هذا اللقب على جعفر, إذ أن الوظائف التي تقلَّدها لا تقع ضمن وظائف الوزير, ولم يكن بيده من الدواوين سوى ديوان الخاتم. وذكرت بعض المصادر المتأخرة بأن الرشيد قلَّد جعفراً الوزارة[2], ولعل مثل هذه المصادر ارتكزت على قول بعض الشعراء, وكتب الأدب, فقد دعاه الشاعر أبو نوّاس بالوزير[3], وامتدحه مروان بن أبي حفصة بقصيدة, وخاطبه بالوزير الذي يشير على الخليفة في الأوقات العصيبة, وقال[4]:

وزير إذ ناب الخليفة حادث　　　　أشار بما عنه الخليفة يصدر

وبعد سقوط البرامكة أشار الشاعر أبو العتاهية إلى يحيى وابنه جعفر في مرثية شعرية بأنهما " كانا وزيري خليفة الله هارون "[5]. وكان جعفر (الوزير) محور قصص ألف ليلة وليلة, التي بالغت بذكر علاقته بالرشيد, وفي الوقت نفسه لم تذكر أي دور لأبيه يحيى الذي تقلَّد الوزارة سبعة عشر عاما[6]. إضافة إلى القصص الغريبة التي ذكرها الأتليدي في نوادر الخلفاء, والتي عظَّمت من دور جعفر كوزير للرشيد, وجعلته محوراً لها[7].

وبعض المصادر كالبيهقي (تـ470هـ/1077م) تذكر أن جعفر البرمكي كان يتولى أكثر أعمال أبيه يحيى لذلك كان يلقب بالوزير الثاني[8] . ولكن هذا اللقب لم يَرد في المصادر الأولى, ولم يكن يعني بأي حال من الأحوال استيزار جعفر, ويطلق آخر على الخاتم الذي نقله الرشيد من

---

[2]. الطبري، تاريخ، جـ8، ص186.
[3]. القرماني, أخبار الدول, ص650. الخوانساري, روضات الجنات, جـ4, ص177.
[4]. الجهشياري, الوزراء, ص215.
[5]. ابن المعتز, طبقات الشعراء, ص45.
[6]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص301. الأزدي, تاريخ الموصل, ص306.
[7]. قصص ألف ليلة وليلة, جـ 1, ص82-86, ص87-91, ص180– 185. ص500-557. ص562-570. جـ2, ص1096-1104, ص1108-1110, ص1117-1124.
[8]. الإتليدي, إعلام الناس, ص215, 235. فما بعد.
[1]. البيهقي, تاريخ, ص722. ابن طباطبا , الفخري, ص205.

الفضل إلى جعفر بأنه خاتم الوزارة[1]. ويرى سورديل أن جعفر البرمكي عندما تقلَّد ديوان الخاتم ناب عن أبيه يحيى في الوزارة, فأطلق عليه لقب وزير[2]. غير أن ديوان الخاتم كان وظيفة مستقلة ضمن وظائف أخرى في الدولة, كانت تقع ضمن اختصاصات يحيى البرمكي, لكنها لم تكن ثابتة, فقد تقلَّدها الفضل بن الربيع ولم يطلق عليه لقب وزير[3].

والمصادر التي كرَّست لهذا الموضوع مثل كتاب الوزراء والكتَّاب للجهشياري, لا تذكره بلقب وزير, ولا يوجد إلا وزير واحد وهو يحيى.

يصعب تكوين صورة واضحة دور جعفر الإداري والسياسي, إذ يبدو ضعيفاً بالنسبة لدور أبيه وأخيه الفضل, رغم أن بعض المصادر[4] تذكر توليته بعض المهام المماثلة لتلك التي تولاها الفضل, لكن المصادر تبين أن جعفراً لم يوليها اهتماماً كبيراً, وما يرد عند الطبري لدى عودته من المهمة التي كلَّفه بها الرشيد للقضاء على فتنة الشام سنة 180هـ/796م، رغم نجاحه يظهر ذلك, فقد طلب عدم توليته مثل هذه المهام مرة أخرى, وقال " لقد عاينت ما لو تُعرض لي الدنيا كلها لاخترت عليها قربك, ولما رأيتها عوضاً من المقام معك "[5]. لكنه في الوقت ذاته كان واسع النفوذ, وصل إلى درجة كبيرة من الإدلال لم يبلغها أحد من البرامكة, إذ صار له حجاباً يمنعون الناس من الدخول إليه دون إذن [6]. ويذكر الجهشياري " أن جعفراً غلب على الرشيد غلبة شديدة حتى صار لا يقدم عليه أحد "[7]. ويقول المقريزي بأن الدولة انقادت له ولم تكن تُرد أحكامه[8], ويندفع البعض إلى أن الرشيد دعاه بالسلطان " لإطلاق ولايته وعموم نظره وقيامه

---

(2). ابن بدرون, شرح قصيدة ابن عبدون, ص239.
(3). Sourdel, Le Vizirat Abbaside, vol. 1, p. 136 .

(4). الطبري, تاريخ, جـ8, ص238.
(5). خليفة بن خياط, تاريخ, ص465. الطبري, تاريخ, جـ8, ص252. الجهشياري, الوزراء, ص190.
(6). الطبري, تاريخ, جـ8, ص264.
(7). الجهشياري, الوزراء, ص212.
(1). الجهشياري, الوزراء, ص189.
(2). المقريزي, شذوذ العقود, ص190.

بالدولة "[1] . ولعل هذه المصادر استندت إلى قصة تروى عن جعفر بن يحيى مع عبد الملك بن صالح, إذ يذكر أنه جلس للشرب يوماً, وطلب من الحاجب ألاّ يدخل أحداً غير رجل من الندماء تأخر عنهم أسمه عبد الملك بن صالح, فالتبس الأمر على الحاجب, وأدخل عبد الملك بن صالح العباسي الذي حضر في طلب حوائج له وهي " إن في قلب الأمير هَنَـة فتسأله الرضى عني؛ فقال جعفر: قد رضى عنك أمير المؤمنين؛ قال وعليَّ أربعة آلاف ألف درهم تُقضى عني؛ قال: إنها لعندي حاضرة ؛ ولكن أجْعلـُها من مال أمير المؤمنين؛ فإنها أنبل لك؛ وأحب إليك؛ قال : وإبراهيم ابني أحب أن اشد ظهره بصهْر من أولاد الخلافة؛ قال : قد زوّجه أمير المؤمنين الغالية؛ قال : وأحب أن يخفق لواء على رأسه؛ قال: قد ولاّه مصر "[2]. وأدى هذا إلى استغراب من كان يجلس معهم, ويُذكر أنه في اليوم التالي نفّذ الرشيد ما قاله جعفر[3].

ولا تصمد هذه الرواية أمام النقد التاريخي سنداً ومتناً, فالجهشياري يرويها عن إسحاق الموصلي, الذي كان ملازماً لجعفر, وكان مجانباً للبرامكة, فكانوا يغدقون عليه الأموال, وتناقلت هذه الرواية كتب الأدب ككتاب الأغاني[4], الذي ذكرها كإحدى القصص التي تظهر دالة جعفر عند الرشيد، لمكانته عنده في مجلس البلاط, حتى أخذ يتوسط عنده أقرب الناس إلى الخليفة، كعبد الملك ابن صالح الهاشمي. كما ذكرها صاحب الفخري (تـ709هـ/1309م) [5], وهو متأخر وبدون إسناد، ولم تذكرها المصادر الأولى المعتمد عليها. ومما يظهر عدم صحة هذه الرواية أيضاً أن ابن حبيب (تـ245هـ/859م) يذكر أزواج بنات الرشيد ولا يذكر إبراهيم بن عبد الملك بينهم[6]. ويذكر

---

[3]. ابن خلدون, المقدمة, ص263.
[4]. الجهشياري, الوزراء, ص213.الأصبهاني, الأغاني, جـ5, ص409. ابن طباطبا, الفخري, ص206.
[5]. الجهشياري, الوزراء, ص214,213.
[6]. الأصبهاني, الأغاني, جـ5, ص307. جـ5, ص409.
[7]. ابن طباطبا, الفخري, ص206.
[1]. ابن حبيب, المحبَّر, ص61.

خليفة بن خياط (تـ240هـ/854م) ولاّه مصر زمن الرشيد, ولا يشير إلى إبراهيم بن عبد الملك[1]. كما أن المتتبع لولاة مصر لا يجد إبراهيم بينهم[2].

كان يحيى يتخوف عاقبة إدلال ابنه جعفر, وينتقد علاقته بالرشيد[3], إذ لم يكن راضياً عنها[4], فكان ينصحه بعدم مداخلة الرشيد, لكن جعفراً لم يستمع لنصيحة أبيه[5]. وقال يحيى يوماً للرشيد " يا أمير المؤمنين, إني أكره مداخلة جعفر, ولست آمن أن ترجع العاقبة عليّ في ذلك منك, فلو أعفيته واقتصرت على ما يتولاه من جسيم أعمالك, كان ذلك واقعاً بموافقتي, وآمن لك عندي "[6]. ويبدو أن تخوف يحيى كان أبعد من ذلك، كما يروي الجهشياري عن إسماعيل بن صبيح, إذ كان يوماً بحضرة يحيى بن خالد, عندما جاء جعفر, ولم يُسرَّ أبيه لقدومه, وقال: " فوالله لا يكون هلاك أهل هذا البيت إلا بسببه "[7]. غير أن جعفراً لم يستمع لنصائح أبيه, بعد أن أخذ الرشيد يضيّق على البرامكة.

عهد الرشيد إلى جعفر بتثقيف ابنه المأمون, وتعددت الروايات حول ذلك, يذكر اليعقوبي (تـ284هـ/897م) أن البيعة أخذت للمأمون سنة 183هـ/799م, دون ذكر دور لجعفر في ذلك[8]. وتفيد رواية ثانية عند الطبري (تـ310هـ/922م) في أحداث 182هـ/798م , أن الرشيد أخذ البيعة للمأمون في الرقة بعد الأمين, ثم عهد به إلى جعفر بن يحيى[9] . بينما يذكر الجهشياري (

---

(2). خليفة بن خياط, تاريخ, ص463.
(3). زامباور, معجم الأنساب والأسرات الحاكمة, ص40.
(4). El, Hibri , Reinterpreting Islamic Historiography, p .36.
(5). بارتولد, دائرة المعارف الأسلامية , مادة (البرامكة) , مج3 , ص495.
(6). الطبري, تاريخ, جـ8, ص293.
(7). ن. م. جـ8, ص295. الجهشياري, الوزراء, ص225.
(8). الجهشياري, الوزراء, ص249.
(9). اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص417. الأصبهاني, الأغاني, جـ4, ص 104.
(10). الطبري, تاريخ, جـ8, ص269. الأزدي, تاريخ الموصل, ص293.

تـ331هـ/942م) أن جعفراً أشار على الرشيد بأخذ البيعة للمأمون بعد الأمين[1]. ويذكر الطبري أنه أكَّد على الأمين إيمانه أثناء تعليق كتاب العهد في الكعبة[2].

بقي جعفر البرمكي قريباً من الرشيد حتى سنة 187هـ/802م, عندما أوقع بالبرامكة, وأمر بقتل جعفر, وإحراق جثته[3].

---

(1). الجهشياري, الوزراء, ص211.
(2). الطبري, تاريخ, جـ8, ص279.
(3). اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص421. الطبري, تاريخ, جـ8, ص287. الجهشياري, الوزراء, ص234. الأزدي, تاريخ الموصل, ص304.

أما موسى بن يحيى بن خالد, فقد كان شجاعاً, وصفه الطبري بأنه كان أحد الفرسان الشجعان[1]، غير أنه لم ينل من المنزلة ما ناله أخواه الفضل وجعفر. أرسله الرشيد إلى الشام سنة 176هـ/792م, عندما وقعت فتنة فيها, وضم إليه القوَّاد والجند, فأصلح بين أهلها, وسكتت الفتنة مؤقتاً, لكنها عادت وثارت من جديد سنة180هـ/796م [2]. وعندما ولي عيسى بن ماهان خراسان سنة 183هـ/799م, وشي إلى الرشيد بأن موسى بن يحيى يعمل على مكاتبة أهل خراسان للخروج معهم ضد الخلافة, مما أثَّر في نفس الرشيد " فوقر في نفس الرشيد عليه وأوحشه منه " . لكنه عاد ورضي عنه، بعد أن علم وشاية علي بن عيسى فيه وعدم صدقها[3] .

ومحمد بن يحيى بن خالد, وصفه الجهشياري بالبخل[4], كتب للأمين على الزمام أثناء ولايته للعهد[5], حبسه الرشيد مع أخويه الفضل وموسى[6], غير أن دور محمد كان ثانوياً. ولما أفضت الخلافة إلى الأمين سنة 193هـ/808م أطلق محمداً وموسى من الحبس بالرقة, وأحسن إليهما[7]. ولما ضاق أمر الأمين , وأحاط هرثمة بن أعين ببغداد, ذهب العباس بن الفضل البرمكي, وأحمد بن محمد بن يحي إلى الفضل بن سهل وزير المأمون في مرو, فلما وصلا إليه برَّهما وأكرمهما, وأوصلهما إلى المأمون[8], فأمر لهما بالخلع والهدايا, ثم كتب الفضل بن سهل إلى محمد بن يحيى يستدعيه, ويعرض عليه الانضمام إلى المأمون, فانضم إليه ودخل في جيشه, وشارك

---

[1]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص293.
[2]. ن. م. جـ8, ص251. مسكوية, تجارب الأمم, جـ3, ص518. ابن الجوزي, المنتظم, جـ9, ص10. ابن عساكر, تاريخ دمشق, جـ61. ص233. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص168.
[3]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص293.
[4]. الجهشياري, الوزراء, ص241.
[5]. ن. م. ص 193.
[6]. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص421.
[7]. الجهشياري, الوزراء, ص297.
[8]. ن. م . ص298.

محمد مع المأمون, وكذلك أخوه موسى في قتال أبي السرايا الذي ظهر بالكوفة[1], ولا تشير المصادر إلى محمد وموسى بعد هذا التاريخ، إلى أن توفيا في عهد المأمون[2].

وكان محمد بن خالد بن برمك أخو يحيى, عاملاً على الجزيرة[3], وقلّـده الرشيد الحجابة سنة 172هـ/788م[4], وفي سنة 179هـ/795م صرفه الرشيد عن حجابته, وقلّدها الفضل بن الربيع[5] . ولم ترد إشارات تدل على ثقافته, ويبدو أنها كانت عالية, إذ عهد إليه الرشيد بتثقيف ابنه المأمون، إلى أن نقله إلى جعفر[6], ولما حبس الرشيد الفضل وموسى أبناء يحيى، لم يعرض لمحمد بن خالد ولأسرته بأذى, ولم يدخله الحبس معهم[7]. ومن أبنائه العباس الذي توفي زمن الرشيد[8].

ويشير الطبري إلى عمران بن موسى بن يحيى البرمكي في أحداث 216هـ/831م, وأن المأمون ولاّه السند[9], ويبدو أنه لم يَعُد للبرامكة أي دور بعد سقوطهم عام 187هـ .

والحقيقة فإن البرامكة الذين لعبوا دوراً سياسياً وإدارياً في عهد الرشيد, لم يتعدوا أصابع اليد الواحدة, ومهما تمتعوا من امتيازات, فقد بقي نفوذ الخليفة هو الغالب.

---

(1). انظر, الطبري, تاريخ, جـ8, ص 529- 535.
(2). الجهشياري, الوزراء, ص298.
(3). خليفة بن خياط, تاريخ, ص463.
(4). الجهشياري, الوزراء, ص187. ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ5, ص118.
(5). الطبري, تاريخ, جـ8, ص261. الجهشياري, الوزراء, ص233.
(6). الجهشياري, الوزراء, ص211.
(7). ن. م. ص234. الطبري, تاريخ, جـ8, ص299.
(8). الأصبهاني, الأغاني, جـ16, ص247.
(9). الطبري, تاريخ, جـ8, ص626.

الفصل الثـــالـــث

دور البرامكـــة السيـــاســـي

- البرامكة وولاية العهد

- البرامكة والتيارات السياسية

- البرامكة والعلويــون

- علاقة البرامكة بموسى الكاظم

ـ البرامكه وولاية العهد

تولى الرشيد الخلافة وقد وُلد له عبدالله (المأمون), وأمه مراجل أم ولد[1], وقيل في اليوم الذي تولى فيه الرشيد الخلافة, مات خليفة وهو الهادي, وملك خليفة وهو الرشيد, وولد خليفة وهو المأمون[2]. ثم وُلد من بعده محمد (الأمين) من زبيده ابنة عمه جعفر بن المنصور, بعد خلافته بستة أشهر[3]. وأنشد مروان بن أبي حفصه يوم ولادته[4] :

لله دُرك يا عقيلة جعفر ماذا ولدت من الندى والسؤدد

إن الخلافة قد تبين نورها للناظـــرين على جبيــن محمـد

إني لأعلم أنه لخليفة إن بيعة عُقــدت وان لـــم تـُعقد

وفي عام 175هـ/791م جاء الحديث عن ولاية العهد, وكان أمام الرشيد أحد ولديه, عبدالله ومحمد [5]. اتجهت الأنظار بادىء الأمر إلى عبدالله , بصفته الأكبر سناً, وكان في السادسة من عمره , ويذكر الدينوري (تـ282هـ/895م) أن الرشيد استشار الفضل بن الربيع في أمر البيعة, وقال له: " إني عنيت بتولية العهد, ومُثِبتُ الأمر في محمد وعبدالله, وقد علمت أني إن وليت محمداً مع ركوبه هواه, وانهماكه في اللهو والملذات, خلّط على الرعية وضيّع الأمر... وإن صرفت الأمر إلى عبدالله ليسلكن بهم المحجه, وليصلحن المملكة, وإن فيه حزم المنصور وشجاعة المهدي" [6]. وهذه رواية فيها نظر، نُسبت إلى الرشيد في إطار الدعاية ضد الأمين فيما بعد, إذ يُفهم منها أن عبدالله كان على دراية كبيره بأمور الإدارة, وأن محمداً كان مشغولاً بلهوه, مع أن عبدالله حينذاك لم يتجاوز

---

(1). الجهشياري , الوزراء، ص 175 . السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص 245 .
(2). الجهشياري , الوزراء , ص 175 . الأزدي , تاريخ الموصل , ص 262 , الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , جـ 14 , ص 6 . المقدسي , البدء والتاريخ , ص 101 . ابن العمراني , الإنباء , ص 73 . ابن كثير , البدا يه والنهاية , جـ 10, ص160 .
(3). الطبري , تاريخ , جـ 8 , ص 233 .
(4). ابن خلكان , وفيات الأعيان , جـ 2 , ص 315 .
(5). الطبري , تاريخ , جـ 8 , ص 240 .
(6). الدينوري , الأخبار الطوال , ص 389 .

ست سنين, وسن محمد دون ذلك, وليس من المقبول أن يوصف الطفلان بهذه الأوصاف. كما سارت المصادر المتأخرة في نفس الاتجاه, إذ يصف السيوطي (تـ 911هـ/1505م) عبدالله بأنه أفضل رجال بني العباس " حزماً وعزماً وحلماً وشجاعة "[1]. وتظهره الروايات أرجح علماً وعقلاً , وأكثر اتزاناً من أخيه محمد, الذي يُذكر أنه كان فيه انقياد للهوى والتبذير, إذ يصفه صاحب الفخري بأنه كان " كثير اللهو واللعب "[2]. ويصفه السيوطي بأنه " كان سيء التدبير, كثير التبذير, ضعيف الرأى لا يصلح للإماره"[3].

وفي الوقت ذاته يذكر الدينوري أن محمداً كان ذا ثقافة عاليه, إذ اهتم والده الرشيد بتعليمه, واختار له جماعه من العلماء , وأبرزهم الأصمعي, ويروي الدينوري عنه, أن الرشيد طلب إليه أن يختبر الأميرين محمد وعبدالله , قال : " فكنت لا ألقي عليهما شيئا من فنون الأدب إلا أجابا فيه, وأصابا, فقال ـ الرشيد- كيف ترى أدبهما ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ما رأيت في ذكائهما وجودة رأيهما " [4]. مما يظهر أن محمداً كان ذكياً. ويبدو أنه كان على اطلاع حسن في الفقة واللغة والأدب والتاريخ [5]. ويذكر أبن النديم (تـ377هـ/987م) أن محمداً كان فصيحاً, وأن عبدالله " كان دون أخيه محمد بن زبيده في الفصاحة"[6].

ويظهر أن الروايات التي وصفت محمد بسوء الإدارة, واستيلاء النساء عليه[7], من أثر التحزب ضده, ويبدو فيها روح المبالغة وإغفال الواقع[8]. لأن الذي يغلب عليها مناصرة الغالب والمبالغة بذكر فضائله, حتى قال ابن الأثير" لم نجد للأمين شيئاً من سيرته نستحسنه فنذكره " [9], مع أن هناك

---

[1]. السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص 246 .
[2]. ابن طباطبا , الفخري , ص 212 .
[3]. السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص 238 .
[4]. الدينوري , الأخبار الطوال , ص 388 .
[5]. ن . م . ص 389,388.
[6]. ابن النديم , الفهرست , ص 168 .
[7]. المسعودي , مروج , جـ 4 , ص 352 .
[8]. الدينوري , الأخبار الطوال , ص 389 . ابن طباطبا , الفخري, ص 212 . السيوطي, تاريخ الخلفاء , ص 238 .
[9]. ابن الأثير , الكامل , جـ 6 , ص 121 .

دلائل تشير إلى مقدرة الأمين الإدارية كخليفة؛ ففي وصيته لعلي بن عيسى بن ماهان حين أرسله لقتال المأمون سنة 195هـ/810م ما يدل على ذلك, إذ قال له " امنع جندك من العبث بالرعية والغارة على أهل القرى, وقطع الشجر, وانتهاك النساء... ومن خرج إليك من أهل خراسان ووجوهها فأظهر إكرامه واحسن جائزته... وضع عن أهل خراسان ربع الخراج "[1].

يبدو أن زبيدة أرادت أن تكون البيعة لابنها محمد , محتجة بأنه هاشمي الأبوين[2]. وليس ابن جارية كأخيه عبدالله وأيدها في رأيها هذا عدد من شيوخ بني هاشم, يقول السيوطي بأن الرشيد بايع لمحمد" لحرص أمه زبيدة على ذلك "[3], وميل بني هاشم إليه[4], ويذكر المسعودي أن الرشيد كان يعرف أن " بني هاشم مائلون إلى محمد بأهوئهم"[5], وكذلك بعض رجال الحاشية, وأبرزهم الفضل ابن الربيع. وكان الفضل بن يحيى مشرفاً على تثقيف محمد حسب قول الجهشياري " وجعل – الرشيد – محمداً في حجر الفضل بن يحيى, واسكنه معه في قصر الخلد "[6]. إلا أنه لا توجد إشارات إلى وقوفه إلى جانب زبيدة وبني هاشم, عكس أخيه جعفر الذي وقف إلى جانب عبدالله في ولاية العهد, إذ كان المشرف على تثقيفه[7]. ومن جهة أخرى سكتت المصادر الأولى كالدينوري والجهشياري والطبري عن ذكر أي دور لأبيهما يحيى في هذا المجال.

بايع الرشيد بولاية العهد لأبنه محمد سنة 175هـ/791م وعمره خمس سنين [8], فدعا أمراء بيته, ورجال حاشيته, في مجلس عقده في 6 شعبان 175هـ/791م , وأخرج محمداً إلى الحاضرين , وقال عبد الصمد بن علي عم أبي جعفر المنصور, وهو أكبر بني العباس سناً " أيها الناس لا يغرنكم صغر السن , فإنها الشجرة المباركة , أصلها ثابت وفرعها في السماء " وجعل الرجل من بني هاشم يقول

---

[1]. الطبري, تاريخ, ج 8, ص406.
[2]. ابن طباطبا , الفخري , ص 212 .
[3]. السيوطي, تاريخ الخلفاء, ص232.
[4]. الثعالبي, ثمار القلوب, ص149. ابن الجوزي, المنتظم, جـ 9, ص 9.
[5]. المسعودي, مروج, جـ 4, ص 352. ابن أعثم, الفتوح, جـ 8، ص 216. الثعالبي, ثمار القلوب, ص 149.
[6]. الجهشياري, الوزراء, ص193.
[7]. ن. م. ص 211 .
[8]. الطبري , تاريخ , جـ 8 , ص 240 . الأزدي , تاريخ الموصل , ص 274 .

في ذلك حتى انقضى المجلس "[1] , أي أنه أعقبه بنو هاشم في التأييد, وأخذت البيعة لمحمد, ولقبه الرشيد بالأمين [2], وفي العام ذاته 175هـ/791م ولاه الرشيد على الشام والعراق, وجعل ولايته بإدارة الفضل بن يحيى[3].

وقد أظهرت الكتابات على النقود صورة أكثر وضوحاً عن منزلة محمد, فقد ظهر اسمه على الدراهم قبل ولايته للعهد؛ ومن ذلك الدراهم المضروبة في المحمدية سنة 172هـ/788م, وسنة 174هـ/790م [4], وفي هذا دلالة على أن الرشيد اتجه إلى تولية محمد ولاية العهد منذ أن كان عمره سنتين, لكن صغر سنه كان يمنعه عن ذلك. وظهر اسمه في المحمدية بعد ولايته للعهد في السنوات 180هـ/796م, 181هـ/797م [5] , والسنوات , 183هـ/799م , 184هـ/800م , 185هـ/801م , 186هـ/802م [6].

وأهم من ذلك ظهور اسمه على الدنانير الذهبية ابتداء من سنة 181هـ/797م – 186هـ/802م , في مدينة السلام ومصر[7].

تباينت الروايات في توضيح دوافع الرشيد لأخذ البيعة للأمين وتقديمه على أخيه الأكبر عبدالله . فيذكر بعضها أن الفترة 170هـ/786م – 175هـ/791م التي لم يعهد الرشيد فيها لأحد بولاية العهد , حرّكت أطماع البارزين من بني العباس حسب رواية في الطبري " وكان جماعه من بني العباس قد

---

[1]. اليعقوبي , تاريخ , جـ 2 , ص 408 .
[2]. ن. م. جـ 2 , ص 408 . ابن الجوزي , المنتظم, جـ 9 , ص 9 . ابن الأثير , الكامل , جـ 6 , ص 122 .
[3]. مسكويه , تجارب الأمم , جـ 3 , ص 527 .
[4]. Lane Poole, catalogue of oriental coins, vol.1, P, 76,77

[5]. محمد العش , النقود العربيه الإسلامية , جـ 1 , ص 394 , 395 .
lavoix , Catalogue des Monnaies Musulmanes , p , 192 - 194

lavoix , Catalogue des Monnaies Musulmanes , p , 199.

[6]. محمد العش , النقود العربيه الإسلاميه , جـ 1 , ص 394 – 400 .
[7]. Lane Poole, catalogue of oriental coins vol , I , p,82
lavoix, Catalogue des Monnaies Musulmanes , p , 199 .

مدّوا أعناقهم إلى الخلافة بعد الرشيد لأنه لم يكن له ولي عهد " [1]. وبعضها يرد الأمر إلى الفضل بن يحيى, وأنه عندما كان بخراسان سنة 178هـ/794م, أخذ البيعة لمحمد بولاية العهد وسمّاه الأمين [2]. ويضيف الطبري " فلما تناهى الخبر إلى الرشيد بذلك, وبايع له أهل المشرق, بايع لمحمد, وكتب إلي الآفاق, فبويع له في جميع الأمصار"[3]. وهذا منتقض من جهة أن الرشيد بايع بولاية العهد لمحمد سنة 175هـ/791م [4], بينما كان الفضل على خراسان سنة 178هـ/794م [5], مما يدلل على وجود خلل في رواية الطبري الذي يذكر هذا الخبر في أحداث سنة 175هـ/791م [6], والطبري نفسه يذكر أن الفضل بن يحيى تولى خراسان سنة 178هـ/794م [7]. كما أن هذا الأمر متعلق بالخلافة, ولا يمكن أن يتم بهذه الصورة , ولكن يمكن القول أن الفضل أراد التقرب لمحمد ولأمه زبيده, بإظهار ولاية العهد له في خراسان . ورواية أخرى تذكر أن خال محمد, عيسى بن جعفر بن المنصور, جاء إلى الفضل بن يحيى وطلب منه السعي لتولية الأمين إذ قال له " إنه ولدك وخلافته لك" فسعى الفضل في ذلك [8]. ولا توجد إشارات إلى أن الفضل بن يحيى كان إلى جانب زبيدة وبني هاشم في العهد للأمين حتى يتوسط لديه أقرب الناس إلى الخليفة. وتشير بعض الروايات إلى أن الرشيد كان يميل إلى العهد لعبدالله باعتباره الابن الأكبر, لكن ضغط زبيده , كان له الدور الأكبر في إثنائه عن رأيه, وتقديم أخيه محمد. وهذا يضعفه أن اسم الأمين ظهر على النقود منذ سنة 172هـ/788م[9]. ولكن لا يُستبعد تأثير زبيدة على الرشيد, لأنها كانت ابنة عمه جعفر بن المنصور[10] , ولأن الرشيد – كما تصوره

---

(1). الطبري , تاريخ , جـ 8 , ص 240. ابن الجوزي , المنتظم , جـ 9 , ص 10 .
(2). الطبري , تاريخ , جـ 8 , ص 240 . الجهشياري , الوزراء , ص 193.
(3). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 241.
(4). اليعقوبي, تاريخ , جـ 2 , ص 408 . الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 0 24 .
(5). اليعقوبي, جـ 2 , ص 407 . خليفه بن خياط , تاريخ , ص 462 . الطبري , تاريخ , جـ 8 , ص 257 . الأصبهاني , تاريخ سني ملوك الأرض , ص 165 . مسكوية , تجارب الأمم , جـ 3 , ص 521 .
(6). الطبري, , تاريخ , جـ8, ص240.
(7). ن. م. جـ8, ص257.
(8). ن. م. ج8, ص 240. ابن الجوزي, المنتظم, ج9, ص 10. ابن الأثير, الكامل, ج6, ص122.
(9) Lane Poole ,catalogue of oriental coins, vol.1. P, 76, 7 7.
(10). ابن العمراني , الإنباء , ص 76 .

الروايات- كان يحب زوجته زبيدة, لدرجة أنه كان يقدمها على الملك [1]. ويرى البعض أن زبيدة كان لها الفضل في العهد للأمين [2] . وفي رواية أن جماعة من بني العباس أنكروا على الأمين بيعته لصغر سنه[3].

و مع ذلك هناك من يشير إلى ندم الرشيد على تقديم الأمين , كما ذكر ابن الجوزي (تـ 597هـ/1200م) - وهو متأخر- أن الرشيد نفسه ندم على تولية الأمين, إذ كان ينشد[4]:

لقد بان وجه الرأي لي غير أنني	غُلبت على الأمر الذي كان احزما
فكيف يُردُّ الذرُ في الضرع بعدما	تـوزع حتـــى صـــار نـــهباً مقسّما
أخاف التواء الأمر بعد انصرامه	وأن ينقض الأمر الذي كان أبرما

وبعد حوالي سبع سنين, اتجه الرشيد إلى العهد لعبد الله بعد الأمين, معللاً ذلك بحجج قد لا تتلاءم وسن عبدالله, أو سن محمد, وأبرزها ما يرد عند المسعودي (تـ346هـ/957م) من استشارته ليحيى البرمكي في هذا الأمر, إذ قال له " أنى قد عنيت بتصحيح هذا الأمر وتسييره إلى من أرضى سيرته وأحمد طريقته, وأثق بحسن سياسته, وآمن وهنه وضعفه وهو عبدالله"[5]. وعزز ذلك بذكر سلبيات الأمين, وأن " فيه ما فيه من الانقياد لهواه ... والتبذير لما حوته يده, ومشاركة النساء والإماء في

---

(1). انظر, الطبري, تاريخ, جـ 8, ص208. الجهشياري, الوزراء, ص170,169.
(2). EL - Hibri, Reinterpreting Islamic Historiography, p. 42,43.

(3). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 240.
(4). ابن الجوزي, المنتظم, جـ 9, ص 10.
(5). المسعودي , مروج , جـ 4 , ص 352 .

رأيه" [1]. ووجد الرشيد في استشارة وزيره يحيى البرمكي ما أيده ,إذ أثنى على أخلاق عبدالله وحسن إدارته [2].

أما عن سبب البيعه للمأمون, فترد روايه عند الطبري تبين أن لجعفر البرمكي يداً في ذلك, ففي سنة 194هـ /809م جاء على لسان الأمين بعد أن عزم على خلع المأمون قوله " أن رأي الرشيد كان فلته شبهها عليه جعفر بن يحيى بسحره, واستماله برُقاه وعُقده, فغرس لنا غرساً مكروهاً لا ينفعنا ما نحن فيه معه إلا بقطعه, وإلا تستقيم لنا الأمور إلا باجتثاثه والراحة منه "[3]. ويوافق هذا ما جاء عند الجهشياري الذي يذكر أن جعفراً أشار على الرشيد بالبيعه للمأمون بعد الأمين[4] . ويذكر المسعودي سبباً آخر وهو انحلال أخلاق الأمين, ونُبل المأمون[5], وأن الأمين أضعف بسياسة الرعية[6]. ويبدو أنه لا علاقة لهذا السبب بأمر البيعة, إذ كان الأمين من صغر السن الذي لم يتجاوز الثالثة عشرة, بحيث لا يعرف ميوله أو حزمه. والأغلب أن جعفراً البرمكي كان ممن يؤيد البيعة للمأمون, خاصة وأنه أكّد على الأمين إيمانه حين عُلق كتاب العهد في سقف البيت الحرام سنة 186هـ/802م [7].

ويظهر أن البرامكه بدءً بجعفر حثوا الرشيد على البيعه لعبدالله؛ ففي سنة 182هـ/798م أشار جعفر على الرشيد بأن يبايع له بعد الأمين [8], واستمر جعفر في حث الرشيد على أخذ البيعة له, وسعى في ذلك, يقول الجهشياري " فأشار على الرشيد ببيعته للعهد بعد محمد, وقام بالأمر حتى عقده له, وشخص به معه من الرقة إلى مدينة السلام, حتى أكد البيعة له, وأخذ الأيمان على بني هاشم والوجوه بها, وكاتب العمال في جميع النواحي بذلك"[9]. ولم يرد أي دور ليحيى البرمكي في هذا

1). المسعودي , مروج , جـ 4 , ص 352.
2). ن. م . جـ 4 , ص 353 .
3). الطبري , تاريخ , جـ 8 , ص 385 . الجهشياري , الوزراء , ص 292.
4). الجهشاري , الوزراء , ص 211.
5). المسعودي , مروج , جـ 4 , ص 352.
6). ابن أعثم , الفتوح , جـ 8 , ص 262.
7). الجهشياري , الوزراء , ص 222.
8). الطبري , تاريخ , جـ 8 , ص 269 . الجهشياري , الوزراء , ص 211 .
1). الجهشياري, الوزراء, ص 211.

المجال, غير ما يذكره المسعودي من استشارة الرشيد له في العهد للمأمون [1]. ويبدو أن يحيى لم يكن يريد أن يتخذ موقفاً معادياً من زبيدة ورجالات بني هاشم. فعندما استشاره الرشيد بالعهد للمأمون, كان يدرك خطورة تغيير العهد, إذ جاء رده للرشيد حسب ما يذكره المسعودي " يا أمير المؤمنين, إن كل زلة مستقالة, وكل رأي يتلافى, خلا هذا العهد , فان الخطأ فيه غير مأمون... وافترقا على أن عقد الأمر لعبدالله بعد محمد "[2], وانتهى الأمر بتعيين عبدالله سنة 182هـ/798م [3] , ولياً للعهد بعد الأمين, وكان الرشيد بالرقه, فأرسل عبدالله إلى بغداد ومعه جعفر بن أبى جعفر المنصور, وعبد الملك بن صالح, وجعفر بن يحيى, حتى أُخذت له البيعة [4]. ولقبه الرشيد المأمون, وولاّه على الجزء الشرقي من بلاد الخلافه, فقد ولاه على همذان وخراسان الى آخر المشرق[5], واقتصر ظهور اسمه على الدراهم في بعض المدن مثل , الرافقة وبلْخ سنة 185هـ/801م [6], مما يدل على أنه لم يُعط المنزلة التي لأخيه الأمين. وفي روايه أن زبيده دخلت على الرشيد وقالت له " ما أنصفت ابنك محمداً ، حيث وليته العراق, وأعريته من العُدد والقوّاد, وصيّرت ذلك إلى عبدالله دونه ", فقال لها " فإنا نتخوف ابنك على عبدالله, ولا نتخوف عبدالله على ابنك"[7]. وفي هذا دلاله على أن زبيده كانت يقظة لمستقبل ابنها. ومن جهة أخرى لا يوجد ما يشير إلى أن زبيدة مانعت تعيين المأمون لولاية العهد بعد أن تم لها تعيين ولدها الأمين قبله[8].

---

[2]. المسعودي, مروج, جـ4, ص352.

[3]. م . ن. جـ4, ص353.

[4]. الطبري , تاريخ , جـ 8 , ص 269.

[5]. اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 415. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 269. الأزدي, تاريخ الموصل, ص 293, الإربلي, خلاصة الذهب المسبوك, ص 127. ابن كثير, البدايه والنهايه, جـ10, ص179.

[6]. الطبري , تاريخ , جـ 8 , ص 269 . الأزدي, تاريخ الموصل, ص 293. مسكويه , تجارب الأمم , جـ 3 , ص 527. ابن أعثم , الفتوح, جـ 8 , ص 274. ابن العمراني, الإنباء , ص 76 . ابن العبري , تاريخ مختصر الدول , ص 129 .

[7]. Laviox, Catalogue des Monnaies Musulmanes , P, 183.
Lane Poole , catalogue of oriental coins, vol,, I, P,70.

[8]. المسعودي, مروج , جـ 4 , ص 314. ابن أعثم , الفتوح , جـ 8 , ص 263.

[1]. الطبري, تاريخ, جـ 8، ص240. الازدي, تاريخ الموصل, ص274.

في سنة 186هـ/802م حج الرشيد, فلما قضى مناسكه كتب للمأمون كتابين, أجهد الفقهاء والقضاة آراءهم فيهما[1], وأشهد عليهما أكابر أهل الإسلام والكتّاب والقوّاد[2] ؛ أحدهما على الأمين، اشترط عليه الوفاء بما فيه, وتسليم ما ولي المأمون من الأعمال, والآخر احتوى على نسخة البيعة التي أخذت على الخاصة والعامة[3]. وعُلّقت الكتب في الكعبة ليزيد من قدسية العهد, وليؤكد تنفيذه, ثم أخذت البيعة كما يقول اليعقوبي (تـ284هـ/897م) (على الناس كلهم حتى في الأسواق) [4].

ويشير الجهشياري (تـ331هـ/942م) إلى إلحاح جعفر البرمكي على الأمين بالالتزام العهد, إذ أنه طلب من الأمين لمّا حلف على كتاب العهد للمأمون, تأكيد إيمانه, وتأكيد توليته لخراسان حين يتولى الحكم بالقول " خذلني الله إن خذلته " وجعله يردد هذه العبارة ثلاث مرات [5]. ويبدو أن هذا كان سبباً في اضطغان زبيدة على جعفر. ويذكر البعض أسباباً أخرى ولعل أهمها ؛ قرب جعفر من الرشيد, و ما وصل إليه من دالة عنده, ما يمكّنه من دعم المأمون [6]. ويضيف الدوري سبباً آخر, إذ يرى أن من بين الأسباب للعهد للمأمون, قد يكون رغبة الرشيد في حفظ الخلافة في نسله لأن الأمين كان صغير السن آنذاك [7] .

انتقد المؤرخون السياسة التي اتبعها الرشيد في العهد لأبنائه, وخاصة بعد أن بايع لابنه القاسم (المؤتمن) سنة 186هـ/802م بعد الأمين والمأمون[8]. إذ يبدو أنه لم يظهر حنكة في قضية ولاية العهد تمكّنه من تلافي أخطاره , فالعهد لثلاثة من الأبناء خطوة لم يسبق أن قام بها أحد من الخلفاء قبله, وفي ذلك يقول ابن الأثير " وهذه من العجائب , فان الرشيد قد رأى ما صنع أبوه المهدي , وجده

---

(2). الطبري , تاريخ , جـ 8 , ص 277.

(3). الأزرقي, أخبار مكة , جـ 1 , ص 153. مسكويه, تجارب الأمم , جـ 3 , ص 528 . ابن العمراني, الإنباء , ص 76.

(4). الطبري , تاريخ , جـ 8 , ص 281.

(5). اليعقوبي, تاريخ , حـ 2 , ص 415 . مسكويه, تجارب الأمم , حـ 3 , ص 528.

(6). الجهشياري , الوزراء , ص 222. المسعودي , مروج , حـ 4 , ص 215.

(7). نابيا ابوت, ملكتان في بغداد, ص175.

(8). الدوري , العصر العباسي الأول , ص 138 .

(1). الطبري , تاريخ , جـ 8 , ص 276 . الأزدي, تاريخ الموصل, ص 302 . مسكويه, تجارب الأمم, جـ 3, ص 527 , ابن الأثير, الكامل, جـ 6 , ص 173. السيوطي , تاريخ الخلفاء, ص 23.

المنصور بعيسى بن موسى حتى خلع نفسه من ولاية العهد, وما صنع أخوه الهادي معه ليخلع نفسه من ولاية العهد"[1]. إذ جرَّت هذه السياسة الدولة العباسية إلى مشكلات ذات أبعاد سياسية, ما لبثت أن تطورت إلى صراع دموي بعد وفاة الرشيد.

ويبدو أن التيارات السياسية ساهمت في ولاية العهد[2], ممثلة بالتيار الفارسي الذي يضم البرامكة, والتيار العربي الذي يضم زبيدة وبني هاشم, فكان الرشيد بين التيار الفارسي الذي يميل للمأمون[3], والتيار العربي الذي يميل للأمين باعتباره هاشمي الأبوين[4].

ـ البرامكة والتيارات السياسية

كان عصر المهدي عصر استقرار سياسي وإداري [5], وكان يصغي لبعض الحاشية, وخاصة الربيع بن يونس [6], مما أفسح المجال للدسائس الشخصية أن تلعب دورها في الدولة, فهو الذي أشار على المهدي بعزل وزيره أبي عبيدالله معاوية ابن يسار, يقول الجهشياري " ولم يزل أبو عبيدالله في خلافة المهدي إلى سنة ثلاث وستين ومائة مستقيم الأمر, ثم سعى عليه الربيع, وحمل المهدي على مكارهه"[7]. وسمح المهدي للنساء التدخل والمشاركة في الحكم, يقول الجاحظ (تـ255هـ/868م) بأن زوجته الخيزران كانت " ذات نفوذ في الدولة وقيام بقضاء حوائج الناس"[8]. وجاء في الفخري

---

(2). ابن الأثير, الكامل, جـ 6 , ص 160 .
(3). انظر, ص129، ما بعدها, والجهشياري, الوزراء, ص 222.
(4). الجهشياري, الوزراء, ص222. المسعودي, مروج, جـ4, ص215.
(5). المسعودي, مروج, جـ4, ص352.
(6). الطبري, تاريخ , جـ 8 , ص136.
(7). الأزدي , تاريخ الموصل , ص 253.
(1). الجهشياري, الوزراء , ص 151.
(2). الجاحظ, البيان والتبيين, جـ 3 , ص 121.

" إن الخيزران كانت متبسطة في دولة المهدي تأمر وتنهى, وتشفع وتبرم وتنقض"[1], إلى أن جاء الهادي فوضع حداً لامّه الخيزران , ومنعها التدخل في شؤون الدولة[2].

وفتح الهادي المجال واسعاً للسعايات, وتدخل رجال البلاط, وظهر هذا أكثر وضوحاً في قضية ولاية العهد, يقول الطبري " فأراد الهادي خلع هارون والبيعة لابنه جعفر بن موسى الهادي, وتابعه على ذلك القوّاد؛ منهم يزيد بن مزيد, وعبدالله بن مالك... فخلعوا هارون وبايعوا لجعفر بن موسى "[3], ويضيف الجهشياري محمد بن فروخ الأزدي, وعلي بن يقطين[4] . ومع ذلك تمكنت الخيزران وحليفها يحيى البرمكي من التخلص من الهادي ومبايعة الرشيد[5], إذ يذكر الطبري في أحداث 170هـ/786م, أنها " بعثت إلى يحيى تعلمه إن الرجل لمآبه وتأمره بالاستعداد لما ينبغي, وكانت المستولية على أمر الرشيد, وتدبير الخلافة إلى أن هلكت "[6].

وبدأت التكتلات السياسية تتبلور في عهد الرشيد مع تسلمه مقاليد الحكم سنة 170ه/786م, فكوّنت الخيزران مع يحيى البرمكي تياراً, رغم أنها لم تكن فارسية, فالمعروف أنها جُرشيّه من اليمن اشتراها المهدي ثم تزوجها[7] . وقفت الخيزران ضد كل من وقف مع جعفر بن الهادي ضد الرشيد, في محاولة للتخلص منهم[8]. ويفسر البعض تصرف الخيزران هذا على أنه دليل على عقدة الحقد والانتقام التي عاشتها زمن ابنها الهادي [9] , إذ بذلت الخيزران ويحيى جهداً لإظهار نفوذها في الدولة, فكانت تتدخل في السياسة, ولها كلمة مسموعة, ولعلها كانت طامعة بإعادة دورها بعد أن ضيَّق عليها ابنها الهادي[10], فهي لم تكن معتدلة في تدخلها في أمور الحكم و السياسة [1] , إذ رأى الهادي

---

(3). ابن طباطبا , الفخري , ص 191.
(4). الطبري, تاريخ, جـ 8 , ص 206.
(5). الطبري، تاريخ , حـ 8 , ص 207.
(6). الجهشياري, الوزراء, ص 174.
(7). الطبري, تاريخ , جـ 8 , ص 206 . الكرديزي , زين الأخبار , ص 109 . ابن طباطبا, الفخري, ص 191.
(8). الطبري, تاريخ , جـ 8 , ص 212.
(9). المسعودي, مروج , جـ 4, ص182.
(10). الجهشياري, الوزراء, ص 178.
(1). نابيا ابوت, ملكتان في بغداد، ص123.
(2). الطبري , تاريخ , جـ 8 , ص 206. المسعودي , مروج , جـ4 , ص 187. ابن الأثير, الكامل , جـ6 , ص 10.

كثرة من يرتاد إليها من قواده وخاصته [2] . وأوردت بعض المصادر [3] , سعيها إلى ذلك مع بداية خلافة الرشيد, إذ يشير الطبري إلى أنها كانت تثني الرشيد عن تقريب الفضل بن الربيع[4]. والفضل هو ابن الربيع بن يونس وزير الهادي, ورئيس ديوان الأزمّة إلى أن مات سنة 169هـ/ 785م[5], ثم انضم ابنه الفضل إلى حاشية الهادي وصار حاجبه[6], يقول اليعقوبي (تـ284هـ/ 897 م) " وكان الغالب على موسى الفضل بن الربيع"[7]. ومن الطبيعي أن يقف إلى جانب جعفر بن الهادي في ولاية العهد ضد الرشيد, لذلك سعت الخيزران إلى إبعاده, ولعلها كانت تدرك أن وجوده إلى جانب الرشيد قد يحد من نفوذها الذي استعادته مع بداية حكم ابنها الذي كانت تقول عنه بأنه " أحب إليّ من الدنيا بجميع ما فيها"[8], فكانت هي الناظرة في الأمور في عهده حسب قول الطبري وتتمتع بنفوذ واسع[9].

ولم يتقلد الفضل بن الربيع أياً من الوظائف الإدارية إلى أن ماتت سيدة القصر سنة173هـ/ 789م[10], فما كاد موكب التشييع ينتهي حتى أخبره الرشيد عن نيته في تقريبه, وأن أمه الخيزران كانت تمنعه, فقال له :" يا فضل وحق المهدي أنى لأهمّ لك من الليل بالشيء من التولية وغيرها, فتمنعني أمي, فأطيع أمرها فخذ الخاتم من جعفر" [11]. وكان هذا التعيين بداية لتقدم الفضل بن الربيع في المناصب العليا. وإذ ما لبث أن ولاه الرشيد " نفقات العامة والخاصة, وبادُوريا والكوفة"[12]. وفي

---

(3). نابيا ابوت, ملكتان في بغداد، ص99.
(4). الطبري, تاريخ, جـ8, ص207.
(5). ن. م. ج8 , ص 223. الجهشياري , الوزراء, ص 177.
(6). الطبري , تاريخ , ج8 , ص233.
(7). الجهشياري, الوزراء, ص167.
(8). الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, ج14 , ص339.
(9). اليعقوبي, تاريخ , ج2, ص406.
(10). الطبري, تاريخ , ج8 , ص210.
(11). ن. م. ج8, ص234.
(12). ن. م. ج8, ص238.
(1). الطبري، تاريخ، ج8, ص238. الإربلي, خلاصة الذهب المسبوك, ص117.
(2). الطبري, ج8, ص238.

رواية أن الفضل بن ربيع سأل يحيى البرمكي مرة في حاجة, فردَّه يحيى ولم يجبه, إلا بعد أن سمعه ينشد[1]:

عسى وعسى يَثْني الزمان عِنانه بتَصْريف حال والزمان عَثُورُ

فتُقضى لُبانات وتُشفي حسائك وتَحْدث من بعد الأمور أمـور

ويُذكر أن جعفراً البرمكي تنازع يوماً مع الفضل بحضرة الرشيد, فقال جعفر للفضل, يا لقيط, إشارة إلى ما قيل عن أبيه الربيع[2], بأن أباه يونس وقع على جاريه فولدته فبيع الربيع في الرِّق حتى وصل إلى بني العباس[3] .

وينفرد الجهشياري بذكر رواية تظهر سعي البرامكة إلى إبعاد الفضل بن الربيع عن وظائف الدولة, يقول " نادم الفضل بن الربيع- الرشيد- وخُص به, فقال لجعفر: قلّد الفضل بريد ناحية يأخذ رزقها, ويستعين به على خدمتي؛ فقال له جعفر, بسلاسة خلقه: اختر؛ فقال الموصل وديار ربيعة؛ فأمر أن تكتب كتبه عليها, فراح بها إلى أبيه, فلما عرضها عليه, وعرّفه حال الفضل وخصوصيته غضب يحيى وقال: هذه ناحية إلى أخيك, وقد صرفناه عن إرمينيه, ونصرفه عن هذه! وكان َولِيَ خراج إرمينيه وحربها وصُرف عنها, فقال: ما كنت لأفعل ! فقال: فالموصل؛ فقال: لا والله؛ فكره جعفر إغضاب أبيه..."[4]. ولم يُكتب للفضل بن الربيع ما أمر به الرشيد حتى أحضر هدية قيِّمه للخليفة, وعندها قام جعفر" فكتب كُتب الفضل على بريد الموصل وديار بكر ومُضر, لكن الفضل رفضا ذلك, وقال: لا حاجة لي إليها"[5] .أورد الجهشياري هذه الرواية, نقلاً عن كتاب الوزراء

[3]. الجهشياري, الوزراء, ص251. التنوخي, الفرج بعد الشدة, جـ1, ص307, 308.
[4]. الجهشياري, الوزراء, ص216. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ4 , ص38.
[5]. ابن طباطبا, الفخري, ص177.
[6]. الجهشياري, الوزراء, ص249.
[1]. الجهشياري، الوزراء، ص250,249.

لمحمد بن داوود بن الجراح, ويُفهم من الجهشياري أن البرامكة كان بيدهم الأمر والنهي, وأنهم من يُولي الولايات [1].

كان الفضل بن الربيع إلى جانب زبيدة, ولم تذكر الروايات أي دور لها في الدولة إلا سنة 175ه/791م, حين عزم الرشيد على اختيار ولي عهده [2], إذ كان يستمع لكلامها, حتى أن بعض الشعراء أنشد على أثر خلاف وقع بينهما مدللاً على مكانتها قوله[3]:

زمنٌ طيب ويوم مطيــر　　　　هذه روضـــــة وهذا غديـــــر

إنما أم جعفر جنة الخلـ　　　　ـد رضاها والسُّخطُ منها السعير

ويبدو أن دور زبيده السياسي بدأ بعد أن توفيت الخيزران, وهذا يفسر سكوت المصادر عن الإشارة إلى العلاقات بين والدة الخليفة, وزوجته زبيدة, و لعل في هذا دليل على أن الخيزران كانت سيدة القصر الأولى في بلاط الرشيد إلى أن توفيت . ويرى الدوري أن الرشيد سمح للحرم التدخل في شؤون الدولة بعد أن وضع الهادي حداً لذلك[4]. وكانت زبيده تكره البرامكه وتشكوهم إلى الرشيد, ولعل يحيى كان يضايقها, ويقيِّد تصرفاتها, فعاتبه الرشيد مرة على أثر شكاية لها, فقال له , يا أبت ما لزبيده تشكوك؟ فقال: أمتَّهم أنا في حرمك يا أمير المؤمنين؟ قال- الرشيد- لا, فقال: فلا تقبل قولها عليّ[5]. وبعدها ازداد يحيى على زبيده " غلظه وتشديداً"[6] , حسب قول اليافعي (تـ768هـ/ 1366 م) وهو متأخر. وذكر المسعودي أن زبيده اضطغنت على جعفر البرمكي لأنه أكد على الأمين في

---

(2). ن. م . ص249.
(3). الطبري, تاريخ, ج8 , ص240.
(4). ابن خلكان, وفيات الأعيان, ج2, ص315.
(5). الدوري, العصر العباسي الأول , ص 139.
(6). اليافعي, مرآت الجنان, جـ1, ص417.
(7). ن. م . جـ1, ص418.

الكعبة أن لا يغدر بأخيه المأمون " فكانت أحد من حرّض الرشيد على أمره, وبعثه على ما نزل به"[1] ,إذ كانت ترى أن تدخل البرامكة في أمر البيعة كان لمصلحة المأمون دون ابنها الأمين[2].

كوّن بنو هاشم مع زبيده والفضل بن الربيع تياراً إلي جانب الأمين, وقد اعترف الرشيد نفسه بذلك[3]. ويذكر الدينوري أن الرشيد استشار الفضل بن الربيع في أمر البيعة قبل أن يعهد لمحمد بن زبيده بولاية العهد سنة 175هـ/791م [4].

وترد إشارات إلى أن الفضل بن الربيع كان يدسّ على البرامكه عند الرشيد, إذ بعد وفاة الخيزران لم يعد أحد يقف في طريقه غيرهم, يقول ابن خلكان (تـ681هـ/1282م) " وسعى الفضل بهم, وتمكن بالمجالسة من الرشيد, فأوغر قلبه عليهم, ومالأه بها على ذلك كاتبهم اسماعيل بن صبيح"[5]. ويقول أيضاً " أنه عندما لم يستطع الفضل بن الربيع منافسة البرامكه والتشبه بهم, كان في نفسه منهم إحنٌ وشحناء "[6], فأخذ " يستر المحاسن ويظهر القبائح " كما يقول ابن خلكان[7]. وخدمت الظروف الفضل أحياناً, ولعل أبرز ما قام به ضدهم أنه لم يتوان عن استغلال إطلاق جعفر البرمكي يحيى بن عبدالله العلوي من الحبس سنة 176هـ/792م, فأوصل الخبر للرشيد بعد أن عرفه من خلال عين كانت له على جعفر[8]. وفي هذا دلالة على أن الفضل بن الربيع كان يترقب أحوال البرامكة حتى اختار من خاصته عيناً يعلمه أخبار البرامكة ويتتبع هفواتهم. أما الرشيد, فقد أنكر ما جاء به الفضل وأسرّه في نفسه, وأظهر أن ما فعله جعفر البرمكي كان بأمره, إلى أن تحقق من صدق ذلك الخبرمن جعفر نفسه[9], فكان تعليقه يشعر بعدم الرضى عن تصرفات البرامكة إذ قال: " قتلني الله بسيف

---

[1]. المسعودي , مروج, جـ4, ص415.
[2]. نابيا ابوت, ملكتان في بغداد, ص173.
[3]. المسعودي, مروج, جـ4, ص352. ابن أعثم, الفتوح, جـ8, ص216. الثعالبي, ثمار القلوب, ص149.
[4]. الدينوري, الأخبار الطوال, ص389.
[5]. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ4, ص37.
[6]. ن. م. جـ4, ص37.
[7]. ن. م. جـ4, ص38,37.
[8]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص289.
[9]. ن. م. جـ8، ص289. ابن الأثير, الكامل , جـ6, ص176.

الهدى على عمل الضلالة إن لم أقتلك!"[1]. ووقر في نفس الرشيد شيء على البرامكة, واتهمهم بالميل إلى العلويين[2]. ويرد عند الجهشياري أن الرشيد لام يحيى البرمكي على تقديم المساعدة ليحيى بن عبدالله عندما خرج بالديلم سنة 176هـ/792م, والى أحمد بن عيسى بن زيد الذي خرج بالبصرة[3] . وبدأ الرشيد تدريجياً بالحد من سلطات البرامكة, ولعل بعض ذلك بتحريض التيار العربي, إذ بدأ يدرك مرامي البرامكة في إبعاد العناصر العربية, وما لبث أن عهد إلى الفضل بن الربيع بالحجابة سنة 179هـ/795م, بعدما كانت إلى محمد بن خالد بن برمك[4], وفي عام 180هـ/796م عزل الرشيد جعفر بن يحيى عن الحرس, ونقله إلى هرثمة بن اعين[5], وأبطل الرشيد قراره بتعيين جعفر بن يحيى على خراسان سنة 180هـ/796م [6].

بتولي الفضل بن الربيع الحجابة أصبح بحكم موقعه أقرب إلى الرشيد, وبدأ ينافس البرامكة[7], وسار الفضل على نهج والده الربيع بن يونس من حيث الاستفادة من الفرص السانحة في الدس على الخصوم, إذ لعب الربيع أثناء حجابته للمهدي دوراً مهماً في تعيين الوزراء وعزلهم, فقد دسّ على الوزير أبي عبيدالله معاويه بن يسار بسبب سوء علاقته معه, واتهم ابنه بالزندقه, فعزله المهدي عن الوزارة [8], إذ كان الربيع يؤثر يعقوب بن داوود لهذا المنصب [9]. والواقع فإن الفضل تمكن من كسب ود الرشيد, وحاز على ثقته, بما أظهره من المقدرة والكفاية, مما مكنه التقرب من الرشيد من جهة, والسعي بالبرامكة من جهة أخرى [10]. ومن مظاهر هذا الرضى ما يذكره الدينوري (282هـ/895م) بأن الرشيد عندما كان يريد استشارته بأمر, يناديه بالعباسي, دلالة على قربه ومكانته

---

(1). الطبري, تاريخ, ج8, ص289. ابن الأثير, الكامل, ج6, ص176.
(2). الجهشياري, الوزراء, ص243.
(3). ن. م. ص243.
(4). ن. م. ص233. الطبري, تاريخ, ج8, ص289.
(5). الطبري, تاريخ, ج8, ص266.
(6). الأصبهاني, الأغاني, ج18, ص225,224.
(7). بارتولد, دائرة المعارف الإسلامية, مادة (البرامكة), مج 3, ص498.
(8). الجهشياري, الوزراء, ص156. الطبري, تاريخ, ج8, ص44. التنوخي, نشوار المحاضره, ج8, ص136.
(9). الجهشياري, الوزراء, ص152,151.
(10). ن. م. ص243.

لديه[1]. ويذكر الجهشياري (331هـ/942م) أن الرشيد كان ينتقد يحيى بن خالد أمامه, لأنه أصبح ثقته وصاحب سره [2], ففي رواية أن الرشيد عندما رأى كثرة المتظلمين على باب يحيى أخذ يذمه ويسبه بحضرة الفضل, وكان يقول " استبد بالأمور دوني, وأمضاها على غير رأيي, وعمل بما أحَبه دون محبتي, وتكلمت أم جعفر - زبيدة - بنحو من كلامه, وثلبه أكثر ما يثلب به أحداً"[3]. وتبدو ثقة الرشيد بالفضل أنه قال لجبريل بن بختيشوع الذي سمعه وهو يذم يحيى البرمكي: يا جبريل إنه لم يسمع غيرك وغير الفضل, وليس الفضل ممن يحكي شيئاً منه..."[4]. حتى أن الجهشياري يجعل من أسباب سقوط البرامكة عداءهم للفضل بن الربيع, يقول:" فمن أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع"[5]. كما أن إشارة اسحاق الموصلي, حين سأله الرشيد عما يتحدث به الناس, ذات دلالة, قال: يتحدثون بأنك ستقبض على البرامكة, وتولي الفضل بن الربيع"[6], وذهب ابن العمراني (تـ580هـ/1184م) أبعد من ذلك بالقول " أراهم يتحدثون بإرجاف الفضل بن الربيع وأنه يلي مكانتهم"[7]. ويقول صاحب الفخري أن " أعداء البرامكة مثل الفضل بن الربيع ما زالوا يسعون بهم إلى الرشيد, ويذكرون له استبدادهم بالملك, واحتجانهم للأموال حتى أوغروا صدره فأوقع بهم"[8]. كل هذا يعكس صدى عمل الفضل بن الربيع ضد البرامكة, ويدل على دور الوشايه في سقوط البرامكة.

بقي الفضل بن الربيع حاجباً للرشيد حتى سقوط البرامكة سنة 187هـ/802م " فلما نكب البرامكة استوزره بعدهم... وما زال الفضل بن الربيع على وزارته حتى مات الرشيد بطوس"[9]. وبقي الفضل بن الربيع يكن العداء للبرامكة حتى بعد مقتل جعفر بن يحيى سنة 187هـ/802م, فيرد عند الطبري أنه كان ينقل أخبار من يذكر جعفر إلى الرشيد , ومنهم إبراهيم بن عثمان بن نهيك, الذي كان

---

(1). الدينوري, الأخبار الطوال, ص389.
(2). الجهشياري, الوزراء, ص226.
(3). ن. م. ص226.
(4). ن. م. ص226.
(5). ن. م. ص253.
(6). الأصبهاني, الأغاني , ج5, ص114.
(7). ابن العمراني, الإنباء, ص80.
(8). ابن طباطبا, الفخري, ص209.
(9). ن. م. ص211.

يذكرهم ويبكي عليهم, فأحضره الفضل إلى الرشيد, وأشعَره بندمه على قتل جعفر, فزاد تحسر إبراهيم عليه, فثبت للرشيد ما قاله الفضل , فضربه ابنه عثمان بسيفه إلى أن مات [1].

ويبدو أن ما اُشيع عن ميول البرامكة الفارسية أفسح المجال للوقوف ضدهم, فقد اتهمهم البعض بالزندقة[2], إذ كان يُنظر للزندقة على أنها خروج عن الدين, والزنديق هو الملحد الذي يكون تفسيره لنصوص الشرع خطراً على سلامة الدولة[3]. واختلفت الروايات حول طبيعة مذهبهم. فقد رماهم أبو يوسف (تـ183هـ/799م) بالإلحاد[4], بينما يذكر ابن النديم (تـ377هـ/987م), أن كلمة زنديق لا تطلق على كل كافر أو ملحد[5]. والذي كان يُرمى بالزندقة في الدولة يوصف بالإلحاد الذي يعرّض الدولة الإسلامية للخطر[6].

أولى العباسيون اهتماماً كبيراً لتتبع الزنادقة, إذ جدَّ المهدي في طلبهم, وكذلك ابنه الهادي[7], ويشير اليافعي (تـ 768هـ/1463م) إلى سجن في بغداد كان يُعرف بحبس الزنادقة[8]. وتتبع الرشيد الزناقة, وكان بعضهم مختفياً؛ ومنهم يونس بن فروة, ويزيد بن الفيض[9]. ويذكر السيوطي (تـ911 هـ/1505م) أن الرشيد أمر بضرب عنق أحد الزنادقة, فقال له الزنديق: لِم تضرب عنقي؟ قال له: أريح العباد منك, قال فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم, كلها ما فيها حرف نطق به؟ قال: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وعبدالله بن المبارك ينخلانها

---

(1). الطبري, تاريخ, جـ8, ص 312,311.
(2). ابن قتيبه, المعارف, ص382. البغدادي, الفرق بين الفِرق, ص250,
(3). دائرة المعارف الإسلامية, مادة (زنديق) , مج10, ص447,440.
(4). أبو يوسف, الخراج, ص179.
(5). ابن النديم, الفهرست, ص472.
(6). دائرة المعارف الإسلامية, مادة (زنديق) , مج10, ص442.
(7). الطبري, تاريخ, جـ8, ص165, ص190.
(8). اليافعي, مرآة الجنان, جـ1, ص420.
(9). الطبري, تاريخ, جـ8, ص234.

فيخرجانها حرفاً حرفاً؟[1]. وهذا يدلل على موقف الزنادقة من الدين من جهة، وتتبع الرشيد للزنادقة ومعاقبتهم من جهة أخرى.

وتعددت المصادر التي اتهمت البرامكة بالزندقة, فقد رماهم ابن قتيبه (تـ 276هـ/889م) بالزندقة[2], ويذكر ابن النديم (تـ377هـ/987م) أنه كان يقال أن البرامكة بأسرها كانت زنادقة إلا محمد بن خالد[3]. وجاء عند المقدسي (تـ507هـ/1113م) " فقال قوم انهم أرادوا إظهار الزندقة وافساد الملك"[4]. ويقول ابن الجوزي (تـ597هـ/1200م) " وقيل: بل أرادة البرامكة إظهار الزندقة وافساد الملك, فقتلهم - الرشيد- لذلك "[5]. وينفي الدميري (تـ808هـ/1405م) ذلك ويعلق " وهو قول بعيد لا أعتقد بصحته"[6]. وينفي البعض اتهام البرامكة بالزندقة، على اعتبار أنهم كانوا يقومون بالشعائر الإسلامية [7].

ويتهم البغدادي (تـ 429هـ/1037م), البرامكة بالزندقة والميل لمذاهب المجوس, لأنهم هم الذين أشاروا على الرشيد بإشعال المجامر في الكعبة, ويقول " وكانت البرامكة قد زيّنوا للرشيد أن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود أبداً, فعلم الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة, وأن تكون الكعبة بيت النار, فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة"[8]. ويقول النرشخي (تـ 348هـ/959م) أن " أول من أمر بقناديل في شهر رمضان هو الفضل بن يحيى"[9]. لكن هذا لم يكن سبباً ذا أهمية في سقوطهم كما جاء عند الجهشياري (تـ331هـ/942م)؛ فبعد أن أوقع بهم الرشيد, سأل عبدالله بن يحيى بن خاقان مسروراً الخادم عن سبب إيقاع الرشيد بهم, فقال: كأنك تريد

---

(1). السيوطي, تاريخ الخلفاء, ص235,234.
(2). ابن قتيبة, المعارف, ص382.
(3). ابن النديم, الفهرست, ص473.
(4). المقدسي, البدء والتاريخ, ص104.
(5). ابن الجوزي, المنتظم, ج9, ص133. ابن كثير, البداية والنهاية, ج10, ص189.
(6). الدميري, حياة الحيوان, ج2, ص 129.
(7). EL - Hibri, , Reinterpreting Islamic Historiography, p.45.
(8). البغدادي, الفرق بين الفرق, ص250.
(9). النرشخي, تاريخ بخارى, ص75.

بما تقوله العامة...من أمر المجامر التي اتخذها – جعفر- للبخور في الكعبة, فقلت له ما أردت غيره, فقال لا والله ما لشيء من هذا أصل [1]. مما يدعو إلى الشك أصلاً بالروايات التي اتهمت البرامكة بالزندقة, إذ لم تظهر مثل هذه الروايات قبل سقوطهم. وفي رواية أن معاوية بن أبي سفيان كان أول من طيب الكعبة بالخلوق والمجمر وأجرى الزيت لقناديل المسجد, وأن عبدالله بن الزبير كان يجمّر الكعبة كل يوم برطل من مجمر[2]. إذ لم يكن من وسيلة للانارة غير هذه الطريقة.

وينسب إلى يحيى البرمكي أن الرشيد استشاره في هدم ايوان كسرى, فلما أشار بعدم هدمه, قال الرشيد, هذا من ميلك إلى المجوس [3], وفي رواية ثانية أن خالد بن برمك هو من أشار على المنصور بذلك [4]. وهذه الرواية أدق لأن بناء مدينة بغداد كان زمن المنصور[5]. واشتط البعض بالقول بأن الناس عندما كان يحيى لا يجيبهم في طلب حوائجهم يسألونه بحق ماني[6].

وترد رواية ظريفه تظهر ميل البرامكة للعجم, في أن الأصمعي اجتمع مع حشد من الناس أمام باب الرشيد, فخرج الخادم وقال: أما بالحضرة أحد يحسن الشعر؟ فدخل الأصمعي, وحضي بالمثول أمام الرشيد لأول مرة, وكان إلى جانب الرشيد جعفر بن يحيى, فأخذ الأصمعي يروي رواية, ولما صار إلى وصف الجمل قال له جعفر: ناشدتك بالله أن تقطع علينا ما أمتعنا به من السهر في ليلتنا هذه بصفة جمل أجرب! فقال له الرشيد: أسكت فالإبل هي التي أخرجتك من دارك واستلبت تاج ملكك, ثم ماتت وعُملت جلودها سياطاً ضُربْتَ بها أنت وقومك [7] .

---

(1). الجهشياري, الوزراء, ص254.
(2). الأزرقي, أخبار مكة , ج1, ص169, 171.
(3). الجهشياري, الوزراء, ص229, المسعودي, مروج, ج1, ص301, 302.
(4). ابن الفقيه, بغداد, ص37.
(5). ن. م. ص 31. وانظر الفصل الأول، ص53،54.
(6). ابن حمدون, التذكره الحمدونية, ج2, ص133.
(7). ابن عبد ربه, العقد الفريد, ج5, ص312. الشريف المرتضى, أمالي المرتضى, ج2, ص9-11. عبد القادر البغدادي, خزانة الأدب, ج4, ص447- 455.

وكان للشعر دوره في الترويج لاتهام البرامكة بالزندقة, جاء عند ابن قتيبة قول الأصمعي:[1]

إذا ذُكر الشرك في مجلس أنارت وجوه بنـــي برمـــك

وإن تُليت عندهم آيه أتوا بالأحاديث عن مزدك

ومن جهة أخرى تنفي بعض المصادر اتهام البرامكة بالزندقة والمجوسية, فالبيروني (تـ440هـ/1048م) يقول " لقد اتهمهم أعدائهم أنهم يتعصبون للمجوسية"[2], ولم يُرْوَ عن البرامكة أنهم اعتنقوا شيئاً من أقوال الزنادقة, كالقول بعبادة الهين, أو التناسخ, أو الأباحيه, أو غير ذلك من العقائد التي كان يُرمى بها الزنادقة[3], ولم ترد إشارات إلى أن الرشيد طعن في دينهم ومذهبهم قبل سقوطهم. ويرى الدوري أن الإتهام بالزندقة كان يُستخدم أحيانا كوسيلة للقضاء على الخصوم[4], وكان حجّه سياسية طالما أشهرت في وجه كل من يُتهم في أمره. ويرى كاهين بأن التهمه الدينية لم تكن الدافع الوحيد إلى اضطهاد الزنادقة, فمن المحتمل أن توجه تهمة الزندقة إلى أناس كان لابد من القضاء عليهم دون الجهر بالسبب [5]. ومن ذلك أن حاشية الهادي اتجهوا إلى رمي يحيى البرمكي بالكفر, فعندما شعروا بدوره في تثبيت الرشيد وثنيه عن التنازل عن ولاية العهد قالوا للهادي " فابعث إلى يحيى وتهدده بالكفر, فأغضب ذلك موسى الهادي على يحيى بن خالد"[6].

وطالت هذه التهمة عبدالله بن المقفّع وقد ترجم عدة كتب من كتب الفرس, منها كليله ودمنة[7] . ورمي بالزندقة الشاعر صالح بن عبد القدوس زمن المهدي [1]. وربما كان اتهام عبدالله ابن أبي عبيدالله معاوية ابن يسار بالزندقة أحد أسباب نكبة والده عند المهدي [2].

---

(1). ابن قتيبه, المعارف, ص382. الجاحظ, البيان والتبيين, ج3, ص350.
(2). البيروني, الآثار الباقيه, ص32.
(3). الطبري, تاريخ, ج8, ص220. ابن الآثير, اللباب, ج1, ص436.
(4). الدوري، العصر العباسي الأول, ص91,90.
(5). كاهين, تاريخ العرب والشعوب الإسلامية, ص74.
(6). الطبري, تاريخ, ج8, ص208.
(7). ابن النديم, الفهرست, ص172. =

وبذلك لا يمكن التسليم بزندقة البرامكة, إذ نرى مثلاً الفضل بن يحيى يبني مسجداً على أنقاض النوبهار[3], ويبدو أن اتهامهم أحياناً جاء اعتباطاً مثل اتهام يحيى البرمكي حين أراد أن يغير موعد الجباية ليتفق مع موعد نضج الغلات, إذ يذكر البيروني (تـ440هـ/1048م) أن الدهاقنة من الفرس اجتمعوا إلى يحيى بن خالد وسألوه أن يؤخر النوروز (أول السنة الفارسية يستقبل فيه افتتاح الخراج), كما كان الحال زمن الساسانيين " فعزم ـ يحيى- على ذلك, فتكلم أعداؤه فيه, وقالوا أنه يتعصب للمجوسية, فأضرب عن ذلك, وبقي الحال على أمره " [4]. ويبدو أن تفكير يحيى كان صائباً ولكن خوف الاتهام بالميل للفرس منعه من التغيير.

وفي الوقت نفسه لا يمكن نفي ميول البرامكة الفارسية, يقول ابن النديم (تـ377هـ/987م) " أن البرامكة كانت تكره محمد بن الليث لأن فيه ميلاً على العجم"[5], إذ بعث محمد بن الليث هذا رسالة إلى الرشيد يعظه فيها, ويذكِّره " أن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئاً, وقد جعلته فيما بينك وبين الله؛ فكيف أنت إذا وقفت بين يديه, فسألك عما عملت في عباده وبلاده..."[6]. وكان يحيى البرمكي من الحنكة ما مكّنه مواجهة الموقف, بتوجيه الاتهام إلى محمد بن الليث, فعندما سأل الرشيد يحيى عن محمد بن الليث قال بأنه " متَّهم على الإسلام " , فأمر الرشيد بسجنه[7] .

لم يكن يحيى البرمكي وعائلته من أصل فارسي فحسب, ولكن معظم المقربين لهم كانوا من الفرس, وأبرزهم إسحاق الموصلي الموهوب في بلاط بغداد. ذلك أن أصله من فارس [8], نُسب للموصل لإقامته وأبيه إبراهيم فيها بعد قدومه من فارس [9]. خرج إبراهيم هارباً من جور عمال بني

---

(1). الجهشياري, الوزراء, ص231.
(2). ن. م. ص152.
(3). ن. م. ص191.
(4). البيروني, الآثار الباقية, ص32. مرتضى راوندي, تاريخ إيران, ص89.
(5). ابن النديم, الفهرست, ص175.
(6). الطبري, تاريخ, ج8, ص288. ابن الجوزي, المنتظم, ج9, ص127. الذهبي, تاريخ الإسلام, ج12, ص24.
(7). الطبري , تاريخ, ج8, ص288.
(8). الأصبهاني, الأغاني, ج5, ص154.
(9). ن. م. ج5, ص157.

أمية في خراج كان عليه[1], واتصل بالبرامكة فكان يلازمهم ويمدحهم, وفي رواية أن الفضل بن يحيى رأى إبراهيم الموصلي خارجاً من عند الفضل بن الربيع, فقال له: من أين يا أبا إسحاق؟ أمن عند الفضل بن الربيع... إلى الفضل بن يحيى! هذان والله أمران لا يجتمعان لك. فاختار إبراهيم الموصلي ملازمة الفضل بن يحيى[2].

وقد وهب يحيى البرمكي إسحاق بن إبراهيم الموصلي مائة ألف درهم لشراء ضيعه, إذ وقّع له توقيعاً جاء فيه " يُطلق لأبي محمد إسحاق مائة ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها"[3], مما زاد في تقربه لهم, إذ كان يجلهم, ويقول في حقهم " وأما البرامكة وملازمتي لهم فأشهر من أن أجحده, واني لحقيق فيه بالمعذرة, وأحرى أن أشكرهم على صنيعهم , وبأن أذيعه وأنشره, وذلك والله أقل ما يستحقونه مني"[4].

واختص بالبرامكة حميد بن مهران الكاتب, وهو من أصفهان, كان يكتب لهم مدة حياتهم[5], وعلان الشعوبي, أصله من فارس, وكان عالماً بالأنساب والمثالب والمنافرات, ألّف كتاب الميدان في المثالب, الذي هتك فيه العرب وأظهر مثالبهم[6]. وفي رواية أن مسروراً الخادم كان أحد أنصارهم, إذ يذكر ابن العمراني (تـ580هـ/1184م) " أن جعفر البرمكي قال يوماً لمسرور يا حجّام يا مخنث, فقال مسرور: لو لم أكن كما قلت ما خنت مولاي - الرشيد- سنين تقرباً إليك"[7].

وظهرت ميول البرامكة الفارسية بأن قرّبوا عائلة سهل ابن هارون وهم مجوس[8], فاتصل الفضل بن سهل بالفضل بن جعفر بن يحيى وتولى قهْرمته, واتصل أخوه الحسن بن سهل بالعباس بن

---

(1). ابن النديم, الفهرست, ص201.
(2). الأصبهاني, الأغاني, جـ5, ص166.
(3). ن. م . جـ5, ص310.
(4). ن. م . جـ 5, ص308.
(5). ابن النديم, الفهرست, ص179.
(6). ن. م. ص174.
(7). ابن العمراني, الإنباء, ص80.
(8). الجهشياري, الوزراء, ص230. الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ 12, ص336. البيهقي, المحاسن والمساوىء, ص437. الحصري, زهر الآداب, جـ1, ص320. الدواداري, كنز الدرر, جـ9, ص341.

الفضل بن يحيى وتولى خدمته[1]. فالفضل بن سهل هو ابن سهل بن هارون الشعوبي المذهب[2], وكان شديد العصبية على العرب [3]. كان الفضل من أنصار البرامكة, واتهمه ابن النديم بمثل ما اتهمهم بالميل إلى الزندقة[4], إذ قربه يحيى البرمكي إلى المأمون وهو مجوسي[5], بعدما نقل له كتاباً من الفارسية إلي العربية, فعرف يحيى فهمه وجودة رأيه وعباراته[6], وضمه إلى المأمون وأسلم الفضل على يده سنة 189هـ[7]. ثم اختص الفضل بالمأمون بعد سقوط البرامكة[8].

لم يكن دور الفضل بن سهل ظاهراً زمن البرامكة, لكن بدا أكثر وضوحاً بعدهم, إذ كان الفضل يشعر بقوة الكتلة العربية حسب قول الجهشياري " انه كان في نية الرشيد إبقاء المأمون ببغداد عندما أراد السير ضد رافع بن الليث ـ سنة 192هـ/807م- ولكن الفضل حذّر المأمون بقوله "لا تقبل وسله أن بشخصك معه فانه عليل, وغير مأمون إن يحدث عليه حادث أن يثب عليك أخوك فيخلعك, وأمه زبيدة, وأخواله بني هاشم "[9]. وترد إشارات إلى أن الفرس كانوا يؤيدون المأمون, ويشكلون كتلة معادية لجماعة الأمين؛ فالفضل بن سهل يشجع المأمون في خراسان على الثبات, ويبين له قوّة مركزه, قائلاً (فكيف بك وأنت نازل في أخوالك وبيعتك في أعناقهم... اصبر قليلاً وأنا أضمن لك الخلافة) [10]. وقيل عن الفضل بن سهل أنه أراد أن يجعل " المُلك كسروياً "[11], زمن وجود المأمون في خراسان, إذ كان اتجاه سياسته فارسياً, ومن مظاهر تقليده للساسانيين ما يرويه الجهشياري, إذ يقول " وكان ذو الرياستين يجلس على كرسي مجنّح, ويُحمل فيه إذا أراد الدخول على

---

[1]. الجهشياري, الوزراء, ص230.
[2]. الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ12, ص339.
[3]. ابن النديم, الفهرست, ص174.
[4]. ن. م. ص473.
[5]. الجهشياري, الوزراء, ص230. الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ 14, ص336. البيهقي, المحاسن والمساوىء, ص437. الحصري, زهر الآداب, جـ1, ص320. الدواداري, كنز الدرر, جـ9, ص341.
[6]. الجهشياري, الوزراء, ص230.
[7]. الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, ج12, ص339.
[8]. الجهشياري, الوزراء, ص231,230. الطبري, تاريخ, ج8, ص320. الأزدي, تاريخ الموصل, ص308. ابن الأثير, الكامل, ج6, ص197.
[9]. الجهشياري, الوزراء, ص266. الطبري, تاريخ, ج8 , ص338.
[10]. الجهشياري, الوزراء, ص278. الطبري, تاريخ, ج8, ص376.
[11]. الجهشياري, الوزراء ص313.

المأمون... وانما ذهب ذو الرياستين في ذلك مذهب الأكاسرة, فان وزيراً من وزرائها كان يحمل في مثل هذا الكرسي, ويقعد بين أيديها عليه"[1].

ومن جهة أخرى توحي الروايات بأن الفضل بن الربيع كان من وراء الأمين يحثه على خلع المأمون, والعهد لابنه موسى, وكان يعلم أن الخلافة إن أفضت إلى المأمون يوماً وهو حي لم يُبق عليه, يقول الجهشياري " ولما استوثق الأمر لمحمد, زيّن له الفضل بن الربيع خلع المأمون وكان يخافه إن أفضى الأمر إليه, وعاون الفضل على ذلك علي بن عيسى بن ماهان, فكتب إلى جميع العمال بالدعاء لموسى بن محمد بعد الخليفة, وخلع المأمون"[2].

وكانت سياسة البرامكة إبعاد العرب عن المناصب والوشاية بهم عند الرشيد، إذ كانوا يشعرون بخطر وجودهم في العاصمة, فعمدوا إلي الوشاية بهم واتهامهم بعدم الإخلاص للخليفة, ليوغروا صدره عليهم[3]. ويتضح ذلك في وشايتهم بالقائد محمد بن فروخ الأزدي أكثر الشخصيات التي وقفت إلى جانب الهادي، وطالبت بخلع الرشيد عن ولاية العهد[4]. وكان من أكثر القوّاد وقوفاً في وجه يحيى البرمكي, وممن أشار على الهادي بقتله[5]. وعندما ثار الصحصح الخارجي في إقليم الموصل سنة 171هـ/787م [6], طلب الرشيد, بعد أن استشار يحيى البرمكي, من محمد الأزدي الزحف لتأديب الخوارج, فزحف وقاتلهم, لكنه لم يصمد, وهرب من الميدان, فسخط عليه الرشيد وعزله عن الجزيرة في العام ذاته [7], ثم استدعاه الرشيد إلى بغداد, وقطع رأسه في قصر الخلد[8], وبذلك تخلص البرامكة منه.

---

[1]. الجهشياري، الوزراء، ص316.
[2]. ن. م. ص290. الطبري, تاريخ, ج8, ص375,374.
[3]. ابن الأثير, الكامل, ج6, ص142.
[4]. اليعقوبي, تاريخ, ج2, ص406.
[5]. الجهشياري, الوزراء, ص174.
[6]. الأزدي, تاريخ الموصل, ص267.
[7]. ن. م. ص267.
[8]. الطبري, تاريخ, ج8, ص235.

وسعى يحيى البرمكي في جعفر بن محمد بن الأشعث, وكان يشرف على تثقيف محمد بن الرشيد[1], فحسده يحيى على ذلك وقال (إن أفضت الخلافة إليه ـ محمد الأمين- زالت دولتي ودولة ولدي, فاحتال يحيى على محمد بن الأشعث, بان كان يرفع إلى الرشيد ما يقوله الأشعث في الإمامة ويزيد عليه[2], إلى أن نقل الرشيد ابنه محمد إلى حجر جعفر البرمكي[3].

وكان من أشد خصوم البرامكة يزيد بن مزيد الشيباني, وهو من الأمراء المشهورين[4], وكان معروفاً بالبداوه, مما يدلل على نفوره من الطابع الفارسي, حتى أنه كان يلقب بالإعرابي[5]. وكان يزيد من مؤيدي الهادي, وممن أشار بقتل يحيى البرمكي ليلة كان في السجن[6], إذ اجتمع مع الذين بايعوا لجعفر بن الهادي, وقالوا: إن صار الأمر إلى يحيى قتَلنا ولم يستبقنا, فتآمروا على أن يذهب بعضهم إلى يحيى بأمر الهادي, فيضرب عنقه, لكنهم لم ينفّذوا ما أتفقوا عليه, وقالوا: لعل أمير المؤمنين يُفيق من مرضه, فما عذرنا عنده! فأمسكوا عن ذلك[7].

عندما تولى الرشيد الخلافة حاول يحيى البرمكي إبعاد يزيد عن العاصمة, فأشار على الرشيد بتوليته على بلاد إرمينية, فبقي فيها حتى عزله الرشيد عنها سنة 172هـ/788م[8]. ثم ولاه أرمينية سنة 178هـ/794م, وضم إليه أذربيجان[9] , وبدا الكره واضحاً ليزيد من يحيى عندما ظهر الوليد بن طريف بالجزيرة سنة 178هـ/794م[10]. ويصفه الأصبهاني بأنه كان " رأس الخوارج وأشدهم بأساً وصوْلة وأشجعهم"[11]. وكان ذا مكر ودهاء [1], فامتد سلطانه سنة 179هـ/795م على إرمينية

[1]. الجهشياري, الوزراء, ص193.
[2]. الأصبهاني, مقاتل, ص501.
[3]. الجهشياري, الوزراء, ص193.
[4]. ابن خلكان, وفيات الأعيان, ج6, ص327. اليافعي, مرآة الجنان, ج1, ص410.
[5]. الأصبهاني, الأغاني, ج11, ص96.
[6]. الطبري, تاريخ, ج8, ص207. الجهشياري, الوزراء, ص174.
[7]. الطبري, تاريخ, ج8, ص212.
[8]. ن. م. ج8, ص236. الأزدي, تاريخ الموصل, ص269. ابن خلكان, وفيات الأعيان, ج6, ص327.
[9]. الطبري, تاريخ, ج8, ص270. ابن خلكان, وفيات الأعيان, ج6, ص327.
[10]. خليفة بن خياط, تاريخ, ص451, الطبري, تاريخ, ج8, ص256. الأزدي, تاريخ الموصل, ص280. اليافعي, مرآة الجنان, ج1, ص384. ابن الأثير, الكامل, ج6, ص141.
[11]. الأصبهاني, الأغاني, ج11, ص94. اليافعي, مرآة الجنان, ج1, ص387. =

وأذربيجان[2], فوجه إليه الرشيد القائد موسى بن خازم التميمي[3], لكنه لم يفلح في القضاء على الوليد بن طريف[4].

ثم أختار الرشيد يزيد بن مزيد للقضاء على ثورة الوليد بن طريف. وكان يحيى يرى كما جاء عند ابن الأثير " أن بين يزيد بن مزيد والوليد بن طريف قرابة, فكلاهما من وائل, ووائل من ربيعة... ويخشى أن يحدث تضامن واتفاق بين الطرفيين"[5]. لكن الرشيد لم يقبل مشورته, فسار يزيد لقتال الخوارج, وكان يرى استعمال التأني معهم للقرابة بينه وبين الوليد, فكان " يخاتله ويماكره "[6], فاستغل البرامكة هذه السياسة, يقول الأصبهاني " وكانت البرامكة منحرفة عنه ـ يزيد ـ فقالوا للرشيد, إنما يتحاشى قتل الوليد لوجود الرحم بينهما, وهوَّنوا أمر الوليد, فغضب الرشيد"[7], وبلغته مماطلة يزيد, فبعث إليه من يعنّفه, مما أثَّر في نفس يزيد, فسار في طلب الوليد سنة 179هـ, فقتله واحتز رأسه, وأرسله إلي الرشيد[8], وراحت أخت الوليد ليلى بنت طريف[9], وقيل الفارعة[10] تقول:

يا بنـــي وائـــل لقـــد فُجعتكم   مـــن يــزيدٍ سيوفُه بالوليد

لو سيوفٌ سوى سيوف يزيد   قاتلته لاقت خلافَ السـعود

وائــلٌ بعضـها يُقتّل بعضــاً   لا يفلُّ الحديد غيرُ الحديـــد

ورغم ما حققه يزيد من انتصار على الوليد, بقي الرشيد منزعجاً منه, يُومي الأصبهاني إلى السبب بقوله " فلما انصرف يزيد بالظفر حُجب برأي البرامكة وأظهر الرشيد السخط عليه", ثم

= (1). ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ6, ص328.
(2). خليفة بن خياط, تاريخ, ص452.
(3). اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص410.
(4). ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ6, ص327.
(5). ابن الأثير, الكامل, جـ6, ص142.
(6). الأصبهاني , الأغاني, جـ11, ص95, ابن الأثير , الكامل, جـ6, ص142. اليافعي, مرآة الجنان, جـ1, ص387.
(7). الأصبهاني, الأغاني, جـ11, ص95,. ابن الأثير, الكامل, جـ6, ص142. اليافعي, مرآة الجنان, جـ1, ص387.
(8). اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص410. ابن الأثير, الكامل, جـ6, ص141. اليافعي, مرآة الجنان, جـ1, ص385.
(9). ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ6, ص328.
(10). الطبري, تاريخ, جـ8, ص261. الأزدي, تاريخ الموصل, ص282. اليافعي, مرآة الجنان, جـ1, ص384.

رضى عنه فيما بعد[1], فأوكل له مهمة القضاء على الخزر عندما هاجموا إرمينية سنة 183هـ/799م, ثم ولاه الموصل سنة 184هـ/800م [2], إلى أن توفي سنة 185هـ/801م [3].

إن استئثار البرامكة بالسلطة وتوجيه الوظائف إلى مقربيهم وأتباعهم[4], جعل بعض الشخصيات غير العربية, كعلي بن عيسى بن ماهان, الذي لم يكن من حزبهم, تتعاون مع الكتلة العربية لإسقاطهم, فهو فارسي الأصل, جعله الهادي على ديوان الجند[5], وكان على عداء مع البرامكة, ويرى الدوري أن انضمام علي بن عيسى إلى الكتلة العربية كان لأسباب نفعية[6].

عندما بويع الرشيد بالخلافة جاء علي بن عيسى بن ماهان طائعاً, لكنه بقي بعيداً عن الإدارة إلى سنة 183هـ/799م, حين ولاه الرشيد خراسان[7], على غير إرادة يحيى البرمكي[8], وكان رأي يحيى أن ابن ماهان لا يصلح لولاية خراسان, فخالفه الرشيد وولاّه إياها[9]. وفي رواية أن الرشيد أخذ برأي الفضل بن الربيع الذي أشار عليه بتولية علي بن عيسىبن ماهان[10] .

كان علي بن عيسى بن ماهان من أقسى الولاة " ظلم الناس وعسر عليهم"[11], واعتدى على أموالهم بالمصادرة والظلم, يقول الجهشياري " وجمع أموالاً جليلة, فحمل إلى الرشيد بدرة معمولة من ألوان الحرير وفيها عشرة الآف درهم"[12]. ويشير الطبري إلى ما قام به علي بن عيسى بن ماهان من أعمال للنيل من مكانة وجهاء خراسان وأشرافها فقد " أذلّ الأعالي من أهل خراسان

---

1). الأصبهاني, الأغاني, ج11, ص96.
2). الأزدي, تاريخ الموصل, ص295, ص297.
3). الطبري, تاريخ, ج8, ص273. الأزدي, تاريخ الموصل, ص300.
4). ابن خلدون, المقدمة, ص16.
5). الجهشياري, الوزراء, ص165. الطبري, تاريخ, ج8, ص189.
6). الدوري, العصر العباسي الأول, ص142.
7). الطبري, تاريخ, ج8, ص314.
8). مسكويه, تجارب الأمم, ج3, ص553.
9). الطبري, تاريخ, ج8, ص314. مسكويه, تجارب الأمم, ج3, ص553. ابن الجوزي, المنتظم, ج9, ص161.
10). الشبيبي, مؤرخ العراق ابن الفوطي, ص50.
11). الطبري, تاريخ, ج8, ص314. مسكويه, تجارب الأمم, ج3, ص557. ابن الجوزي, المنتظم, ج9, ص161.
1). الجهشياري, الوزراء, ص228. ابن الجوزي, المنتظم, ج9, ص161. ابن حمدون, التذكرة الحمدونية, ج9, ص312,311.

وأشرافهم", وقتل العديد منهم[1]. ويعقد الجهشياري مقارنة بين سياسة الفضل بن يحيى سنة 178هـ/794م التي كانت تقوم على رعاية الزعماء المحليين, وسياسة علي بن عيسى بن ماهان, الذي قضى على نفوذ هذه الفئة, وعمل على حرمانها مما كان لها من امتيازات وجباية[2].

وموّه الرشيد ليحيى في محاورة جرت بينهما على حسن اختياره وقال " يا أبا علي, هذا الذي أشرت علينا ألا نوليه هذا الثغر, فقد خالفناك فيه, فكان في خلافك البركة"[3]. ويبدو أن الرشيد أراد أن يشعره بعدم رضاه عن سياسة ابنه الفضل في خراسان, إذ زاد في رواتب الجند والقوّاد, وأكرم الناس وألغى ما تبقى عليهم من ضرائب[4], ويبدو أن هذه السياسة قللت وارد خراسان, ولم يكن ذلك يرضي الرشيد[5], مما يدل على رضاه ابتداءً عن سياسة علي بن عيسى بن ماهان, إذ كانت خراسان أهم ولايات الدولة وأغناها[6]. ولم يلتفت علي بن عيسى بن ماهان إلى العامة, كما فعل الفضل, فاحتجب عنهم, واهتم بالمصادرة وتحصيل الأموال[7]. ومن جهته استهجن يحيى البرمكي بحضور الرشيد سياسة علي بن عيسى بن ماهان هذه, إذ لم يطب له اغتباط الرشيد بها، أو بسياسة علي بن عيسى بن ماهان المالية, وكان رأيه كما يصوره الجهشياري، أن إصلاح المشرق يستدعي حمل المال إلي تلك الولايات لا منها, وأن " خراسان سبيلها أن تُحمل إليها الأموال, ولا تُحمل منها, والفضل أصلح نيات رؤسائها, واستجلب طاعتهم, وعلي بن عيسى بن ماهان قتل صناديد أهل خراسان وطراخِنـَتِها"[8], وكان رأي يحيى أن هذه الأموال والهدايا ما اجتمعت إلي علي بن عيسى بن ماهان، إلا بعد أن مد يده إلي أموال الرعية, ويصف الطبري ذلك حسب قول يحيى بأن علي بن عيسى بن ماهان " ظلم فيها ـ خراسان- الأشراف, وأخذ أكثرها ظلماً وتعدياً...". ويبدو أن رأي يحيى أثـّر في

---

(2). الطبري, تاريخ, ج8, ص325. الدينوري, الأخبار الطوال, ص391. الجهشياري, الوزراء, ص228.
(3). الجهشياري, الوزراء, ص228.
(4). الطبري, تاريخ, ج8, ص314. ابن الجوزي, المنتظم, ج9, ص161.
(5). الجهشياري, الوزراء, ص191.
(6). ن. م. ص228.
(7). الشبيبي, مؤرخ العراق ابن الفوطي, ص51.
(8). الجهشياري, الوزراء, ص228.
(1). الجهشياري, الوزراء, ص228.

نفس الرشيد إذ يضيف الطبري قوله " ... فوقر في نفس الرشيد وحفظها, وأمسك عن ذكر علي بن عيسى عنده "[1].

وفي الوقت ذاته عمل علي بن عيسى بن ماهان على الدس والوشاية بالبرامكة, فقد وشى بموسى بن يحيى, واتهمه بمكاتبة أهل خراسان, وأعلم الرشيد " طاعة أهلها له, ومحبتهم إياه, وأنه يكاتبهم, ويعمل على الانسلال إليهم والوثوب به معهم"[2]. فوقر ذلك في نفس الرشيد, خاصة أن موسى في تلك الأيام, اختفى قليلاً لديْن لحقه, إلى أن تبين للرشيد أنها وشاية علي بن عيسى بن ماهان فيه, فرضي عنه[3]. ومع ذلك كان لذلك أثر في نفس الرشيد وفي فساد حال البرامكة.

اتبع علي بن عيسى بن ماهان في خراسان سياسة مالية وادارية سيئة, واستمر على ظلمه, فكان لسياسته هذه أثر سيء, لذلك نعته البعض بقبح السيرة, وأخذ الأموال بغير وجه شرعي, يقول الطبري " فلما عاث علي بن عيسى بن ماهان بخراسان, ووتر أشرافها, وأخذ أموالهم, واستخف برجالهم, كتب رجال من كبرائها, ووجوهها إلى الرشيد... تشكو سيرته... وتسأل أمير المؤمنين أن يبدلها به"[4]. ويبدو أن الرشيد مال إلى عزله عن خراسان, مبدياً الامتعاض من سوء سيرته، بعد أن استفحل أمره فاستشار بذلك يحيى بن خالد, فأشار عليه بيزيد بن مزيد, لكن الرشيد لم يقبل مشورته[5]. وكان علي بن عيسى بن ماهان يحاول وسعه تحسين صورته أمام الرشيد, إذ كان يفلح في كل مرة في تهدئة سخط الخليفة عليه بما كان يبذله من المال[6]. ويبدو أن بقاء علي بن عيسى بن ماهان على خراسان دليل على رضى الرشيد ابتداءً عن سياسته الإدارية, وأنه اعتبر ما نسب إلى علي بن عيسى من فعل الوشاية.

---

(2). الطبري, تاريخ, ج8, ص315,314.
(3). ن. م. ج8, ص293.
(4). ن. م. ج8, ص293.
(5). ن. م. ج8, ص315. ابن الجوزي, المنتظم, ج9, ص161.
(6). الطبري, تاريخ, ج8, ص315. مسكويه, تجارب الأمم, ج3, ص554.
(1). فامبري, تاريخ بخارى, ص91.

ولم تتكشف حقيقة علي بن عيسى بن ماهان للرشيد, حتى افتضح أمره سنة 190هـ/805م, بعد ثورة رافع بن الليث الذي ظهر بسمرقند في ما وراء النهر[1]. إذ يذكر اليعقوبي أنه قيل للرشيد أن ذلك من تدبير علي بن عيسى بن ماهان, فعزله الرشيد عن خراسان[2]. ويذكر الجهشياري أنه بعد عزله أدرك الرشيد صواب رأي يحيى بن خالد, وأنه سينفق مكان كل درهم بما أرسل عشرة, يقول الجهشياري " فلما أنتقض أمر خراسان, وخرج رافع بن الليث, واحتاج إلى النهوض إليها بنفسه حتى سار إلي طوس, جعل يتذكر هذا الحديث, ويقول: صدقني والله يحيى, ونصح لي فلم أقبل منه, والله لقد أنفقت مئة ألف ألف, وما بلغت شيأ"[3]. ويبدو أن الجهشياري, أظهر البرامكة أصحاب الرأي والمشورة في دولة الرشيد, إذ لم نجد ما يؤيد روايته في المصادر الأولية الأخرى.

إلى جانب هؤلاء كان عبد الملك بن صالح الهاشمي, وهو من أمراء بني العباس, ويصفه اليعقوبي بأنه " كان نبيلاً فصيحاً حسن البيان"[4] , ويصفه الجهشياري بأنه كان" فصيحاً بليغاً راجحاً ذا هيئة"[5]. ويصفه آخرون بأنه " كان بليغاً جهيراً فاضلاً عاقلاً "[6]. قيل ليحيى البرمكي وقد ولاّه الرشيد المدينة سنة 170هـ/786م " كيف ولاّه المدينة من بين أعماله؟ قال: أَحَبَّ أن يباهي به قريشاً, ويعلمهم أن في بني العباس بقية حسنة"[7], ثم ولاه الرشيد الشام سنة 177/793م-178هـ/794م.

ويبدو إن الوشاية لعبت دورا كبيرا ضد عبد الملك, إذ اتُـهم أنه يطمع بالخلافة[8], ويذكر اليعقوبي أن ابنه عبد الرحمن وكاتبه قمامة بن يزيد أخبرا الرشيد" أنه يؤهل نفسه للخلافة وأنه يراسل رؤساء القبائل والعشائر بالشام والجزيرة "[9], وعلى أثر ذلك حبسه الرشيد سنة 188هـ/

---

[2]. الطبري, تاريخ, ج8, ص319.
[3]. اليعقوبي, تاريخ, ج2, ص425.
[4]. الجهشياري, الوزراء, ص228.
[5]. اليعقوبي, تاريخ, ج2, ص424.
[6]. الجهشياري, الوزراء, ص263.
[7]. الحصري, زهر الآداب, ج3, ص217. الكتبي, فوات الوفيات, ج3, ص398.
[8]. الأزدي, تاريخ الموصل, ص264. الكتبي, فوات الوفيات, ج3,ص399.
[1]. الطبري, تاريخ, ج8, ص302.
[2]. اليعقوبي, تاريخ, ج2, ص424. الطبري, تاريخ, ج8, ص302. الجهشياري, الوزراء, ص263, ابن النديم, الفهرست, ص173.

803م[1]. وفي رواية عن الأصمعي أنه كان بحضرة الرشيد, فدعا بعبد الملك من حبسه[2], وقال له: أكفراً بالنعمة, وجحوداً لجليل المنة والتكرمة! فقال يا أمير المؤمنين, لقد بؤت بالندم, وتعرضت لاستحلال النقم, وما ذاك إلا بغي حاسد, نافسني فيك مودة القرابة, وتقديم الولاية[3]. ويبدو أن للبرامكة يداً في إيغار قلب الرشيد على عبد الملك, لتكون لهم المكانة الأولى عنده.

لم يكن عبد الملك يجهل مدى تأثير آل برمك على الرشيد ضده, فالمسعودي (تـ346هـ/974م) يذكر أن يحيى البرمكي حاول أن يضع من مقداره عند الرشيد، بعد أن قبض عليه بتهمة التطلع للخلافة, ووصفه بالحقد, إذ قال يحيى " يا عبد الملك, بلغني أنك حقود, فقال له: أصلح الله الوزير أن يكون الحقد هو بقاء الخير والشر عندي, فإنهما لباقيان في قلبي"[4]. ويبدو أن الرشيد كان يميل إلى عبد الملك لكن تأثير البرامكة كان يبعده. ويذكر البعض أن الرشيد نتيجة لذلك " عظُم حقده على البرامكة, فقبض عليهم"[5].

ويظهر أن موقف يحيى البرمكي من عبد الملك تغير, إذ يذكر الطبري أن الرشيد بعث إلى يحيى وهو في السجن سنة 187هـ/802م يخبره " أن عبد الملك بن صالح أراد الخروج ومنازعته في الملك, وقد علمت ذلك, فأعلمنِي ما عندك فيه, فإنك إن صدقتني أعدتك إلى حالك, فقال: والله يا أمير المؤمنين ما اطلعت من عبد الملك على شيء من هذا..."[6]. ويبدو واضحاً أن يحيى أراد ثني الرشيد عن الإلتفات إلى الإشاعات التي كانت تدور حول محاولة خروج عبد الملك على الخلافة, ولعل الحال

---

(3). المسعودي, مروج, ج3, ص343. الأزدي, تاريخ الموصل, ص306.
(4). الحصري, زهر الآداب, ج3, ص218.
(5). الطبري, تاريخ, ج8, ص303. الأزدي, تاريخ الموصل, ص264. ابن عبد ربه, العقد الفريد, ج2, ص154. الكتبي, فوات الوفيات,ج3, ص399. ابن الأثير, الكامل, ج6, ص180. ابن أبي الحديد, شرح نهج البلاغة, ج1, ص257.
(6). المسعودي, مروج, ج3, ص344. الحصري, زهر الآداب, ج3, ص215. ابن الأثير, الكامل, ج6, ص183.
(7). ابن خلدون, تاريخ, مج3, ق2, ص475.
(1). الطبري, تاريخ, ج8, ص306,305. ابن عساكر, تاريخ دمشق, ج10, ص460. ابن الأثير, الكامل, ج6, ص183.

التي وصل إليها يحيى، هي التي جعلته يغير موقفه, فلم يزل عبد الملك محبوساً إلى أن توفي الرشيد سنة 193هـ/808م, وأطلقه الأمين وولاه الشام إلى أن توفي سنة 196هـ/811م [1] .

يلاحظ مما مر أن البرامكة مثلوا مع الخيزران تيّاراً سياسياً, محاولين إقصاء العرب عن مراكز السلطة, وإبعادهم عن العاصمة[2]. وبموت الخيزران سنة 173هـ/789م, بدأ الرشيد أكثر استقلالاً في قراراته, وربما خفف من صلاحيات البرامكة, ويرى البعض أن البرامكة تنفسوا الصعداء لموتها, لأنها كانت تشاطرهم نفوذهم, وتحد من صلاحياتهم[3] , وقد أمر الرشيد فور الإنتهاء من دفنها, بنقل الخاتم من جعفر البرمكي إلى الفضل بن الربيع[4]. وأصبحت زبيدة- زوجة الرشيد- سيدة القصر الأولى, فاتخذت موقفاً معادياً من البرامكة خاصة في قضية ولاية العهد.

ولعل مواقف البرامكة, ولّدت تكتّلاً بين رجال العرب ضدهم, ويرى بارتولد أن البرامكة شكلوا شبه حزب فارسي في الدولة, وقابلهم العرب بالمثل, فتشكل حزب ضدهم, وترأسته زبيدة زمن الرشيد[5]. وقد لا يسمى هذا حزباً, ولكنها كانت كتله تضم بني هاشم, إضافة إلى بعض العناصر الفارسية, التي لم تكن إلى جانب البرامكة كعلي بن عيسى بن ماهان[6].

استمرت العلاقات بين التيارين العربي والفارسي عدائية, حتى أوقع الرشيد بالبرامكة, ولم يحاول أي منهما قبل ذلك مهادنة الآخر, ولم ترد إشارات إلى محاولات بُذلت لتحسين العلاقة بينهم, بل استمر كل منهما في الدس على الآخر، باذلاً في ذلك أقصى جهده. ويظهر أن أنصار البرامكة كانوا

---

[2]. الطبري, تاريخ, ج8, ص305, ابن عبد ربه, العقد الفريد, ج2, ص154. ابن الأثير, الكامل, ج6, ص183. الذهبي, تاريخ الإسلام, ج13, ص36. الكتبي, فوات الوفيات, ج3, ص400.

[3]. الطبري, تاريخ, ج8, ص236.

[4]. نابيا ابوت, ملكتان في بغداد, ص132.

[5]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص238.

[6]. بارتولد, دائرة المعارف الإسلامية, مادة(البرامكة), مج3, ص496, 497.

[7]. الطبري, تاريخ, ج8, ص189. الجهشياري, الوزراء, ص165.

من الكثرة لدرجة تبالغ بها الروايات, حتى قيل أن الرشيد قال, بعد أن أوقع بهم : أريد أن أستعمل قوماً لم يعملوا معهم, فقيل له لا تجد أحداً لم يكن يخدمهم[1].

ـ البرامكة والعلويون

كان العلويون لا يزالون يتطلعون إلى نيل الخلافة, وقد يثورون كلما واتتهم الفرصة, وكان بنو العباس من أجل ذلك لا يأمنون جانبهم.

حاول الرشيد تهدئة العلاقة مع العلويين, إذ رأى أن يرفق بهم, وأن يزيل أثر سياسة الهادي العنيفة تجاههم[2], فأتبع سياسة أكثر ليناً. ويبدو أن الرشيد أدرك خطرهم, فسلك معهم هذه السياسة؛ ففي سنة 171هـ/787م أمر الرشيد برفع الحجر عمن كان منهم ببغداد, وسيَّرهم إلى المدينة, ما عدا العباس بن الحسن بن عبدالله[3]. غير أن الرشيد بهذا الإجراء لم يأمن جانب العلويين الذين لم يكن جلهم في السجون, بل كان عدد منهم ممن اشترك في معركة فخ التي قادها الحسين بن علي بن الحسن سنة 169هـ/785م[4], توارى عن الأنظار, وفي مقدمتهم إدريس ويحيى أخوا محمد بن عبدالله (النفس الزكية) الذي ثار في عهد المنصور سنة 145هـ/762م[5], ولم ترد إشارات إلي أن الرشيد قرّبهم أو ولاّهم مهاماً إدارية.

إن سياسة الوئام التي اتبعها الرشيد مع العلويين لم تطل, إذ شهدت سنة 176هـ/792م خروج يحيى بن عبدالله الذي هرب بعد وقعة فخ إلى بلاد الديلم[6]. وكان أول الخارجين من العلويين في عهد الرشيد. وقد تعددت أسباب خروجه؛ فتذكر بعض المصادر الشيعية أن يحيى, بعد مقتل أصحاب فخ,

---

(1). الجهشياري, الوزراء, ص254.

(2). الأزدي, تاريخ الموصل, ص258. ابن طباطبا, الفخري, ص190.

(3). الطبري, تاريخ, ج8, ص235.

(4). ن. م.ج8, ص192.

(5). ن. م. ج7, ص552.

(6). الطبري, تاريخ, ج8, ص242. أبو العباس الحسني، المصابيح، ص57.

خاف مما جرى على أخويه النفس الزكية وإبراهيم, فصار إلي الديلم مستجيراً لا طالباً للخلافة[1], " فاستتر مدة يجول في البلدان ويطلب موضعاً يلجأ إليه " كما يقول الأصبهاني، إلى أن وصل إلى الديلم[2]. ويضيف صاحب الفخري أنه استجار ببلاد الديلم فاعتقدوا فيه استحقاق الإمامة وبايعوه[3]. وتذكر بعض المصادر المتأخرة أنه نزل بالديلم, وأعلن الاستقلال عن الخلافة العباسية[4], ولا يوجد ما يؤيد هذه الرواية في المصادر الأولى. ويذكر اليعقوبي خروج يحيى بن عبدالله إلي بلاد الديلم لكنه لا يذكر السبب[5]. والراجح أن يحيى بن عبدالله استغل سياسة اللين التي اتبعها الرشيد تجاه العلويين, فسار إلى الديلم رافعاً لواء الثورة ومدعياً الإمامة, لا مستجيراً فالتف الناس حوله وبايعوه, تحدوه مبادىء العلويين من الزيديه[6], بحجة أنهم أحق بالخلافة, إذ أن أهم الشروط التي يجب أن تتحقق في الإمام عندهم, أن يكون قادراً على الخروج بنفسه للقتال[7].

ويذكر الأصبهاني (تـ 356هـ/966م) أن الفضل البرمكي عندما علم بأمر يحيى بن عبدالله, طلب اليه الإنتقال إلى الديلم بعدما سهّل له ذلك[8], وقال له " أحب أن أحدث بك عهداً وأخشى أن تبتلي بي وأبتلي بك, فكاتب صاحب الديلم فاني قد كاتبته لك لتدخل في بلاده, فتمتنع به"[9], وهذه الرواية فيها نظر, لأنه لم تكن للخلافة سيادة على الديلم[10], وكأن الأصبهاني يشير إلى وجود علاقة بين البرامكة ويحيى بن عبدالله قبل انتقاله إلى الديلم. ولا يؤيد الطبري ذلك, إذ يذكر " بأن أول خبر يحيى بن عبدالله أنه ظهر بالديلم"[11]. في حين ترد إشارات عند الجهشياري إلى أن يحيى البرمكي قدّم ليحيى بن عبدالله مائتي ألف دينار, وبرر هذا التصرف بأنه كان يستهدف من ورائه تقوية الزعيم العلوي,

---

[1]. الحسني, عمدة الطالب, ص124.
[2]. الأصبهاني, مقاتل, ص465.
[3]. ابن طباطبا, الفخري, ص194.
[3]. نظمي زاده, كلشن خلفا, ص40.
[5]. اليعقوبي, تاريخ, ج2, ص408.
[6]. ينسبون إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب, ثار ضد بني أميه سنة 122هـ/739م. انظر, دائرة المعارف الإسلامية, مادة (زيد بن علي), مج11, ص12.
[7]. ن. م. مادة (الزيدية). مج 11, ص16.15.
[8]. الأصبهاني, مقاتل, ص465.
[9]. ن. م. ص 467.
[10]. الطبري, تاريخ, ج8, ص316.
[11]. ن. م. ج8, ص242.

حتى إذا تغلب عليه ابنه الفضل يكون حينئذ أكثر تقديراً عند الرشيد. يقول الجهشياري على لسان يحيى البرمكي " أردت أن تقوى شوكة يحيى بن عبدالله, فيظفر به الفضل بعد قوته, فيكون أحظى له عندك "[1]. غير أن ردّ يحيى لم يكن مقنعاً للرشيد, ولم يبعد الشكوك التي كانت تراوده حول تعاطف البرامكة مع يحيى بن عبدالله, إذ قال " فما يؤمنك أن تقوى شوكته فيقتل الفضل ويقتلني"[2], ومن غير الممكن أن يغض الرشيد النظر عن وجود مثل هذه العلاقة بين البرامكة والعلويين منذ عام 176هـ/792م, حتى يفصح عنها ليحيى البرمكي عام 187هـ/802م, مما يتعذر معه قبول رواية الجهشياري.

ويُعد خروج يحيى بن عبدالله بداية مرحلة جديدة لعلاقة الرشيد بالعلويين, تميزت بإنهاء سياسة اللين والمهادنة, واتباع سياسة أكثر حزماً وقوّة, بعد أن قوي أمره بالديلم " وتبعه خلق كثير"[3]، فاشتدت شوكته، وبدأ يحاول مد سيطرته على الأقاليم الشرقية[4], مما أقلق الرشيد, إذ كانت تصله الأخبار التي تقض مضجعه. إضافة إلى أن بلاد الديلم لم تكن تحت السيادة العباسية وهذا يزيد في خطورة حركة يحيى بن عبدالله[5].

أخذ الشعراء يتقربون إلى الرشيد بهجاء العلويين[6], لكن لا توجد إشارات إلى اتهام البرامكة بالميل إليهم, وأبرزهم الشاعر مروان بن أبي حفصه[7], والشاعر أبان بن عبد الحميد, إذ اتصلت خدمته للرشيد بعد أن نظم قصيدة أظهر فيها أحقية بني العباس في الخلافة, متضمنة الرد على عقائد

---

(1). الجهشياري, الوزراء, ص243.
(2). ن. م. ص243.
(3). ابن كثير, البداية والنهاية, ج166,10.
(4). الجهشياري, الوزراء, ص189.
(5). الطبري, تاريخ, ج8, ص316
(6). الأصبهاني, الأغاني, ج23, ص161. القمي, الكنى والألقاب, ج1, ص250.
(7). الأصبهاني, الأغاني, ج23, ص161.

الشيعة السياسية، من حيث التأكيد على أن العباس وولده هم ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم من جهة, وابطال وراثة العلويين للرسول صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى, وقال:[1]

نـَشدتُ بحقّ الله من كان مسلماً　　　أعُمُّ بما قد قلتـُه العُجمَ والعرَبْ

أعـــَمُّ رسـولِ الله أقرب زلفـــةً　　　لديه أم ابنُ العمِّ في رتبة النسب

وأيـــهما أولـــى بـــه وبعهـده　　　ومَن ذا له حق التـُراث بما وجَبْ!

فــان كــان عباسٌ أحـــق بتلكمُ　　　وكان عليٌّ بعد ذاك علـــى سـببْ

فأبناء عباسٍ همُ يرثونه　　　كما العمُّ لابن العمِّ في الإرث قد حَجَبْ

بدأ الرشيد بمحاولة إيقاف نشاط يحيى بن عبدالله السياسي والدعائي, فأمر الفضل بن يحيى البرمكي " بقصد يحيى والخديعة به, وبذل له الأموال والصلة إن قبل ذلك"[2], وفي الوقت نفسه جابه الرشيد الموقف باتخاذ إجراءات احتياطية, إذ جند المقاتلين وحشد الجيوش, وقرر مواجهة يحيى عسكرياً إن لزم الأمر, لكنه أوصى الفضل أن يتوخى الصلح قبل أن يبدأ القتال, فقاد الفضل جيشاً بلغت عدَّته - كما قيل- خمسين ألف مقاتل, ومعه صناديد القوَّاد[3]. وفي رواية ثمانين ألف رجل[4] . وسار إلى بلاد الديلم, فولى المثنى بن الحجاج بن قتيبه بن مسلم طبرستان, وولى علي بن الحجاج الخز اعي جر جان[5]. ونزل الفضل البرمكي بالطالقان بمكان يقال له أشَبَّ[6].

---

(1). الأصبهاني, الأغاني, جـ23, ص161.
(2). الأصبهاني, مقاتل, ص468.
(3). الطبري, تاريخ, ج8, ص242.
(4). أبو العباس الحسني، المصابيح ص57.
(5). الطبري، تاريخ، ج8, ص242.
(6). ن. م. ج8, ص242.

لم تنقطع صلة الفضل بالرشيد, فكان يكاتبه عن طريق منصور بن زياد, إذ كان موضع ثقة لإخلاصه وصدقه[1]. ويبدو أن الرشيد كان يتخوف توسع نفوذ يحيى بن عبدالله, " فلما قارب الفضل الري تتابعت الكتب إليه بالبر واللطف والجوائز والخلع"[2], وتنفيذاً لهذه السياسة ولتحاشي الصدام العسكري مع يحيى بن عبدالله, قام الفضل بمكاتبته, إذ بدأ يفاوضه أولاً بالتهديد والترهيب مرة, والترغيب واللين مرة ثانية[3], وكان يؤمله إن خرج إليه أن يقيم له العذر عند الرشيد[4], محاولاً بذلك التوفيق وتحقيق المصالحة بين الرشيد ويحيى بن عبدالله. والواقع أن الفضل أظهر من المقدرة والكفاية ما مكنه من النجاح في سياسة المساومة, والاستفادة من الفرص السانحة لاقناع يحيى بن عبدالله بقبول الصلح, فنجحت محاولاته في عدم إراقة الدماء[5], وبدأت سياسته تثمر جزئياً. ولعل أبرز الخطوات التي قام بها الفضل، تمكنه من استمالة مجموعة من أصحاب يحيى بن عبدالله. وقيل أن عددهم سيعين رجلاً [6]. إذ أجزل لهم العطايا والهبات, فحملهم على التخلي عن مساندتهم له من جهة، إذ بان " تفرق أصحابه وسوء رأيهم فيه وكثرة خلافهم عليه"[7], يقابل ذلك رغبته في تألّفهم واستمالتهم.

بهذه السياسة ازداد وضع يحيى بن عبدالله تأزماً, وفي الوقت ذاته قوي جانب الفضل سيما بعد تغير موقف صاحب الديلم[8],إذ يبدو أن يحيى بن عبدالله تفاهم معه, باعتباره قوة سياسية مستقلة, لكن هذا التفاهم لم يستمر طويلاً, بعد أن أرسل الفضل إلى صاحب الديلم كتاباً تم بموجبه الاتفاق على عدم مساندة يحيى بن عبدالله مقابل مبلغ من المال[9]. يقول الطبري " وكاتبه الفضل وجعل له ألف ألف

---

(1). الطبري, تاريخ, ج8, ص242. مسكويه, تجارب الأمم, ج3, ص505.
(2). مجهول العيون والحدائق,ج3, ص293. مسكويه, تجارب الأمم, ج3, ص507. أبو الفداء, المختصر, ج2, ص13.
(3). الجهشياري, الوزراء, ص190.
(4). ابن كثير, البداية والنهاية, ج10, ص166.
(5). الطبري, تاريخ, ج8, ص243.
(6). أبو طالب الناطق بالحق، الإفادة في تأريخ الأئمة السَّادة، ص80.
(7). الأصبهاني, مقاتل, ص469,468.
(8). الطبري, تاريخ, ج8, ص243.
(9). ن. م.ج8, ص243. مجهول, العيون والحدائق, ج3, ص293.

درهم, على أن يسهِّل خروج يحيى إلى ما قبله, وحملت عليه"[1], وفي رواية جعل له مائة ألف درهم[2], فاستجاب صاحب الديلم لعرض الفضل بن يحيى.

ولما تأكد الفضل وجود بوادر لقبول يحيى الصلح, استمر في مكاتبته, فطلب يحيى الأمان من الفضل " فأجابه يحيى إلى الصلح والخروج على يديه"[3]. ثم حمله إلى الرشيد, وبذلك أنهى الحركة دون قتال.

وطلب يحيى من الفضل أثناء المفاوضات أن يكتب له أمانا من الرشيد, وتعددت الروايات حول ذلك. قيل أن يحيى طلب من الفضل أن يكتب أماناً, فكتب الرشيد أماناً إليه, وأشهد عليه الفقهاء والقضاة ومشايخ بني هاشم, ومن أبرزهم, عبد الصمد بن علي والعباس بن محمد, ومحمد بن إبراهيم, وموسى بن عيسى[4]. وقيل أن يحيى بن عبدالله وضع شروطاً غير الشروط التي وضعت له " فكتب لنفسه شروطاً, وبعث بالكتاب إلى الفضل, فبعث به إلى الرشيد, فكتب له ما أراد"[5]. ويذكر آخر أن الفضل تلطف في استنزال يحيى من بلاد الديلم, وترك له أن يشترط ما أحب[6]. ويبدو أن الرشيد أراد القبض على يحيى بن عبدالله بأية وسيلة كانت. وأخيراً تم التفاهم مع يحيى بعد أن حصل على نسخة من شرط الأمان[7]. ورغم أن المصادر سكتت عن ذكر بنود الأمان, فمن الواضح أن يحيى بن عبدالله اطمأن إلى بنوده، وإلى أنه كفيل بجعل الرشيد يصرف النظر عن خروج يحيى, وأن لا يتعرض له بأذى .

---

[1]. الطبري, تاريخ, ج8, ص243. مجهول, العيون والحدائق, ج3, ص293. مسكويه, تجارب الامم, ج3, ص507. ابن الجوزي, المنتظم, ج9, ص16. ابن الأثير, الكامل, ج6, ص125.

[2]. المسعودي, مروج, ج4, ص201. ابو العباس الحسني، المصابيح، ص58.

[3]. الطبري, تاريخ, ج8, ص243.

[4]. ن. م . ج8, ص243. مجهول العيون والحدائق, ج3, ص293. ابن الجوزي, المنتظم, ج9, ص17. الذهبي, تاريخ الإسلام, ج7, ص12. ابن طباطبا, الفخري, ص194. ابن الأثير, الكامل, ج6, ص125.

[5]. الأصبهاني, مقاتل, ص469.

[6]. ابن خلدون, تاريخ, مج4, ق1, ص15.

[7]. الأصبهاني, مقاتل, ص470.

دخل يحيى بن عبدالله مع الفضل إلى بغداد[1], ويبدو أن قبوله الصلح لقي استحسان الرشيد, وجعله يتمتع مؤقتاً بمنزلة رفيعة عنده, وحظي يحيى بالإكرام " فلقيه الرشيد بكل ما أحب, وأمر له بمال كثير, وأجرى له أرزاقاً سنية"[2]. وفي رواية أن قيمتها مائتا ألف دينار غير الخلع[3]. وبلغ الرشيد الغاية في إكرام الفضل[4], وكان لهذا الصلح صدى حسناً في أقوال الشعراء, إذ أشادوا به, يقول مروان بن أبي حفصة[5]:

ظفرت فلا شُلّت يد بَرمكيّةٌ   رَتَقْتَ بها الفتق الذي بين هاشم

على حين أعيا الراتقين التآمه   فكفوا وقــالوا ليـــس بالمتلائـــــم

ومع ذلك بقي الرشيد على حذره من العلويين, فقد دفع يحيى بن عبدالله إلى البرامكة, فأقام في منزل يحيى البرمكي أياماً [6], لكن مخاوف الرشيد تجاهه لم تتبدد, إذ أحاطه بعيونه حيث يقيم, وكان يصله كثرة من يرتاد إليه, بعد أن أمر" الناس باتيانه بعد انتقاله من منزل يحيى - إلى منزله الذي بناه له الرشيد - والتسليم عليه" [7]. ففي رواية أن الرشيد أمر ببناء بيت ليحيى بعد أن وصل إلى بغداد[8], ويشار إلى أن آل برمك عنوا بخدمة يحيى, وكان يحيى البرمكي يقول: خدمته بنفسي وولدي [9], وكان يتولى أمره بنفسه, ولا يكل ذلك إلي غيره [10].

---

(1). الأصبهاني, مقاتل, ص470. مجهول العيون والحدائق, ج3, ص293. أبو الفداء, المختصر, ج2, ص13. ابن الأثير, الكامل, ج6, ص125.
(2). الطبري, تاريخ, ج8, ص243.
(3). الأصبهاني, مقاتل, ص471.
(4). الطبري, تاريخ, ج8, ص243.
(5). ن. م. ج8, ص243. مسكويه, تجارب الأمم, ج3, ص505. ابن الجوزي, المنتظم, ج9, ص17. ابن كثير, البداية والنهاية, ج10, ص166.
(6). الطبري, تاريخ, ج8, ص243.
(7). ن. م. ج8, ص234.
(8). الكرديزي, زين الأخبار, ص111.
(9). ابن كثير, البداية والنهاية, ج10, ص166.
(10). الطبري, تاريخ, ج8, ص243. مسكويه, تجارب الأمم, ج3, ص508.

أمر الرشيد بحبس يحيى بن عبدالله, بتهمة أن الديالمة كانوا يأتون إليه ويأخذون البيعة له[1], ووكل به جعفراً البرمكي. ويذكر الطبري أن يحيى توسل إلي جعفر أن يطلق سراحه, على أن يطلبه متى شاء[2], لأنه كان يتخوف من نية الرشيد, إذ قال يحيى يوماً لجعفر " اتق الله في دمي, واحذر أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم خصمك غداً فيَّ, فرقَّ له وأطلقه"[3], وفي رواية أنه استأذن في الحج فأذن له[4]. فذهب إلى الحجاز، وكان على جعفر عين للرشيد في موضعه حيث يقيم[5]. وتذهب بعض المصادر المتأخرة إلى القول بأن جعفر البرمكي كان على علاقة مع العلويين, وأنه أطلق سراح يحيى بن عبدالله تقرباً لهم[6]. وليس ما يؤيد هذه الرواية في المصادر الأولى. وعرف الفضل بن الربيع بإطلاق جعفر ليحيى, وأوصل الخبر للرشيد, فغضب الرشيد في نفسه, وقيل أن ذلك كان سبباً من أسباب نهاية البرامكة[7].

حاول يحيى بن عبدالله استعطاف الرشيد, بعد أن سجنه فقال " يا أمير المؤمنين, إن لنا قرابة ورحماً, ولسنا بترك أو ديلم, إنا وأنتم أهل بيت واحد ... علام تحبسني وتعذبني؟ فرقَّ له هارون"[8]. وفي الوقت ذاته سُعي إلى الرشيد بأن يحيى يستفسد الجند, ويدعو الناس إلى مبايعته, وأن جماعة قد أجابوه إلى ذلك[9], وكان أكثر الناس سعاية في ذلك, إضافة إلي الفضل بن الربيع, بكار بن عبدالله الزبيري "وكان شديد البغض لآل أبي طالب"[10]. وكان الرشيد قد ولاّه المدينة, وأمره بالتضييق

---

(1). الكرديزي, زين الأخبار, ص111.
(2). الطبري, تاريخ, ج8, ص289.
(3). الأصبهاني, مقاتل, ص471. مجهول العيون والحدائق, ج3, ص306. الدميري, حياة الحيوان, ج2, ص128. اليافعي, مرآة الجنان, ج1, ص418.
(4). الأصبهاني, مقاتل, ص471.
(5). ن. م. ص471.
(6). نظمي زاده, كلشن خلفا, ص42.
(7). الطبري, تاريخ, ج8, ص289. ابن الأثير, الكامل, ج6, ص176.
(8). الطبري, تاريخ, ج8, ص245.
(9). مجهول، العيون والحدائق, ج3, ص293.
(10). الطبري, تاريخ, ج8, ص245.

على العلويين[1], وقال: أن يحيى بن عبدالله أرادني على البيعة له[2]. وفي رواية أن هذه الحادثة كانت بين عبدالله بن مصعب الزبيري, وموسى بن عبدالله أخو يحيى[3].

ويبدو أن الرشيد كان في نيته التخلص من يحيى بن عبدالله,إذ أحضر الفقهاء ليناقشوا مشروعية الأمان, وهم: القاضي محمد بن الحسن صاحب أبي يوسف والقاضي أبو البختري[4], وقيل أيضاً القاضي الحسن بن زياد اللؤلؤي [5], فلم يجرؤ أحد على نقضه, إلا القاضي أبو البختري, فإنه أفتى بعدم مشروعيته, وأحل للرشيد قتل يحيى بن عبدالله, فقال له الرشيد (أنت قاضي القضاة وأنت أعلم بذلك) [6]. ويذكر الأصبهاني أن الرشيد كان في نيته الإساءة ليحيى, فقدّم له الخلع والجوائز (وفي نيته الحيلة على يحيى) [7]، في حين يذكر البعض أن الرشيد لم يكن يضمر سوء ليحيى بل شمله بكل الرعاية[8], ولم يكن في نيته القضاء عليه[9].

دعا الرشيد يحيى بن عبدالله إلى مجلسه, وكان عليه أثر مرض شديد, فقال للحاضرين: ألا ترون عليه آثار علة؟ قالوا بلى, قال: هذا إن مات قال الناس سّموه, فقال يحيى كلا ولكني ما زلت عليلاً في السجن, ولم يمض وقت طويل حتى توفي, وقيل بعد شهر واحد[10]. وتعددت الروايات حول الأسباب؛ قيل أنه سقي السم, فشكا ذلك إلى الرشيد, فأحضره, وأشهد بأنه لم يسقه السم[11], ويذكر الأصبهاني أنه دُس إليه في الليل من خنقه[12]. ويروي اليعقوبي (تـ284هـ/897م) عن رجل كان مسجوناً مع

---

(1). مسكويه, تجارب الأمم, ج3, ص508.
(2). مجهول العيون والحدائق, ج3, ص293.
(3). المسعودي, مروج, ج4, ص200.
(4). الطبري, تاريخ, ج8, ص247. ابن الجوزي, المنتظم, ج9, ص17. ابن الأثير, الكامل, ج6, ص125, 126.
(5). الأصبهاني, مقاتل, ص479.
(6). الطبري, تاريخ, ج8, ص247.
(7). الأصبهاني, مقاتل, ص471.
(8). خواندامير, دستور الوزراء, ص170.
(9). مسكويه, تجارب الأمم, ج3, ص508.
(10). الطبري, تاريخ, ج8, ص247. ابن كثير, البداية والنهاية, ج10, ص168.
(11). الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, ج14, ص110.
(12). الأصبهاني, مقاتل, ص482.

يحيى "أن الموكل بسجنه منعه من الطعام أياماً فمات جوعاً"[1]. وكان ادريس بن محمد بن يحيى بن عبدالله يقول: قتل جدي بالجوع والعطش في الحبس[2]. وشطت بعض الروايات في ذكر السبب, إذ يذكر المسعودي (تـ346هـ/957م) أن يحيى ألقي في بركة فيها سباع, فأمسكت عن أكله, ولم تقترب منه, فبُني عليه ركن بالجص والحجر وهو حي[3]. أما صاحب الفخري (تـ709هـ/1309م) فيقول بأن الرشيد قتله في الحبس لكنه لا يذكر السبب[4]. وفي رواية أنه مات خنقاً[5] . والأغلب أنه مات مسموماً في الحبس, لما ظهر من دلائل على ذلك قبل وفاته. ويبدو أن وضعه أمام الحضور في مجلس الرشيد لملاحظة أثر علـَّة أو مرض عليه[6], يؤكد الشكوك حول قتله.

ـ علاقة البرامكة بموسى الكاظم

يُعتبر موسى الكاظم من أكثر العلويين ورعاً, لقب بالكاظم لأنه كان يُحسن إلى من يسيء إليه[7]. وصفه اليعقوبي بأنه كان أشد الناس عبادة[8], وقد عرف بالزهد والورع [9]، سجنه المهدي ثم أطلق سراحه[10]. ويشير صاحب الفخري وهو متأخر نسبياً (تـ 709ھ/1309م), وله ميول علويه, موقف الرشيد من موسى الكاظم في المدينة, بأنه سمع أنه يتلقى من شيعته في المدينة خمس المال, وأنه يهيئ نفسه للخروج على الدولة[11], وهذا غير وارد, فهو يتلقى من أتباعه خمس المال, لكن لم يرد أنه كان في نيته الثورة. ولما حج الرشيد سنة 179ھ/795م ألقي القبض عليه, وحمله إلى بغداد[12]. ويتهم الأصبهاني صاحب الميول العلوية, البرامكة بالوقوف ضد موسى الكاظم. وفي رواية أن يحيى

---

[1]. اليعقوبي, تاريخ, ج2, ص408.
[2]. الأصبهاني, مقاتل, ص483.
[3]. المسعودي, مروج, ج4, ص201.
[4]. ابن طباطبا, الفخري, ص194, 195.
[5]. أبو طالب الناطق بالحق، الإفادة في تأريخ الأئمة السَّادة، ص84.
[6]. الطبري, تاريخ, ج8, ص247.
[7]. اليافعي, مرآة الجنان, ج1, ص405.
[8]. اليعقوبي, تاريخ, ج2, ص414.
[9]. الاربلي, خلاصة الذهب المسبوك, ص135. ابن الوردي, تاريخ, ج1, ص281. اليافعي, مرآة الجنان ج1, ص405.
[10]. الإربلي, خلاصة الذهب المسبوك, ص135.
[11]. ابن طباطبا, الفخري, ص196.
[12]. ن. م. ص196.

البرمكي هو الذي وشى به لدى الرشيد, إذ عرف خبره عن طريق علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد, وكان موسى الكاظم يأنس به, فهو ابن أخيه, وكان يفضي إليه بأسراره[1]. ويلاحظ أن المصادر ذات الميول العلوية[2], اتخذت موقفاً معادياً من البرامكة هنا, واتهمت يحيى البرمكي بالوشاية بالإمام موسى الكاظم, مما يوحي بأن البرامكة لم يكونوا موالين للعلويين.

وضع الرشيد موسى الكاظم بعهدة عيسى بن جعفر بن المنصور والي البصرة, فلما مرت سنة على اعتقاله أرسل عيسى إلى الرشيد يطلب منه أخذ موسى[3], فسلمه الرشيد للبرامكة, فأكرموه . ويذكر الأصبهاني أن الرشيد غضب على الفضل بن يحيى، لأنه دفع إليه موسى الكاظم " وأراد منه فعل شيء فلم يفعله, وبلغه أنه عنده في رفاهية وسعة "[4]. وكان الرشيد حينئذ في الرقة, فأرسل مسروراً الخادم إلى بغداد ليتحقق من وضع موسى الكاظم عند الفضل [5], فثبت للرشيد صدق ما وصل إليه, فغضب لذلك وصرح بحضور يحيى البرمكي " أيها الناس إن الفضل قد عصاني وخالف طاعتي, فرأيت أن العنه"[6]. لكن يحيى حاول أن يخفف من غضب الرشيد بقوله " إن الفضل حدث وأنا أكفيك ما تريد " [7]. وتبدو صحة هذه الرواية, إذ يؤيدها ما ذكره الجهشياري بأن الرشيد قبل أن يشخص إلى الرقة سنة 183هـ/799م سخط على الفضل بن يحيى " ولم يرد إليه شيئاً من أعماله"[8]. وفي رواية أن الرشيد أمر بضرب الفضل مائة سوط[9].

سلّم الرشيد موسى الكاظم إلي السندي بن شاهك, ومضى إلى الشام[10], ويُذكر أن موسى الكاظم رفض أن يبعث من يتوسط إلى الرشيد في أمره, فلما قيل له, لو كتبت إلى فلان يكلّم فيك الرشيد؟ رد

---

(1). الأصبهاني, مقاتل, ص501.
(2). ن. م. ص501. ابن طباطبا, الفخري, ص196.
(3). الاصبهاني, مقاتل , ص502.
(4). ن. م. ص503.
(5). ن. م. ص503.
(6). الجهشياري, الوزراء, ص227.
(7). الأصبهاني, مقاتل, ص503.
(8). الجهشياري, الوزراء, ص227.
(9). الأصبهاني, مقاتل, ص503.
(10). الحسني, عمدة الطالب, ص162.

عليهم بما أوحى به الله عز وجل إلى داوود: " إنه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني عرفت ذلك منه إلا وقطعت عنه أسباب السماء, وأسَخْتُ الأرض من تحته" [1]. وفي رواية أنه بعث إلى الرشيد وهو في السجن رسالة جاء فيها " إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا ينقضي عنك يوم من الرخاء, حتى ينقضيا جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون"[2].

توفي موسى بن جعفر سنة 183هـ/799م في بغداد[3]. واختلفت الروايات في تحديد الأسباب. يذكر اليعقوبي أنه توفي في حبس السندي بن شاهك, وأن الرشيد أشهد الكتاب والهاشميين والقضاة ومن حضر من الطالبيين على موته[4], حتى يشهدوا أن لا أثر قتل أو اغتيال عليه. والمصادر ذات الميول العلوية تتهم البرامكة بقتله؛ إذ يذكر الأصبهاني أن يحيى بن خالد بعد أن عفا الرشيد عن الفضل البرمكي, تعهد له أن يكفيه أمر موسى, فأمر السندي بن شاهك فلفه في بساط, وقعّد الفراشون عليه إلى أن مات [5]. ويوافقه البعض بأن ليحيى بن خالد يداً في موته, وأنه بعث له بالرطب والريحان المسمومين[6]. ويتهم الفخري صاحب الميول العلوية الرشيد بقتله, إذ يذكر أنه عندما كان الرشيد بالرقة أمر بقتله (فقُتل قتلاً خفياً)[7]. وأما اليعقوبي فاكتفى بالإشارة إلى وفاة موسى الكاظم في الحبس في بغداد دون أن تذكر السبب[8], في حين أن الدينوري والطبري والجهشياري لا يشيرون إلى ذلك. أما المسعودي فيذكر أنه مات مسموماً ببغداد دون أن يحدد الجهة المسؤولة عن ذلك[9]. والبعض يذكر أنه مات في السجن دون أن تذكر السبب[10]. والأغلب أنه مات مسموماً, فعندما كشف عن الجثة, سأل الرشيد الحضور " أترون به أثراً وما يدل على اغتيال؟ قالوا لا"[11]. وقد يكون هذا

---

(1). اليعقوبي, تاريخ, ج2, ص414.
(2). ابن الأثير, الكامل, ج6, ص164. الإربلي, خلاصة الذهب المسبوك, ص136
(3). اليعقوبي, تاريخ, ج2, ص414.
(4). ن. م. ج2, ص414.
(5). الأصبهاني, مقاتل, ص504. الحسني, عمدة الطالب, ص162.
(6). الحسني, عمدة الطالب, ص162. القمى, الكنى والألقاب, ج1, ص279.
(7). ابن طباطبا, الفخري, ص196.
(8). اليعقوبي, تاريخ, ج2, ص414.
(9). المسعودي, مروج, ج4, ص258.
(10). نظمي زاده, كلشن خلفا, ص41.
(11). اليعقوبي, تاريخ, ج2, ص414.

السؤال لإزالة الشك حول قتله, وقد يكون ليحيى بن خالد يد في ذلك، لإزالة الشك حول تعاطف البرامكة مع العلويين. ومن جهة أخرى يلاحظ أن المصادر ذات الميول العلوية التي تتهم البرامكة بقتل موسى الكاظم[1], هي نفسها التي تتهم الرشيد[2]. مما يوحي باتخاذها موقفاً معادياً من البرامكة.

ومن هذا العرض لا يمكن القول بتشيع البرامكة كما فعل جرجي زيدان[3]. ولبارتولد رأي ملخصه, أن المذهب الشيعي انتشر في إيران بين الطبقات العامة لأنها وجدت فيه وسيلة لمقاومة الامويين السنة, وأن الأرستقراطية اتفقت مؤقتاً مع العامة, واجتمعت تحت راية أبي مسلم ـ أحد رؤساء الشيعة- وحاربوا الأمويين " ولما بلغوا الغاية تباينت المنافع, فقتل أبو مسلم وقام أنصاره ضد العباسيين, وقد ثابر البرامكة ممثلو الطبقة الأرستقراطية على العمل لصالح الخلفاء العباسيين إلى أن صاروا ضحية رد الفعل الديني في أواخر خلافة هارون الرشيد"[4]. ويعلق الدوري على هذا الرأي على أساس أن المذهب الشيعي لم ينتشر في إيران بشكل واسع آنذاك, وأن الدعوة كانت عباسية, وأن الأرستقراطية وممثلوهم البرامكة اتجهوا إلى التعاون مع الأسرة الحاكمة, وفي تلك الحالة لا يمكن اعتبار البرامكة شيعة [5], إذ لم يكونوا مواليين للعلويين, ويمكن القول أنهم ربما كانوا متعاطفين معهم, وكانوا يتبعون سياسة المرونة, إذ أن مثل هذه المخاوف من ميل البرامكة للعلويين لم تظهر في وقتها, بل تناقلتها الروايات بعد أن أوقع بهم الرشيد[6].

فمن جهة ترد إشارات إلى تقديم يحيى البرمكي المساعدة ليحيى بن عبدالله وإرسال سبعين ألف دينار إلى أحمد بن عيسى بن زيد بالبصرة [7]. ومن جهة أخرى هناك دلائل تشير إلى أن الجفاء كان يسود العلاقات بين البرامكة والعلويين, إذ أن جعفر البرمكي المتهم بإطلاق سراح يحيى بن عبدالله,

---

(1). الأصبهاني, مقاتل, ص504. الحسني, عمدة الطالب, ص162.
(2). ابن طباطبا, الفخري, ص196. الحسني, عمدة الطالب, ص162.
(3). جرجي زيدان, تاريخ التمدن الإسلامي, ج4, ص16.
(4). بارتولد, تاريخ الحضارة الإسلامية, ص66,65.
(5). الدوري, العصر العباسي الأول, ص130.
(6). الجهشياري, الوزراء, ص243.
(7). ن. م. ص243.

ضيق على عبدالله بن الحسن العلوي المعروف بالافطس[1], وقد شارك في فخ, ويقال أن الحسين بن علي صاحب فخ أوصى إلى عبدالله بن الحسن إن حدث به حدث فالأمر إليه[2]. فأحضره الرشيد وسأله " بلغني أنك تجمع الزيديه وتدعوهم الى الخروج معك ". لكنه أنكر ذلك[3], وقال " فوالله ما أنا من هذه الطبقة, ولا لي فيهم ذكر". لكن الرشيد أمر بحبسه عند جعفر البرمكي[4], فكتب الأفطس رسالة إلى الرشيد يشتمه فيها, وفيها كلام قبيح, مما أوغر قلب الرشيد عليه, وقال " اللهم أكفنيه على يديّ وليّ من أوليائي وأوليائك ". فقتله جعفر البرمكي ليلة النيروز, وأهدى رأسه إلى الرشيد, لكن الأخير استعظم هذا الفعل[5].

إضافة إلى ذلك ساهم يحيى البرمكي في القضاء على إدريس بن عبدالله الذي هرب بعد وقعة فخ إلى شمال أفريقيا, واستجاب لدعوته البربر, فأقام في فاس[6], " فاجتمعت عليه كلمة أهلها"[7]. وشكل دولة مستقلة عام 172هـ/788م, ولما انتهى خبره إلى الرشيد غمه ذلك, وشكا إلى يحيى البرمكي الذي قال: أنا أكفيك أمره [8]. أرسل يحيى سليمان بن جرير الجزري, وكان على علاقة مع الزيدية ومن متكلميهم, " فأرغبه - يحيى- ووعده عن الخليفة بكل ما أحب, على أن يحتال لإدريس حتى يقتله"[9]. فاندسّ سليمان بن جرير بين البربر, إلى أن سنحت له الفرصة للقضاء عليه من خلال قارورة طيب مسمومة, أهداها سليمان بن جرير إليه, فشمها إدريس وتغلغلت في أحشائه إلى أن مات[10]. وفي رواية انه أهداه سمكه مشويه, فقتله بها[11].

---

(1). الحسني, عمدة الطالب, ص277.
(2). الأصبهاني, مقاتل, ص492.
(3). ن. م . ص493.
(4). ن. م . ص493.
(5). الحسني, عمدة الطالب, ص277.
(6). الأصبهاني, مقاتل, ص488.
(7). اليعقوبي, تاريخ, ج2, ص405.
(8). الأصبهاني, مقاتل, ص489.
(9). ن. م. ص489.
(10). ن. م. ص490.
(11). ن. م. ص490.

لا يمكن القول بأن البرامكة كانوا مع العلويين, إذ لا توجد إشارات إلى إخلاصهم لهم, أو ولائهم لشخصية علوية بعينها, ومن الباحثين المحدثين من يقول بأن البرامكة: " كانوا عيوناً على العلويين, يترصدون حركاتهم, ويعدون أنفاسهم, ويرفعون التقارير الجائرة باستمرار إلى الرشيد, ليوغروا صدره عليهم, ويرسمون له خطط القضاء على نفوذهم, واتخاذ الإجراءات المشددة ضدهم"[1]. ومن جهة أخرى اتّخذ البرامكة سياسة ولاء للدولة, عبّروا من خلالها عن مناهضتهم للعلويين.

---

(1). جاسم كلكاوي, البرامكة والعلويون, ص24.

الفصل الرابع

نـهايــة البرامكــــــــة

- مقدمات سقوط البرامكة
- الإيقاع بالبرامكة
- أسباب سقوط البرامكة
  - قصة العباسة
  - علاقة البرامكة بالعلويين
  - علاقة البرامكة بالرشيد (الدالة)
  - أسباب مالية
- أسباب أخرى
- التأثير

ـ مقدمات سقوط البرامكة

أجهد المؤرخون أنفسهم في الحديث عن سقوط البرامكة, مع أن سقوط الوزراء لم يكن استثناءً في الدولة العباسية, والإيقاع بالبرامكة لم يكن أشد عنفاً من الإيقاع بأبي سلمة الخلال زمن أبي العباس السفاح سنة 132هـ/749م [1] , كما أن المنصور أوقع بوزيره أبي أيوب المورياني, فقتله سنة154هـ/770م, وسجن أقاربه, واستصفى أموالهم بتهمة التلاعب وعدم تنفيذ أمره [2]. وأوقع المهدي بوزيره أبى عبيد الله معاوية بن يسار سنة 163هـ/779م, وبوزيره يعقوب بن داوود سنة 166هـ/782م, لأكثر من سبب [3] .

ولم يكن سقوط البرامكة مفاجئاً, وليس كما يذكر اليعقوبي بأن الرشيد قتل جعفر بن يحيى " بغير أمر متقدم قبل ذلك "[4]، بل سبق ذلك بعض التمهيد. ويرى بارتولد أن نهاية البرامكة سبقتها ممهدات منذ زمن طويل, ولم تكن راجعة إلى رغبة فجائية للرشيد[5] , ولم تكن ـ برأي غيره ـ نتيجة لثورة عاطفية أو عصبية[6] . فلما قوي أمر البرامكة لم يتردد الرشيد في الحد من نفوذهم, وأدرك أنه لا يمكن التهاون بأمر يتعلق بسلامة الدولة. فقد أخذ بعد وفاة أمه الخيزران سنة 173هـ/798م بتشذيب سلطتهم , كما يبدو من أمره بنقل ديوان الخاتم فور انتهاء موكب التشييع إلى منافسهم الفضل بن الربيع[7] . وفي سنة 179هـ/795م, صرف الرشيد محمد بن خالد بن برمك عن حجابته وقلّدها الفضل بن الربيع[8] . وبعد أن صرف الرشيد الفضل بن يحيى عن خراسان سنة179هـ/795م, صرفه عن الأعمال التي كان يتقلدها شيئاً فشيئا [9] , ففي عام 180/هـ796م

---

[1]. الطبري, تاريخ, جـ 7, ص449. ابن طباطبا, الفخري, ص156.
[2]. الجهشياري, الوزراء, ص119-121.
[3]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص44. الجهشياري, الوزراء، ص156. التنوخي, نشوار المحاضرة, جـ8, ص136.
[4]. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص421.
[5]. بارتولد, دائرة المعارف الإسلامية, مادة (البرامكة), مج 3, ص496.
[6]. الدوري, العصر العباسي الأول, ص129.
[7]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص238. الاربلي, خلاصة الذهب المسبوك, ص187.
[8]. الجهشياري, الوزراء, ص233. الطبري, تاريخ, جـ8, ص261. ابن الجوزي, المنتظم, جـ9, ص38.
[9]. الجهشياري, الوزراء, ص227.

عزله عن طبرستان والرّويان, وفي العام ذاته عزله عن الري [1] , ويُذكر أن الرشيد غضب على الفضل بن يحيى سنة 183هـ/799م, وكان الرشيد بالرقة, فسافرت أم الفضل زينب إلى الرقة للقاء الخليفة, لتشفع عنده لولدها, إذ كان لها مكانة كبيرة عنده, فهي التي أرضعته, فرضي الرشيد عن ولدها, لكنه لم يرد إليه شيئاً من أعماله [2] . وفي عام 180هـ/796م أخذ الرشيد الحرس من جعفر البرمكي, وقلّده هرثمة بن أعين[3] , وفي عام 181هـ/797م أجاب - في رواية - إلى طلب يحيى البرمكي باعتزال الحكم, والبقاء في مكة, لكنه عاد إلى بغداد في العام التالي[4] . ثم إن الرشيد لم يستمع دائماً لرأي وزيره يحيى البرمكي ومشورته, ففي عام 183هـ/799م, ولّـى الرشيد علي بن عيسى بن ماهان خراسان على غير رأي يحيى[5] .

ويبدو أن البرامكة بدأوا يحسّون بتغير الرشيد ويستشعرون الخطر الذي يتهدد هم, فيُذكر أن جعفر بن يحيى, أحس بشيء من هذا التغير, وأفضى ذات يوم إلى إبراهيم بن المهدي, أخي الرشيد, بمخاوفه ليلاحظ بنفسه مدى صحة ظنه من عدمه, فذهب إبراهيم إلى مجلس الخليفة, ولاحظ تغيره تجاه جعفر, وقال له: حقاً ما قلته هو ما حدث [6] , وقال" رأيته يجدّ إذ هزلت, ويهزل إذ جددت, وهذه نهاية التغيير "[7] .

كما أن جعفراً حين شعر بتغير الرشيد عليه, لم يستطع أن يخفي ذلك في نفسه, بل صرّح للخليفة وأعلمه ما يدور في خلده, بأنه قاتله يوماً ما, ففي رواية أن جعفراً كان يحضر مجلساً عند الرشيد, فلما قام الرشيد من مجلسه يريد الدخول إلى بعض حُجر قصره, أسرع جعفر ورفع له الستر, فأخذ الرشيد يتأمل عنقه, فلحظه جعفر وقال: ما متأمل أمير المؤمنين؟ قال الرشيد حُسن

---

(1). الطبري, تاريخ, جـ8, ص266.

(2). الجهشياري, الوزراء, ص227

(3). الطبري, تاريخ, جـ8, ص314.

(4). ن. م. جـ 8, ص269,268.

(5). ن. م. جـ 8, ص314.

(6). مسكويه, تجارب الأمم, جـ3, ص535. خواندمير, دستور الوزراء, ص137.

(7). الصولي, الأوراق, ص 46,45.

عنقك, فقال له جعفر: لا والله ما متأمل إلا موضع سيفك فيه[1]. ويُروى أن جعفر بن يحيى بنى داراً وتأنق فيها وانتقل إليها, فدخل عليه أبو نواس وأنشده [2] :

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم   بني برمك من رائحين وغادي

فتطير جعفر لها وقال " نعيت إلينا أنفسنا يا أبا نوّاس؟ فلم تكن مدة يسيرة حتى أوقع بهم الرشيد"[3].

وكان يحيى البرمكي يتوقع انقلاب حالهم, ويذكر الطبري أنه لم يكن راضياً عن كثرة مداخلة ابنه جعفر مع الرشيد[4] وكان يحذره من ذلك, لأن جعفراً" كان يساعد الرشيد على كل شيء " كما يقول الجهشياري [5]. ولم يكن جعفر يستمع لنصائح أبيه, وقال له يحيى يوماً " إني أنما أهملتك ليعثر الزمان بك عثرة تعرف بها أمرك, وإن كنت لأخشى أن تكون التي لا شوى لها"[6]. ويروي الجهشياري عن إسماعيل بن صبيح أنه كان جالساً عند يحيى, فلما دخل عليه جعفر أشاح بوجهه عنه, وأمر بدواة, فكتب كلمات وأعطاها لإسماعيل, وقال له: " لتكن عندك, فإذا دخلت سنة سبع وثمانين ومضى المحرم, فانظر فيها؛ فلما كان في صفر أوقع الرشيد بهم, فنظرت فيها, فكان الوقت الذي ذكره " [7], وهي رواية يصعب قبولها, ولكنها لها دلالتها. ويذكر الطبري في أحداث 187هـ-802م, أن يحيى البرمكي, عندما خرج إلى الطواف, تعلق بأستار الكعبة, وأخذ يقول " اللهم إن كان رضاك في أن تسلبني نعمتك عندي فاسلبني؛ اللهم إلا الفضل "[8]. وجاء عند الجهشياري أن يحيى بن خالد لمّا ابتدأت حاله بالفساد, دخل على الرشيد, ثم رجع, فقال الرشيد لبعض الخدم,

---

(1). الجهشياري, الوزراء, ص216.
(2). الكتبي, غرر الخصائص, ص116. ابن رشيق, العمدة, جـ1, ص150.
(3). الكتبي, غرر الخصائص, ص116. ابن رشيق, العمدة,جـ1, ص150
(4). الطبري, تاريخ, جـ8, ص293.
(5). الجهشياري, الوزراء, ص224.
(6). الطبري, تاريخ, جـ8, ص293. الجهشياري, الوزراء, ص225. ابن الجوزي, المنتظم, جـ9, ص132. الذهبي, تاريخ الإسلام, جـ12, ص26,25 .
(7). الجهشياري, الوزراء, ص249.
(8). الطبري, تاريخ, جـ8, ص292.

إلحق يحيى فقل له : خنتني فاتهمتني, فقال يحيى للرسول: تقول له يا أمير المؤمنين, إذا انقضت المدة, كان الحتف في الحيلة, والله ما انصرفت عن خلوتك إلا تخفيفاً عنك "[1]. ويروي الجهشياري أن يحيى البرمكي أشار على الرشيد سنة 187هـ/802م بعقد هدنة مع الروم، لكن نقفور خرق الهدنة، ولم يتجرأ يحيى على إخباره، يقول الجهشياري " فكره يحيى بن خالد أن يُعرّف الرشيد ذلك فيغتمّ له، ويرجع اللوم عليه، لما كان من مشورَته عليه بمصالحته ـ نقفور "، ولكن يحيى أسمع الرشيد هذا الخبر عن طريق الشاعر المكي, فقال الرشيد ليحيى: قد علمت أنك احتلت في إسماعي هذا الخبر على لسان المكي[2]. وفي هذا إشارة إلى تخوف يحيى من الرشيد. ويرى سورديل أن البرامكة كانوا يتوقعون سقوطهم، سواء كان ذلك نتيجة لتصرفاتهم غير المقبولة لدى الرشيد، أو ملاحظتهم من آخرين عدم ارتياح الرشيد وتذمره منهم[3]. وبرأي غيره أن البرامكة شعروا بتبدل حالهم عند الرشيد لكنهم لم يكونوا يتوقعون النتيجة التي وصلوا إليها[4].

يتضح إذن أن الإيقاع بالبرامكة لم يكن ناتجاً عن نزوة عصبية لدى الرشيد, ويروي مسرور الخادم, " أشهد بالله , كنت مع الرشيد وهو متعلق بأستار الكعبة, بحيث يمس ثوبه ثوبي, وهو يقول في مناجاة ربه: اللهم إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى"[5] , ثم قتله بعد ذلك بخمس أو ست سنين[6]. وقال إسماعيل بن صبيح الذي كتب ليحيى البرمكي منذ زمن الهادي [7] ، ثم أصبح أحد خاصة الرشيد وكاتب رسائله، أن الرشيد بعث إليه يوماً وهو ببغداد, فدخل ولم يكن أحد في الدار, وأقسم له لئن سمع هذا السر من أحد من الناس ليضربن عنقه, وقال له" إني أريد أن أوقع بآل

---

[1]. الجهشياري, الوزراء, ص227.
[2] . ن. م. ص207.
[3] Sourdel , Le Vizirat Abbaside,vol,1, p .165.
[4]. نابيا ابوت, ملكتان في بغداد, ص178.
[5]. محمد بن الحارث الثعلبي(من علماء القرن الثالث الهجري) , أخلاق الملوك(المنسوب للجاحظ سابقاً) , ص89,88.
[6]. الكتبي, غرر الخصائص, ص410.
[7]. الطبري، تاريخ، جـ8، ص207.

برمك إيقاعا ما أوقعته بأحد , وأجعلهم أحدوثة ونكالاً إلى آخر الأبد"[1]. فلما حال الحول الرابع قتلهم .

وجاء في العقد الفريد أن الرشيد استشار إسحاق بن علي بن عبدالله بن العباس في أمر البرامكة, وأخبره بما يضمر لهم, وقال له " فضياعهم ليس لولدي مثلها, وتطيب نفسي بذلك لهم! " ، قال إسحاق: فعرفت أن الرشيد سينكبهم [2] ", وكان قتلهم بعد ست سنين من تاريخ ذلك اليوم"[3]. ويروي الجهشياري عن السندي بن شاهك أن الرشيد أسرّ إليه أن يستعد للقبض على البرامكة وحجز أموالهم قبل سنة من الإيقاع بهم, قائلاً " إذا كان بعد سنة من يومك هذا, فوكّل بدور البرامكة وأسبابهم سراً"[4]. وفي رواية عن الطبيب بختيشوع, وقد كان قريباً من الرشيد, أن يحيى كان ينظر في أمور المتظلمين, فاستاء الرشيد من الوضع وقال " استبد يحيى بالأمور دوني, فالخلافة على الحقيقة له, وليس لي منها إلا اسمها، قال : فعلمت انه سينكبهم , ثم نكبهم عقيب ذلك " [5]. ويرى سورديل أن نظرة الرشيد إلى أمور الحكم والإدارة تطورت بشكل ملحوظ خلال الفترة الطويلة لحكمه، بعد أن تقلّد الخلافة وعمره ثلاث وعشرون سنة[6], إذ بدأت لغة الخليفة تتغير من الثناء على البرامكة، إلى لغة أشد عنفاً تنبئ عما يخفيه في نفسه ضدهم, في إشارة إلى عدم رضاه عن تصرفاتهم , مؤكداً عدم المساس بسلطاته, ومنع أي محاولة لتجاوزها .

ومن بوادر تغير الرشيد على البرامكة أيضاً غضبه لدخول يحيى بن خالد عليه في مجلسه دون استئذان, ويروي الطبيب جبريل بن بختيشوع أن الرشيد قال له: يا جبريل, يدخل عليك وأنت في منزلك أحد بلا إذنك! فقلت لا؛ ولا يطمع في ذلك , قال : فما بالنا يُدخل علينا بلا إذن ! و كان الغلمان يقفون ليحيى إذا دخل قصر الخليفة, ويذكر الطبري أنه عندما بدأ الرشيد يتغير على

---

(1). اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص422.
(2). ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ5, ص66.
(3). ن. م. جـ5, ص66
(4). الجهشياري, الوزراء, ص237,236.
(5). ن. م. ص208.
(6). Sourdel , Le Vizirat Abbaside,vol,1, p. 165.

البرامكة, أمر غلمانه بالإعراض عنهم, والاستهتار بهم إذا دخلوا قصره , فدخل يحيى بن خالد ذات يوم فقام الغلمان له فقال الرشيد لمسرور الخادم, مُر الغلمان ألا يقوموا ليحيى إذا دخل الدار, قال: فلم يقم إليه أحد, فأربد لونه، قال: وكان الغلمان والحجاب بعد إذا رأوه أعرضوا عنه, قال: فكان ربما استسقى الشربة من الماء أو غيره فلا يسقونه وبالحري إن سقوه أن يكون ذلك بعد أن يدعوَ بها مراراً[1].

ويبدو أن تغيّر موقف الرشيد من البرامكة في الفترة الأخيرة لم يبق سراً, و كان الناس يتحدثون عن سقوطهم [2], وما يرويه الأصبهاني عن إسحاق الموصلي يؤيد ذلك, إذ سأله الرشيد , بماذا يتحدث الناس, قال: يتحدثون بأنك ستقبض على البرامكة, وتُولي الفضل بن الربيع الوزارة [3]. وفي هذا دليل على أن الرشيد تروّى قبل أن يوقع بالبرامكة.

- الإيقاع بالبرامكة

غادر الرشيد بغداد سنة 185هـ/801م إلى الرقة, وأبقى فيها ولي عهده الأمين, فطلب يحيى البرمكي من الرشيد يستعفيه من مصاحبته, واستأذنه للذهاب إلى العمرة والحج, فأذن له, وسافر الرشيد وحده إلى الرقة [4]. وفي عام 186هـ/802م أرسل الرشيد إلى عماله في الأمصار يخبرهم بأنه قد عزم على الحج, حتى إذا قَرُب من بغداد, عسكر بجانبها ولم يدخلها, فالتحق به من كان فيها من رجال الدولة, ومن بينهم وليا عهده, والبرامكة[5] . ولدى عودته من الحج سنة 187 هـ/802م, نزل الأنبار, ومنها أرسل إلى السندي بن شاهك, صاحب الشرطة, وأحد ثقاته , وأمره أن يمضي إلى بغداد, وأن يمنع البرامكة وكتّابهم وأقاربهم من مغادرة منازلهم, وأن يجعل ذلك سراً

[1]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص288. مسكويه, تجارب الأمم , جـ3, ص534. الذهبي, تاريخ الإسلام, جـ2, ص24. ابن الأثير ,الكامل,جـ6, ص177.
[2]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص288.
[3]. الاصبهاني, الأغاني, جـ5, ص114.
[4]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص274,273.
[5]. ن. م. جـ8,ص275.

بحيث لا يعلم به أحد حتى يصل إلى بغداد, ففعل السندي ذلك[1]. ويذكر الجهشياري أن الرشيد أمر السندي بذلك قبل سنة من سقوطهم [2]. وهذا القول غير مقبول, لأنه ينافي حذر الرشيد وتكتمه, ولكن الإجراء كان سنة 187هـ/802م . أمر الرشيد مسروراً الخادم ليلة سبت من صفر سنة 187هـ/802م بقتل جعفر البرمكي, وكان عمره سبعاً وثلاثين سنة [3] . ويذكر اليعقوبي (تـ284هـ/897م) أن جعفراً قُتل دون سبب [4] ، والدينوري (تـ282هـ/895م) لا يشير للحادث. والطبري والجهشياري يقدمان روايات دون إعطاء رأي [5] .

وفي رواية أنه في الأيام التي سبقت قتل جعفر, أسرف الرشيد في ملاطفته, ولم يكن أكثر إكراماً وإقبالاً عليه من تلك الأيام[6]. ويرى الجومرد أن بقاء جعفر البرمكي على هذه الصلة مع الرشيد إلى هذه الفترة, على الرغم من دلائل تغير الرشيد على البرامكة, يشير إلى أن جعفراً كان على ثقة بأن الرشيد لا يقْدِم على قتله أو إيذائه[7]. ويذكر الطبري أن الرشيد أرسل مسروراً الخادم ومعه حماد بن سالم أبو عصمه في جماعة من الجند, لإحضار جعفر, يقول الطبري " فأخرجه إخراجاً عنيفاً يقوده, حتى أتى به المنزل الذي فيه الرشيد, فحبسه وقيّده بقيد حمار وأخبر الرشيد بأخذه إياه ومجيئه به, فأمر بضرب عنقه"[8] . وفي رواية أن جعفراً رفض الخروج معهم, فأرسل الرشيد من يساعدهم, فأخرج بالقوة [9]. وجاء عند المسعودي أن الرشيد دعا ياسراً غلامه (مسروراً) وقال: قد انتخبتك لأمر لم أرَ له محمداً ولا عبدالله ولا القاسم . فقال مسرور" يا أمير

---

1. الطبري, تاريخ, جـ8, ص298. مسكويه, تجارب الأمم, جـ3, ص539. اليافعي, مرآة الجنان , جـ1, ص420. النويري , نهاية الأرب, جـ22, ص138.
2. الجهشياري, الوزراء, ص236.
3. الطبري, تاريخ, جـ8, ص300. الجهشياري, الوزراء, ص236. مجهول, العيون والحدائق, جـ3, ص309 , 308 . العسكري, ديوان المعاني, جـ2, ص179. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص207.
4. اليعقوبي، تاريخ، جـ2، ص425.
5. . الطبري، تاريخ، جـ8، ص294-296. الجهشياري، الوزراء، ص237.
6. الطبري, تاريخ, جـ8, ص299. الجهشياري, الوزراء, ص234. الثعالبي, آداب الملوك, ص121.
7. الجومرد , هارون الرشيد, ص404,405.
8. الطبري, تاريخ, جـ8, ص295. ابن حمدون, التذكرة الحمدونية, جـ3, ص20,21. الدميري, حياة الحيوان, جـ2, ص129.
9. الأزدي, تاريخ الموصل, ص304. الاربلي , خلاصة الذهب المسبوك, ص147.ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص190.

المؤمنين لو أمرتني أن اُدخل السيف في بطني وأخرجه من ظهري بين يديك لفعلت", فقال له الرشيد" فامض ِإليه- جعفر- الساعة فأتني برأسه على أي حالة تجده عليها " [1]. وتحاول بعض الروايات الترويج بأن ما قام به الرشيد كان نزوة بعد أن ثمل من الشراب, ففي رواية أن الرشيد لم يأمر بقتل جعفر إلا بعد أن أثمله الشراب[2]. وفي راوية يذكرها الأصبهاني (تـ356هـ/966م) أن إبراهيم المهدي كان يجلس مع جماعة, فجاءه حاجبه يعدو فقال: خرج الساعة مسرور الخادم من دار أمير المؤمنين حتى دخل إلى جعفر بن يحيى, فلم يلبث أن خرج ورأسه بين يديه[3], وكان جعفر يجلس مع أبي زكّار الذي كان يغني بالبيت التالي [4] :

فلا تَبْعد فكل فتى سيأتي   عليه الموتُ يَطرق أو يُغادي

قدِم هرثمة بن أعين بغداد ومعه جثمان جعفر بن يحيى مضروب العنق, ثم وصل إلى السندي بن شاهك كتاب الرشيد من الأنبار بقطع جثة جعفر وصلبه [5]. ولما مرَّ الرشيد ببغداد, أمر بحرق الجثة[6], وقيل بعد سنة من قتله[7]. يقول الطبري " وطوى - الرشيد – بغداد ولم ينزلها, ومضى من فَوْره متوجهاً إلى الرقة " [8]. ويروي الأصمعي أن الرشيد أرسل إليه بعد أن قتل جعفراً, وأنشد أمامه [9]:

لو أن جعفر خاف أسبابَ الرّدى   لنجا بمهجتــه طِــمِــرّ مُـلْـجَــمُ

---

[1]. المسعودي, مروج, جـ4, ص250. مجهول, العيون والحدائق, جـ3, ص306. مسكويه, تجارب الأمم, جـ 3, ص536. ابن خلكان, وفيا ت الأعيان, جـ1, ص338. ابن بدرون, قصيدة ابن عبدون, ص227. خواندمير, دستور الوزراء, ص 174.
[2]. أبو حيان التوحيدي, البصائر، جـ3، ص118.
[3]. الاصبهاني, الأغاني, جـ11, ص150.
[4]. ن. م. جـ11, ص191.مجهول, العيون والحدائق, جـ3, ص305.
[5]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص296. الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة , ص201. ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ5, ص61. مسكويه, تجارب الأمم, جـ3, ص539.
[6]. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص425. مجهول, العيون والحدائق, جـ3, ص306. ابن الأثير , الكامل, جـ6, ص192.
[7]. الجهشياري, الوزراء, ص237. وانظر الطبري, تاريخ, جـ8, ص298. مسكويه , تجارب الأمم, جـ 3, ص540. ابن طباطبا , الفخري, ص210.
[8]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص317.
[9]. الجهشياري, الوزراء, ص238,237.

وَلَـكَّان من حَذر المَنون بِحيث لا   يرجو اللحاقَ به العُقابُ القَشْعم

لــكنــه لمــا تقــارب يــومُـــه   لم يدفــع الحدثان عنـــه مُنــجــّم

وجاء في الإمامة والسياسة (منتصف القرن الثالث الهجري) أنه لما قُتل جعفر كان سهل بن هارون مع يحيى البرمكي, فقال له يحيى, يا سهل " ذهب والله ملكنا, وذلّ عزنا, وانقطعت أيام دولتنا", وبينما كان سهل يدقق بعض التوقيعات التي كتبها يحيى لطلاب الحاجات, جاء إلى يحيى مخبر فقال له: قتل أمير المؤمنين الساعة جعفراً, قال: أوَ فعل؟ قال: نعم , فما زاد أن رمى القلم من يده وقال: هكذا تقوم الساعة بغتة "[1]. ويذكر الجهشياري أنه لما قُتل جعفر, قيل ليحيى, قتل الرشيد ابنك, فقال: كذلك يُقتل ابنه, فقيل قد أمر بتخريب ديارك, فقال: كذلك تُخرَّب دياره [2].

ويُفهم من الخطيب البغدادي (تـ463هـ/1070م) أن جعفراً كان السبب المباشر لسقوط البرامكة, إذ يـذكر أن الرشيد" نكب البرامكة لأجله "[3]. وفي المقابل لا يقدم الخطيب أي تفسير لنهاية البرامكة. ففي الليلة ذاتها التي قُتل فيها جعفر, أمر الرشيد من أحاط بمنازل يحيى وأبنائه, وكل من له علاقة بهم, ثم أمر بحبس الفضل بن يحيى, وبقي يحيى محبوسا في منزله[4] , ولم يترك أحداً من البرامكة إلا أخذه " واستوثق منهم بالحديد وحبسهم "[5] . لكن الرشيد استثنى منهم محمد بن خالد بن برمك أخو يحيى. يقول الجهشياري " وحبس الفضل ومحمد وموسى بنو يحيى, ووكّل سلام الأبرش بباب يحيى, ولم يعرض الرشيد لمحمد بن خالد, ولا لأحد من أسبابه "[6]. وجاء في الطبري أن الرشيد " أمر بالنداء في جميع البرامكة, ألا أمان لمن آواهم إلا محمد بن خالد

---

(1). الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة , ص200. ابن الابّار, أعتاب الكتّاب, ص86.
(2). الجهشياري, الوزراء, ص254. الطبري, تاريخ, جـ8, ص299. الأزدي, تاريخ الموصل, ص305. ابن الأثير, الكامل, جـ6, ص179. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص190.
(3). الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ7, ص164.
(4). الطبري، تاريخ, جـ8, ص296.
(5). ابن أعثم, الفتوح, جـ8, ص175.
(6). الجهشياري, الوزراء, ص234.

وولده, وأهله وحشمه, فإنه استثناهم لما ظهر من نصيحة محمد له, وعَرف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة "[1].

ويبدو أن الرشيد أراد أن يُظهر بعض الرفق بيحيى, فلما ذهب به إلى الرقة أرسل إليه ليختار المكان الذي يحب الإقامة به, فأخبره يحيى" إن كنت راضياً عني, فأحَبُّ المواضع إليّ أن أقيم في مكة, أو بعض الثغور, وإن لم ترضَ عني فلست أبرح من موضعي أو ترضى عني "[2]. وفي رواية أن الرشيد عندما عزم على الذهاب إلى الرقة وجّه إلى يحيى لأن يقيم حيث يريد, فقال يحيى: إني أحب أن أقيم مع ولدي [3], ويبدو أن هذا هو الأرجح, فقد حبسه مع ابنه الفضل في سجن واحد بالرقة [4].

أقام يحيى وولده الفضل في الحبس عدة سنين , فكتب يحيى إلى الرشيد رسالة[5] يستعطفه بها, ويذكر له حرمته, وما وصل إليه حالهم[6], فوقّع الرشيد على ظهر الورقة[7] قوله تعالى[8] " وضرب الله مثلا ًقرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها اللهُ لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون", وأنشد[9] :

يا آل برمك إنمـــــا كنتم ملوكا ًعادِيـــة

فَطغيْتم وبغيْتُـــم وكَفَرتـُم ُ نَعْمائِيـــة

هذا عقوبة مَن عصـــى مَن فَوْقَه وَعَصَانِيــــه

---

1. الطبري, تاريخ, جـ8, ص296.
2. الجهشياري, الوزراء, ص240.
3. ن. م. ص245.
4. الطبري, تاريخ, جـ8, ص296. الكتبي, غرر الخصائص, ص409.
5. انظر نص الرسالة , ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ5, ص68.
6. اليعقوبي, تاريخ , جـ2,ص423. ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ5, ص68. ابن أبي الحديد, شرح نهج البلاغة, جـ1, ص344. الراغب الاصبهاني, محاضرات الراغب, جـ1, ص301.
7. اليعقوبي، تاريخ، جـ2، ص423.
8. سورة النحل، آية، 112.
9. البيهقي, المحاسن والمساوئ , ص538.

كُنُتمْ كشيء قد مضـــى   أحلام نوم ساريـــــــه

وفي رواية أن يحيى كتب إلى الرشيد " إن كان الذنب يا أمير المؤمنين خاصاً, فلا تعم العقوبة, فوقّع - الرشيد- في حاشية كتابه : قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان"[1]. وجاء في الإمامة والسياسة أن أم الفضل, زوجة يحيى, دخلت على الرشيد - بعد قتل ابنها جعفر - , وكانت قد أرضعته" فكان الرشيد يشاورها مُظهراً لإكرامها"[2], فاستعطفته بالعفو عن يحيى وأبنائه, مذكرّة إياه بفضائلهم, فرد عليها الرشيد بقوله" يا أمّ الرشيد، قدر ٌ سبق, وقضاءٌ حمّ, وغضب من الله نزل"[3]. بقي يحيى وأبناؤه في الحبس, ولم يتعرض لهم الرشيد بأذى, حتى سجن عبد الملك بن صالح العباسي سنة 188هـ/803م. يقول الطبري" ولم تزل حالهم سهلةً إلى أن سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح, فعمهم بالتثقيف بسخطه, وجدّد له ولهم التهمة عند الرشيد, فضيق عليهم" [4]. ويندفع المسعودي بالقول بأن الرشيد " ضيّق عليهم بالمحابس, واشتد بهم الجهد, وترادف عليهم البلاء" [5] . ويرى البعض أن تضييق الرشيد عليهم بالحبس, لم يكن لعلاقتهم بعبد الملك بن صالح كما يذكر الطبري والمسعودي, وأنما سببه ما أعتقده الرشيد من ثرائهم, فأراد معرفة مكان أموالهم, فسألهم عن ذلك فأنكروه, فعمد إلى التضييق عليهم[6]. غير أنه لا توجد إشارات تظهر إيذاء الرشيد لهم, بل يذكر الجهشياري أن الرشيد أحسن إليهم, إذ يقول " وأقيم لولد يحيى ما يحتاجون إليه من مطعم ومشرب وملبس, ولم يقيّد أحداً منهم"[7]. وفي رواية عند الطبري أن الرشيد عامل الأصاغر من أولاد يحيى معاملةً حسنة ولم يتعرض لهم بأذى, ويذكر أن السندي بن شاهك "حمل عدة من أولاد الفضل وجعفر ومحمد الأصاغر إلى الرشيد فأمر بإطلاقهم"[8] .

---

[1]. الجهشياري, الوزراء, ص253.
[2]. الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة , ص200.
[3]. ن. م. ص200. ابن عبدربه, العقد الفريد, جـ5, ص65.
[4]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص297.
[5]. المسعودي, مروج, جـ4, ص277.
[6]. نابيا ابوت, ملكتان في بغداد, ص181.
[7] . الجهشياري, الوزراء, ص240.
[1]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص296.

توفي يحيى بن خالد بالحبس بالرقة سنة190هـ/805م[1], دون علامات مرض ظهرت عليه, ودفن بالرافقة على شاطئ الفرات[2]. وتوفي الفضل بن يحيى سنة 193هـ808م من علة كانت في لسانه، ويروي الجهشياري أنه " اغتم عليه جميع من عرفه"[3] . وصارت نهاية البرامكة موضوعاً للرواية والقصة والشعر، أثّرت فيه الميول والأهواء واكتنفته المبالغات [4] .

ووضع الأتليدي (تـ1100هـ/1689م) - وهو متأخر جداً عن عصر الرشيد - كتاباً قصصياً للتشهير بالرشيد ولتمجيد البرامكه, فادعى أن الرشيد " قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو ألف إنسان وترك من بقي منهم لا يرجع إلى وطنه, وشتت شملهم في البلاد..."[5]. في حين أنه لم يقتل من خاصتهم إلا أنس بن أبي شيخ بتهمة الزندقة [6] . ويبالغ الكرديزي (تـ442هـ/1050م) بالقول, بأن الرشيد استولى على كل أموالهم وأملاكهم وانزل بهم أشد العقوبات وقتلهم[7], وفي مكان آخر" فقتلهم جميعا, ولم يُبقِ لهم أثر في الدنيا"[8], وكان الفخري المتأخر نسبياً(تـ709هـ/1309م)، أكثر تحفظاً بالقول، أن الرشيد بعد قتل جعفر" قبض على أبيه واخوته وأهله وحبسهم بالرقة, واستأصل شأفتهم"[9]. ويندفع خواندمير(تـ942هـ/1535م) بين المتأخرين عندما يذكر أن الرشيد قتلهم جميعا[10] . وعظّم آخر من نهاية البرامكة التي أطاحت بعائلتهم [11]. ويقول ابن كثير (تـ774هـ1372م) ثم " شحنت السجون بالبرامكة "[12]. والاطلاع على المصادر الأولى لا

---

(2) . الجهشياري, الوزراء, ص261. مجهول, العيون والحدائق, جـ3, ص308. ابن الأثير, الكامل، جـ6, ص198.
(3) . الجهشياري, الوزراء, ص261. الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ14, ص134.
(4) . الجهشياري, الوزراء, ص261.مجهول, العيون والحدائق, جـ3, ص308. ابن الأثير, الكامل, جـ6, ص210.ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10,ص210.
(5). الجهشياري, الوزراء, ص262,261.
(6). الإتليدي, إعلام الناس, ص254.
(7). الطبري, تاريخ, جـ8, ص297,296.
(8). الكرديزي, زين الأخبار, ص111.
(9). ن. م. ص112.
(10). ابن طباطبا, الفخري, ص210.
(1). خواندمير, دستور الوزراء, ص175.
(2). مرتضى راوندي, تاريخ ايران, ص90.
(3). ابن كثير, البداية والنهاية , جـ10, ص190.

يعطي المجال لمثل هذه الصورة, إذ يذكر الجهشياري والطبري أن الرشيد لم ينكّل بيحيى وأبنائه بل شملهم بالرعاية[1] .

ـ أسباب سقوط البرامكة

تكتّم الرشيد في أسباب إيقاعه بالبرامكة؛ فلما أرسل إلى السندي بن شاهك بشأنهم قال له " قد بعثت لك في أمر لو علم به زرّ قميصي رميتُ به في الفرات "[2]. وفي رواية أن عُليَّة بنت المهدي قالت للرشيد, ما رأيت لك سروراً منذ قتلت جعفراً, فلأي شيء قتلته، فقال: لو علمت أن قميصي يعلم السبب الذي قتلت جعفراً به لأحرقته [3].

إن هذا التكتم سمح لظهور الكثير من الإشاعات التي نسجت حول سقوطهم, فالمصادر الأولى اختلفت في تحديد الأسباب. يقول اليعقوبي (تـ284هـ/897م) " وأكثر الناس في السخط عليهم مختلفون " [4] . ويقول الطبري (تـ310هـ922م) عن السبب " فإنه مختلف فيه "[5]. ويقول المسعودي (تـ346هـ/957م) " واختلف في سبب ذلك "[6]. ويقول الكندي (تـ260هـ/873م) "اختلفوا في السبب الذي حمل الرشيد على نكبتهم"[7]. ويتكرر الاختلاف ويتوسّع في المصادر المتأخرة, يقول ابن خلكان (تـ681هـ/1282م) " وقد اختلف أهل التاريخ في سبب تغير الرشيد عليهم"[8]. وجاء في الفخري (تـ 709هـ/1309م) " اختلف أصحاب السير والتاريخ في السبب

[4]. الجهشياري, الوزراء, ص245,240. الطبري, تاريخ, جـ8, ص296.
[5]. الطبري, تاريخ , جـ8, ص298.
[6]. الصولي, الأوراق, ص57. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ1, ص336. ابن بدرون, قصيدة ابن عبدون, ص230. الاربلي, خلاصة الذهب المسبوك, ص146.
[7]. اليعقوبي, تاريخ, جـ2, ص422.
[8]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص292.
[9]. المسعودي, مروج, جـ4, ص264.
[10]. الكندي, أخبار الدول, جـ1, ص24.
[1]. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ1, ص333. اليافعي, مرآه الحنان, جـ1, ص417.

في ذلك "[1]. فالإشارات المختلفة هذه تظهر الغموض الذي يكتنف سقوط البرامكة ، وهو ما أثار انتباه المؤرخين القدماء، والباحثين المحدثين .

واختلاف المؤرخين هذا, يتطلب التمحيص والتدقيق, للوصول إلى أسباب مقبولة بعيدة عن الخيال والقصص, كما أنه يتعذر نسبة سقوط البرامكة إلى سبب واحد، بل أن أسباباً عدة تضافرت لتؤدي إلى ذلك.

ومن الأسباب التي روّجت لها الإشاعات والدعايات, **قصة العبّاسة**, أخت الرشيد، وترد بأشكال مختلفة, وأول إشارة إليها, ترد في الطبري, وتربطها بمجلس شراب الرشيد, وحرصه على إشراك جعفر والعباسة فيه. وملخص القصة " أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدي, وكان يُحضرهما إذا جلس للشرب ؛ وذلك بعد أن أعلم جعفراً قلّة صبره عنه وعنها, وقال لجعفر: أزوّجكها ليحل لك النظر إليها إذا أحضرتها مجلسي", ويضيف بأن جعفراً اختلى بها " فحملت منه وولدت غلاماً"[2] .

وقد حدّثه بها أحمد بن زهير الراوي [3] , وهي آخر راوية أخذها عنه, وبدون إسناد, ويحسب الطبري أن أحمد بن زهير أخذها عن عمه زاهر بن حرب [4] . ويورد الطبري في أحداث 229هـ/843م من مجلس الواثق, الذي سأل عن سبب سقوط البرامكة, فأجابه أحد خاصته, بأن ذلك يعود إلى تلكؤ البرامكة في بعض نفقات الرشيد, عندما أراد شراء إحدى الجواري التي أعجب بجمالها[5]. فالطبري روى ما وصل إليه, فجاء بروايتين لم يؤكد أياً منهما. والجهشياري رفض قصة العباسة دون أن يتعرض لتفاصيلها؛ إذ يذكر أن عبيد الله بن يحيى بن خاقان سأل مسروراً

---

(2). ابن طباطبا, الفخري, ص209.
(3). الطبري, تاريخ, جـ8, ص294.
(4). الطبـــري, تـــاريخ, جـــ 1, ص166,86. جـــ4, ص429,419,417. جـــ5, ص215,169,168. جـــ7, ص237,236,234,232,231. جـ8, ص294.
(5). الطبري, تاريخ, جـ8, ص294.
(6). ن. م. جـ9, ص126.

الخادم في خلافة المتوكل عن سبب إيقاع الرشيد بالبرامكة, فأجابه مسرور " كأنك تريد ما تقوله العامة, فيما ادّعوه من أمر المرأة ... لا والله ما لشيء من هذا أصل "[1] .

وذكر العباسة, الكندي (تـ260هـ873م) الذي بالغ بإعطاء نهاية مأساوية للقصة[2] . وكذلك المسعودي (تـ957/346م)[3], الذي أعطى قصة مختلفة, وتوسع بذكرها دون إسناد. وتعرض للقصة بعض المصادر المتأخرة, فابن الأثير(تـ630هـ/1232م) [4] يأخذ عن الطبري (تـ310هـ/922م), وابن طباطبا (تـ 709 هـ/1309م)[5] يأخذ عمن سبق من مصادره, وأشار ابن خلدون (تـ 808هـ/1405م) في مقدمته[6] للقصة, وذكرها كما جاءت عند الطبري مع قليل من الاختلاف, فاعتبرها من الحكايات المدخولة, وأنكرها وأورد ما يراه أسباب سقوط البرامكة.

إن القصة لم تخرج عن نطاق العامة, نسجوها بعد سقوط البرامكة. وتجعل بعض المصادر الفارسية القصة سبب سقوط البرامكة[7], مثل الكرديزي (تـ442 هـ/1050م) [8], وخواندمير(تـ942هـ/1535م) في حبيب السير [9]. ويبدو أن هدفهما من ذلك الانتصار للبرامكة، إذ أخذت بعض المصادر تنشر الإشاعات للنيل من الخلافة العباسية باختلاق القصص الخيالية.

---

(1). الجهشياري, الوزراء , ص 254.
(2). الكندي, أخبار الدول, جـ1, ص25.
(3). المسعودي, مروج, جـ4, ص246.
(4). ابن الأثير, الكامل, جـ6, ص175. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ1, ص332- 334. اليافعي , مرآة الجنان, جـ1, ص416-418. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص189.
(5). ابن طباطبا, الفخري, ص209.
(6). ابن خلدون, المقدمة, ص16.
(7). انظر الجهشياري, الوزراء, ص254.
(8). الكرديزي, زين الأخبار, ص 112.
(9). خواندمير, حبيب السير, ص 238.

ويختلف شكل القصة في المصادر, كما تتباين الروايات في كيفية وصول الخبر ابتداء إلى الرشيد, وفي ردود فعله لذلك [1]. وواضحٌ دور الإشاعات في هذه القصة من الصورة الموسعة التي وصلت إليها.

لقد توسع البعض في الماضي والحاضر في ما يسمى بقصة العباسة, وروّج لها وحوّلها إلى قصة شعبية تجمع بين المتعة والتشهير بالعباسيين, وفي طليعة هؤلاء الإتليدي(تـ1100هـ/1688م) في كتابه (إعلام الناس فيما وقع للبرامكة مع بني العباس), الذي كتب بأسلوب قصصي يشيع فيه الوضع والخيال والاضطراب والدعاية. ثم انتشرت القصة في العصر الحديث كما في رواية (الرشيد والبرامكة) للأب أنطون اليسوعي, إذ تعرض لعلاقة البرامكة بالرشيد برواية تمثيلية, أظهر فيها مدى نفوذ البرامكة وسيطرتهم[2] , وروّج من خلالها لقصة العباسة التي اعتبرها أحد أسباب سقوطهم[3]. ثم كتب جرجي زيدان (العباسة أخت الرشيد), فوضع رواية تاريخية, حلّق فيها في عالم الخيال, وقصد الإثارة والمتعة, وأضاف تفاصيل من مخيلته[4] . وأفرد طنطاوي جوهري [5] كتاباً خاصاً سماه (براءة العباسة أخت الرشيد), يفنّد فيه كذب القصة, ويؤكد براءة العباسة, واعتبر ما كتبه بعض الكتّاب عنها, وأكّدوه, خيالات بعيدة عن الواقع, استخدموها كإسلوب للترويج والتشويق, حتى شاعت بين الناس[6] . ولا يعطي بوفا القصة أهميةً أو دوراً في نهاية البرامكة, ويقر بشكلها الإسطوري[7] . وناقش الدوري قصة العباسة

---

(1). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص294. المسعودي, مروج , جـ4, ص337. مجهول, العيون والحدائق, جـ3, ص308. الكرديزي, زين الأخبار , ص112. ابن بدرون, شرح قصيدة ابن عبدون, ص22. ابن خلكان, وفيات الأعيان , جـ1, ص344. ابن الأثير, الكامل, جـ6, ص175. اليافعي, مرآة الجنان, جـ1, ص488. ابن كثير , البداية والنهاية, جـ10, ص90.

(2). الأب أنطون أليسوعي, الرشيد والبرامكة, ص 75,74,62,61,56,55,50.

(3). ن . م. ص106.

(4). جرجي زيدان, العباسة أخت الرشيد,ص53 ,171-173.

(5). طنطاوي جوهري, براءة العباسة أخت الرشيد.

(6). ن. م. ص 33.

(7). Bouvat, Les Barmacides,p.95

بتفصيل, وانتهى إلى أنها روايةً موضوعة [1] . ويرى الجومرد أن قصة العباسة صنعها العامة من الناس, حين خَفِيت عليهم أسباب النكبة [2].

يتضح من خلال هذا العرض أن قصة العباسة موضوعة لأسباب عديدة, فالمصادر الأولى كالدينوري (تـ282هـ/895م) [3] واليعقوبي (تـ284هـ/897م) [4] لا تتعرض لها, والجهشياري (تـ331 هـ/942م) [5] ينفيها ضمناً. والأصبهاني(تـ356 هـ/966م) لا يذكر القصة, مع أن كتابه حوى الكثير عن مجالس القصر. وأنكر القصة بعض المصادر المتأخرة, فابن كثير (تـ774هـ/1372م) يقول " ومن العلماء من أنكر ذلك- قصة العباسة" [6] . ويقول المقريزي (تـ845هـ/1441م) " وهذا ما سجله التاريخ بكل اشمئزاز" [7] .

وتصدى ابن خلدون في مقدمته لتفنيد القصة, واعتبرها من الحكايات التي تناقلها بعض المؤرخين, وأنكرها ورفضها, على أساس أنها تتنافى مع القيم والتقاليد العربية, ومع الدين والنسب, إذ يقول " وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها, وأبويها وجلالها, وأنها بنت عبدالله ابن عباس ليس بينها وبينه الاّ أربعة رجال, هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده...". ويضيف بأن العباسة " ابنة خليفة أخت خليفة محفوفة بالمُلك العزيز والخلافة النبوية, وصحبة الرسول, وعمومته وإقامة الملّة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها , قريبة عهدٍ ببداوة العروبة وسذاجة الدين, البعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش ". ويتساءل ابن خلدون مستنكراً " فأين يُطلب الصون والعفاف إذا ذهب عنها. وأين توجد الطهارة والذكاء, إذا فقدوا من بيتها؟ كيف تلْحُمُ نسبها بجعفر بن يحيى وتُدنّس شرفها العربي بمولى من موالي العجم وكيف يسوُغُ من الرشيد أن يُصـْهـَرَ إلى

---

(1). الدوري, العصر العباسي الأول, ص 128, 129.
(2). الجومرد, هارون الرشيد, ص380.
(3). الدينوري, الأخبار الطوال, ص385.
(4). اليعقوبي, تاريخ, ص423.
(5). الجهشياري, الوزراء, ص254.
(6). ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 189.
(7). المقريزي, شذوذ العقود في ذكر النقود, ص 192.

موالي العجم على بُعد همَّته وعِظم آبائه"[1]. والعباسيون يأنفون مصاهرة الموالي وليس أمر أبي مسلم ببعيد, فعندما أرسل كتاباً إلى المنصور سنة 136هـ/753م, يعزّيه بوفاة السفاح, طلب أن يخطب عمّة المنصور آمنة بنت علي, فقال له المنصور" لقد ارتقيت لا أمّ لك مرتقاً صعباً" [2] .

ويشير ابن قتيبة(تـ276هـ/889) إلى أن العباسة كانت متزوجة من محمد بن سليمان, وكان والياً على البصرة, وتوفي سنة 173هـ/789م, ثم زوجها الرشيد من إبراهيم بن صالح بن علي, وكلاهما ولد عمومته, توفي عنها إبراهيم سنة 176هـ/792م [3], ثم تزوجها محمد بن علي بن داوود بن علي بن عبدالله بن العباس. كما أن حضور مجالس الرشيد غير وارد بالنسبة للأميرات[4].

هذه بعض القصص والروايات والإشاعات التي نُسجت حول سقوط البرامكة. ويمكن مناقشة الأسباب بإسلوب منهجي .

يرجع بعض المؤرخين أسباب سقوط البرامكة إلى **علاقتهم بالعلويين**[5]، إذ يذكر الطبري أن الرشيد وضع يحيى بن عبدالله العلوي عندما حضر به الفضل البرمكي من بلاد الديلم إلى بغداد سنة 176هـ/792م, عند جعفر البرمكي [6] , لكن الأخير أطلق سراحه دون إذن من الرشيد" حَرْماً لدماء أهل البيت بزعمه, ودالـّة على السلطان في حكمه" [7]. فعرف الرشيد ذلك من الفضل بن الربيع عدو البرامكة, واستفسر من جعفر البرمكي عن صحة ذلك, فاعترف بما فعل ولم يظهر

---

(1). ابن خلدون, المقدمة, ص 16, 17.
(2). ابن الأثير, الكامل , جـ 5, ص 475. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10 , ص 68.
(3). ابن قتيبة, المعارف, ص 380. الثعالبي, لطائف المعارف, ص20. ابن حمدون , التذكرة الحمدونية, جـ 2, ص 41. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 162.
(4). انظر الصولي, الأوراق, ص56.
(5). انظر الفصل الثالث، ص153 - 167.
(6). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 289. مجهول , العيون والحدائق, جـ 3, ص 306. الدميري, حياة الحيوان, جـ 2, ص 128. اليافعي, مرآة الجنان, جـ 1, ص 418.
(7). ابن خلدون , المقدمة, ص 18.

الرشيد له تأثره بذلك وقال" نعم ما فعلت, ما عدوتَ ما كان في نفسي"[1] . ويقول الطبري عند إيراد هذه الرواية" ذكر أبو محمد اليزيدي – وكان فيما قيل من أعلم الناس بأخبار القوم – قال: من قال إن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبدالله بن حسن فلا تصدقه" [2] . في حين أن الخطيب البغدادي (تـ463هـ/1070م) لا يقدم أي تفسير لقتل جعفر. ويذكر خواندمير(تـ942هـ/1535م) أن موقف جعفر البرمكي من قضية يحيى بن عبدالله كان من أسباب تغير الرشيد على البرامكة[3] . ويرى بارتولد أن البرامكة كانت لهم ميول علوية, ويجعل ذلك سبباً من أسباب سقوطهم[4].

وتشير بعض الروايات التاريخية إلى أن الرشيد أوقع بالبرامكة لوقوفهم ضد العلويين, فيذكر ابن الجوزي (تـ597هـ/1200م) أن جعفراً البرمكي جنى على نفسه" بأن وجَّه برأس بعض الطالبيين – عبدالله بن الأفطس- في يوم نيروز من غير أن يكون قد أمره (أي الرشيد) بقتله, فاستحل بذلك دمه"[5] . ويذكر التنوخي (تـ384ه/994م) أن الرشيد لما أمر مسروراً الخادم بقتل جعفر, قال له: إذا سألك عن ذنبه الذي أقتله من أجله, فقل له: إنما أقتلك بابن عمي ابن الأفطس, الذي قتلته من غير أمري [6] .

ويبدو من جهة أخرى, أن وجود بعض التعاطف من قبل البرامكة تجاه العلويين ولَّد لدى الرشيد شكاً بنياتهم, مما دعا ابن الجوزي إلى اتهامهم بميول سياسية تهدف إلى إفساد الملك[7], وجعل ذلك سبباً من أسباب تغير الرشيد على البرامكة, ثم الإيقاع بهم.

---

(1). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 289. مجهول, العيون والحدائق, جـ 3, ص 306. اليافعي, مرآة الجنان, جـ 1, ص 419.
(2). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 289.
(3). خواندمير, دستور الوزراء, ص 169.
(4). بارتولد, تاريخ الحضارة العربية, ص66,65.
(5). ابن الجوزي, المنتظم, جـ 9, ص 133.
(6). التنوخي, الفرج بعد الشدة, جـ 4, ص 114, 115.
(7). ابن الجوزي, المنتظم, جـ 9, ص 133.

ويشار إلى **ادلال البرامكة** وأثره في سقوطهم, إذ تقلّد يحيى البرمكي زمن الرشيد الوزارتين, الدواوين والخاتم[1] , وبلغ يحيى من الادلال لدرجة أنه كان يدخل على الرشيد دون إذن, فلما تنكَّر الرشيد للبرامكة, أنكر منه ذلك [2]. ويذكر اليافعي (تـ768هـ/1366م) , وهو متأخر، أن يحيى لم يصل إلى الادلال الذي وصل إليه ابنه جعفر, ويقول" ووقع منهم ـ البرامكة- بعض الادلال , خصوصاً جعفر والفضل دون يحيى, فإنه أحكم خبرة, وأكثر ممارسة للأمور[3] . ويذكر ابن بدرون أن جعفر بن يحيى قد بلغ من الرشيد ما لم يبلغه أحد من خليفة قبله[4]. وجاء في الفخري " وقيل أن جعفراً والفضل ابني يحيى بن خالد, ظهر منهما من الادلال مالا تحمله نفوس الملوك, فنكبهم ـ الرشيد ـ لذلك "[5]. ومما يؤيد ذلك ما جاء عند الجهشياري[6] , والطبري[7] من أن يحيى نصح ابنه جعفراً بعدم مداخلة الرشيد حتى لا ترجع العاقبة عليهم, إلا أن جعفراً لم يستمع لنصائح أبيه. ويرى الدوري أن علاقة جعفر بالرشيد كانت خطرة, لأنها كانت تستند إلى العواطف وهي معرضة للتقلب[8] , وأدرك والده يحيى ذلك, فشكا إلى الرشيد كثرة مداخلة ابنه جعفر[9] . ويرى البعض أن ما تمتع به البرامكة من الادلال عند الرشيد كان سبباً في سقوطهم, يقول الكتبي (تـ764هـ/1362م) " واعتمد- هارون- على البرامكة في دولته, فزيّنوها إلى أن أكثروا الدالة عليه, ففتك بهم "[10]. وفي رواية أن جعفر بن يحيى أمر صاحب الشرطة بإحضار رجل من أهل الذمة اسمه الحرباني, وأمر بصلبه, دون أن يأمره الرشيد بذلك, ولما أوقع الرشيد بالبرامكة أمر

---

(1). الطبري, تاريخ, جـ8, ص235.
(2). ن. م. جـ 8, ص287. مسكويه, تجارب الأمم, جـ3, ص533. ابن الجوزي, المنتظم, جـ9, ص126. الذهبي, تاريخ الإسلام, جـ12, ص23. ابن خلدون, تاريخ, مج 3, ق2, ص474,473.
(3). اليافعي, مرآة الجنان, جـ1, ص419.
(4). ابن بدرون, شرح قصيدة ابن عبدون, ص222.
(5). ابن طباطبا, الفخري, ص209.
(6). الجهشياري, الوزراء, ص225.
(7). الطبري, تاريخ, جـ8, ص293.
(8). الدوري, العصر العباسي الأول, ص135.
(9). الجهشياري, الوزراء,ص225.
(10). الكتبي, فوات الوفيات, جـ3, ص225.

بصلب أحد خواصهم, وهو أنس بن أبي شيخ, في نفس المكان الذي نُصب عليه الحرباني[1], مما يدلل على عدم رضا الرشيد عن فعل جعفر من جهة, ومما يشير إلى عظم الادلال الذي وصل إليه من جهة أخرى. وأشار ابن خلدون إلى مدى دالة البرامكة قائلاً: " وعظمت الدالة منهم, وانبسط الجاه عندهم, وانصرفت نحوهم الوجوه, وخضعت لهم الرقاب, وقصرت عليهم الآمال, وتخطت إليهم من أقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الأمراء"[2]. وقال أحد الشعراء في يحيى[3]:

رأيـــت يحـى أتمّ الله نعتَــــه عليه يأتي الذي لم يأته أحــــدُ

ينسى الذي كان من معروفه أبداً إلى الرجال ولا ينسى الذي يَعِدُ

ويبدو أن الرشيد صار يخشى ما وصل إليه البرامكة من دالة, وما رافق ذلك من زيادة نفوذهم. ويشير اليافعي(تـ768هـ/1366م) إلى تخوف الرشيد منهم لأنه " رأى ...انس النعمة بهم, وكثرة حمد الناس لهم, ورميهم بآمالهم دونه "[4] . ويمكن ملاحظة ذلك من رواية الجهشياري، بأن الرشيد عندما عهد ليحيى البرمكي بالنظر في أمور المتظلمين, رأى صيحة عظيمة عند بابه, فأكبر ذلك فيه, وعندما سمع نفس الضجة بعد سنين أخذ يذم يحيى ويسبه, لأنه رأى أنه استبد بالأمور دونه[5] . ويردّ الكرديزي (تـ442هـ/1050م) سبب ذلك, إلى الرشيد نفسه, لأن هو الذي أطلق أيدي البرامكة وألسنتهم في أمور الدولة كلها [6] .

ويَردّ ابن العمراني(تـ580هـ/1184م) سبب سقوط البرامكة إلى تسلطهم وتغلبهم على الدولة[7] . ويرجح كرد علي أن سبب سقوطهم يعود إلى أن الرشيد خاف على ملكه, لأن الفرس

---

(1). الجهشياري, الوزراء, ص229,228.
(2). ابن خلدون, المقدمة, ص17.
(3). المرزباني, معجم الشعراء, جـ1, ص32.
(4). اليافعي, مرآة الجنان, جـ1, ص419.
(5). الجهشياري, الوزراء, ص226,225.
(6). الكرديزي, زين الأخبار, ص111.
(7). ابن العمراني, الإنباء, ص79.

يحاولون من زمن بعيد أن يعيدوا الملك إليهم, ويخرجوه من صبغته العربية[1] . ويبدو أن صبر الرشيد نفذ في نهاية الأمر مع البرامكة خوفاً من اختلال التوازن في الدولة, نتيجة تصرفات يحيى وأبنائه. وهو نفس الدافع الذي دفع المنصور للإطاحة بأبي مسلم الخراساني سنة 136هـ/753م[2] . إذ كان الرشيد على قدر كبير من الانتباه, والاهتمام بشؤون ملكه " ومن أشد الملوك بحثاً عن أسرار رعيته, وأكثرهم بها عناية, وأحزمهم فيها أمراً "[3] .

ويُذكر أن الرشيد قال لإسماعيل بن صبيح " ايّاك والدالة, فإنها تفسد الحرمة, وتنقض الذمة, ومنها أتي البرامكة "[4] . وفي رواية أن الرشيد- وبعد أن أوقع بالبرامكة- قال للفضل بن الربيع, وكان قد قام بالأمر بعدهم, ايّاك والدّالة على الملوك فأن البرامكة أصيبوا منها[5]. مما يوحي بأنها كانت سبباً هاماً في سقوط البرامكة, إذ كان الرشيد يشكو من توسع نفوذهم [6] .

يبدو أن تقلّد البرامكة بعض الوظائف المالية, كالنظر في بيت المال, والإشراف على ديوان الخراج[7] , والإشراف على السكة, سمح لهم **بالتصرف في أموال الدولة**, وأنفقوا منها دون حساب, إضافة إلى أنهم قيّدوا الرشيد في الإنفاق منها, يقول ابن خلدون" إنما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة, واحتجانهم أموال الجباية, حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه"[8] . ويذكر المسعودي أن سبب نكبة البرامكة احتجانهم للأموال[9]. وترد عند الجهشياري إشارات تبين مدى سيطرة البرامكة على الناحية المالية, حيث يقول " وكان البرامكة قد فارقوا الرشيد على شيء يطلقونه له من المال للحوادث سوى نفقاته, وما يحتاج إليه هو

---

[1]. محمد كرد علي, الإسلام والحضارة العربية , جـ2, ص213.
[2]. الطبري, تاريخ, جـ7, ص481.
[3]. ن. م. جـ8, ص347.
[4]. الثعالبي, الإعجاز والإيجاز, ص51. الحصري, زهر الآداب, جـ1, ص226.
[5]. الدواداري, كنز الدرر, جـ9, ص311.
[6]. الجهشياري, الوزراء, ص226,225.
[7]. ن. م. ص281,178.
[8]. ابن خلدون, المقدمة, ص17.
[9]. المسعودي, مروج, جـ4,ص233.

وعياله" , وأنه طلب من جعفر البرمكي عشرة آلاف درهم, فلم يبعث له إلا نصفها[1] . ويقول الدميري (تـ808هـ/1405م) " وقيل إنما قتل الرشيد جعفراً لأنه كان قد حاز ضياع الدنيا لنفسه, وكان الرشيد إذا سافر لا يمر بضيعة إلا قيل هذا لجعفر, فلم يزل كذلك حتى جنى جعفر على نفسه"[2] .

ويروي الجهشياري أن الرشيد, قبل أن يأمر بقتل جعفر, أخذ يعاتب يحيى البرمكي بأنه طلب مرةً منه مليون درهم , وكان قد ورد من فارس ستة ملايين درهم, فلم يجب طلبه, وأخذ يحيى منها مليوناً ونصف وفرّقها بين عماله[3] . وكان وارد الدولة بلغ في عهد الرشيد ما يقرب من (530,312,000) درهماً[4] , كما أشارت إلى ذلك قائمة عمر بن مطرِّف الكاتب, التي رفعها إلى يحيى البرمكي- في مطلع عهد الرشيد - وشملت الأموال العينية والنقدية[5] . ويذكر الطبري أن الرشيد مات وفي بيت المال أكثر من تسعمائة مليون درهم [6] , في إشارة إلى قوة الوضع المالي للدولة.

وامتلك البرامكة الضياع ونافسوا الرشيد في الأبَّهة والجاه, وقد روى الجهشياري أن يحيى ابن خالد قال لولديه الفضل وجعفر " لاشيء أبقى من البناء, فاتخذوا منه ما يبقي لكم ذكراً " [7]. وقيل أن جعفر البرمكي أنفق على بناء قصر له عشرين مليون درهم[8], فقال له إبراهيم بن المهدي عندما رأى داره هذه, وكان صديقاً لجعفر, أن فيها عيباً " والذي يعيبها عندي أنك أنفقت عليها نحواً من عشرين ألف ألف درهم, وهو شيء لا آمنه عليك غداً بين يدي أمير

---

(1). الجهشياري, الوزراء, ص250,249.
(2). الدميري, حياة الحيوان, جـ2, ص128. ابن كثير, البداية والنهاية , جـ10, ص189.
(3). الجهشياري, الوزراء, ص243.
(4). ن.م. ص288.
(5). ن.م. ص285.
(6). الطبري, تاريخ, جـ8, ص364.
(7). الجهشياري, الوزراء, ص216.
(8). الطبري, تاريخ, جـ8, ص291. ابن كثير, البداية والنهاية, جـ10, ص189.

المؤمنين "[1] . وقد رُفع إلى الرشيد ذلك وقيل هذه غرامة في دار, فما ظنك بنفقاته وصلاته وغير ذلك؟ فاستعظمه الرشيد [2] . وفي رواية أن جعفراً قال بعد الانتهاء من بناء القصر" إن بقي لي فهو قصر جعفر, وإن شَره السلطان في وقت من الأوقات فهو قصر جعفر, وإن مضت عليه الأيام فهو قصر جعفر, ويبقى اسمه وذكره "[3] . وهذه الأموال التي أنفقها البرامكة تلفت النظر, إذ أنهم لم يكونوا أصحاب ثروة طائلة قبل الرشيد, فيذكر الطبري في أحداث 158هـ/774م, أن المنصور طلب من خالد بن برمك أن يسدد ما نقص في دفاتر فارس وقيمته ثلاثة ملايين درهم[4] , ولم يكن عنده منها إلا سبعة مائة ألف درهم, فهدده المنصور بالقتل إن لم يسدد ما عليه, وقد تبرعت الخيزران بجزء منه, وسمح المنصور بالباقي[5] .

ويذكر الجهشياري أن يحيى بن خالد لما شعر بتغير الرشيد, شاور في أمره صديقاً له من الهاشميين, فقال هذا " إن أمير المؤمنين قد أحب جمع المال, وقد كثر ولده, فأحب أن يعتقد لهم الضياع, وقد كُثِّر على أصحابك عنده, فلو نظرت لِما في أيديهم من ضياع وأموال, فجعلتها لولد أمير المؤمنين وتقرّبت بها إليه, رجوت لك السلامة ", لكن يحيى لم يرض بذلك [6] , وردّ عليه: " لأن تزول عني النعمة أحب إليّ من أن أزيلها عن قوم كنت سبباً لهم"[7] . وذكر الجهشياري أن الرشيد قال لمسرور الخادم أن البرامكة " قد نهبوا مالي وذهبوا بخزائني "[8] . وعندما سأل الرشيد مسروراً عما يقول الناس بعد سقوط البرامكة قال: يقول الناس : إنك لم تفِ لهم, وأنك طمعت في أموالهم, فأكّد الرشيد أن ما أخذ منهم من ضياع ما هي إلا ماله[9]. وفي رواية أن الأصمعي أنشد شعراً أمام الرشيد, فأراد أن يعطيه من بيت المال, فقال لمسرور, كم في بيت مال السرور(أي بيت

---

[1]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص291. مسكويه, تجارب الأمم, جـ3, ص531. خواندمير, دستورالوزراء, ص172,171.
[2]. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ6, ص344.
[3]. الجهشياري, الوزراء, ص216.
[4]. الطبري, تاريخ, جـ8, ص54.
[5]. الجهشياري, الوزراء, ص100,99.
[6]. ن. م. ص227. المسعودي, مروج, جـ4, ص257.
[7]. الجهشياري, الوزراء, ص227.
[8]. ن. م. ص242.
[9]. ن. م. ص243.

المال الخاص) ؟ قال: ليس فيه شيء, فقال عيسى بن جعفر, هذا بيت الحزن, فاغتم الرشيد لذلك[1]

.

عاش البرامكة عيشة قوامها البذخ والإسراف وحب الظهور, وأغدقوا الأموال على الشعراء والعلماء, ولم يردّوا قاصداً, فالمال كان وسيلة للدعاية عندهم. ويُذكر أن الفضل بن يحيى أعطى محمد بن إبراهيم مليون درهم لدْين لحقه[2] ، وأعطى جعفر بن يحيى مروان بن أبي حفصة ثلاثين ألف درهم لقاء أبيات من الشعر [3] . ويذكر الأصبهاني أن مروان بن أبى حفصة شكا إلى بعض أخوانه تغيّر الرشيد عليه, وامساك يده عنه, وقال : أن أبان بن عبد الحميد اللاحقي أخذ من البرامكة بقصيدة قالها, مثل ما أخذته من الرشيد في دهري كله[4] . وكان الشاعر الرقّاشي يمدح الرشيد, إلا أنه كان مختصاً بآل برمك, لأنهم أغنوه عمن سواه, فكان كثير التعصب لهم [5] , وهناك الشاعر العتّابي الذي كفاه البرامكة ذل المسألة وحيرة الطلب[6] , وإسحاق الموصلي الذي وهبه يحيى البرمكي مائة ألف درهم لشراء ضيعة[7] . وكتاب المستجاد للتنوخي(تـ384هـ/994م) زاخر بالروايات التي تتحدث عن كرم البرامكة[8].

كان الرشيد ينظر بشيء من الشك لثروة البرامكة وإفراطهم في العطايا، خصوصاً عندما احتاج إلى مبلغ من المال فاستكثروه [9]، وإن كانت الإشارة إلى ثروتهم تحتاج إلى شيء من التحفظ، لكن الأموال التي صُرفت على قصورهم تلفت النظر، يقول اليعقوبي " وقد تشبه بالرشيد وزراؤه البرامكة، فلم يبق أحد منهم إلا بنى بمكة داراً، وبالمدينة داراً، وبطرسوس داراً تشبهاً به،

---

(1). ابن عساكر, تاريخ دمشق, جـ73, ص 308.
(2). الجهشياري, الوزراء, ص195. التنوخي، المستجاد ، ص136،137. ابن حمدون, التذكرة الحمدونية, جـ2, ص117,116. ابن طباطبا, الفخري, ص203.
(3). الأصبهاني, الأغاني, جـ18, ص228.
(4). ن. م. جـ23, ص155.
(5). المرزباني , معجم الشعراء, ص183.
(6). ن. م. ص220,219.
(7). الأصبهاني, الأغاني, جـ5, ص180.
(8). التنوخي، المستجاد ، ص 90-193، 183،139،152،249،250،252 .
(9). الطبري، تاريخ، جـ9، ص126.

وعملاً بمثل عمله "[1]. ويقول الجهشياري " وبنى يحيى بن خالد قصراً يُعرف بقصر الطين، ثم بنى فيه الفضل بن يحيى وجعفر بن يحيى قصرين، كانا يُعرفان بهما "[2] . إضافة إلى منازلهم بالخلد والشَّمَّاسيَّة[3] .

وظهر نفوذ البرامكة في الأمور المالية, حين شاركوا الخليفة في عطاياه وصلاته, فقد ضرب جعفر بن يحيى دنانير للصلات قيمة كل دينار مائة دينار ودينار, ويذكر الخطيب البغدادي أنه وُجد عند جعفرَ بعد سقوط البرامكة منها, أكثر من ألف قطعة[4] .

ويبدو أن تحكم البرامكة بالأموال, كان من الأسباب الهامة التي دفعت الرشيد إلى عزلهم, فقد استنكر منهم احتجانهم للمال وتبذيرهم لأموال الدولة. قال المسعودي (تـ346هـ/957م) " فاحتازوا الأموال دونه"[5] , حتى أنهم نافسوا الرشيد في عطاياه, ففي رواية أن جعفراً قال للرشيد: يا أمير المؤمنين, قال لي أبي يحيى, إذا أقبلت الدنيا عليك فأعطِ, فأنها لا تفنى, وإذا أدبرت عنك فأعطِ, فإنها لا تبقى, وكان يحيى ينشد[6] :

لا تبخلنَّ بدنيا وهي مقبلـــــــة فليس يُنِقصُها التبذير والسَـرَفُ

فإن تولَّت فأحرى أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خَلَفُ

ويذكر أن الرشيد حج سنة186هـ/802م, ومعه يحيى بن خالد وولداه الفضل وجعفر, فلما وصلوا إلى المدينة جلس الرشيد ومعه يحيى, فأعطيا الناس, وكذلك الأمين ومعه الفضل, والمأمون ومعه جعفر, فأعطوا في تلك السنة ثلاث أعطيات, وكان الناس يسمونه عام الأعطيات الثلاث[7].

---

(1). اليعقوبي، مشاكلة الناس لزماتهم ، ص25.
(2). الجهشياري، الوزراء، ص189.
(3). ن. م. ص195.
(4). الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ7, ص167.
(5). المسعودي, مروج ,جـ4, ص264.
(6). ابن عساكر, تاريخ دمشق, جـ72, ص175.
(7). الأصبهاني, الأغاني, ج 18, ص 201.

أمر الرشيد بحجز أموال البرامكة, وممتلكاتهم, ففي الليلة التي قتل فيها جعفر, " أخذ كل ما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم, وولاة أمورهم"[1], وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع [2]. ويروي المسعودي عن الخليل بن الهيثم الشعبي الموكّل بحبس يحيى والفضل, أن مسروراً ومعه جماعة من الخدم حضروا إلى السجن, وسأل مسرور الفضل عن أموالهم,(وذلك بعد مصادرتها) وقال له" إنَّ أمير المؤمنين يقول لك: إني قد أمرتك أن تصدقني عن أموالكم... وقد صحَّ عندي أنك بقيت لك أموالاً كثيرة, وقد أمرت مسروراً إن لم تطلعه عليها, أن يضربك مائتي سوط"[3] , وقيل مائة سوط[4]. وجاء رد الفضل بن يحيى" أنت تعلم يا أبا هاشم, أني كنت أقي عرضي بمالي, فكيف أقي مالي بنفسي في هذا الوقت؟ والله ما عندي شيء, ولو كان عندي, ما سترته ولا وَرَّيت (أخفيته) "[5].

وجاء في الإمامة والسياسة أن الرشيد عهد لسهل بن هارون بتولي ما كان بيدي يحيى من الدواوين, وأمره بقبض أموال البرامكة, فاستدعاه وقال له" قد أحللتك محل يحيى, ووهبتك ما ضمنته أفنيته, وما حواه سُرادقه, فاقبض الدواوين واحص جباءه, وجباء جعفر لنأمرك بقبضه"[6], وانفرد صاحب الإمامة والسياسة بذكر مقدار جباية البرامكة سنوياً, وأنها بلغت عشرين مليون دينار[7] . ورغم المبالغة الواضحة في المبلغ, إلا أنّ فيه إشارة إلى مدى غنى البرامكة. ثم أرسل الرشيد مسروراً والحسن الخادمين, وأبا صالح يحيى بن عبد الرحمن الكاتب, وإبراهيم بن حُمَيد الكاتب, وكان من كتَّاب البرامكة[8], فقبضت أموالهم وعقاراتهم وضياعهم[9], ووجد من العشرين

---

(1). الكندي, أخبار الدول, جـ 1, ص 25.
(2). الطبري, تاريخ , جـ 8, ص 296.
(3). المسعودي, مروج, جـ 4, ص 257. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ 4, ص 33.
(4). ابن كثير, البداية والنهاية, جـ 10, ص 228.
(5). الجهشياري, الوزراء, ص 244. المسعودي, مروج, جـ 4, ص 257.
(6). الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة, ص 201. ابن عبدربه , العقد الفريد, جـ 5, ص 61.
(7). الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة, ص 201. ابن عبدربه , العقد الفريد, جـ 5, ص 61.
(8). ابن النديم, الفهرست, ص 179.
(9). الجهشياري, الوزراء, ص 235.

مليوناً(كما زعم) التي كانت مبلغ جبايتهم, اثنا عشر مليوناً [1], وأن مقدار ما قبضه الرشيد من أموالهم, بلغ ثلاثين مليوناً وستين ألفاً بالإضافة " إلى سائر ضياعهم وغلاتهم ودورهم ورباعهم ورياشهم, والدقيق والجليل من مواعينهم, فإنه لا يصف أقله, ولا يعرف أكثره, إلا من أحصى الأعمال, وعرف منتهى الآجال"[2] . وعندما سأل الرشيد مسروراً الخادم عما وجده من أموال البرامكة, قال: وجدت أكثر أموالهم على شكل ضياع وجوهر, بينما أنفقوا أكثر الدراهم في المكارم[3] . وفي رواية أنه لم يجد ليحيى إلا خمسة آلاف دينار, وللفضل إلا أربعين ألف دينار, ولم يجد لجعفر ولا لأخيه موسى شيئاً, ووجد لمحمد بن يحيى سبعماية ألف درهم[4]. والتناقض واضح بين مادح وقادح .

وذهب البعض من المتأخرين إلى أنه لم يكن من الأسباب ما يوجب الإيقاع بالبرامكة, غير **طول أيامهم**, والملل منهم, يقول اليافعي(تـ 768هـ/1366م) " ما كان من البرامكة جناية توجب غضب الرشيد, ولكن طالت أيامهُمُ, وكل طويل مملول"[5]. وسئل سعيد بن سالم عن جناية البرامكة, فقال: ما كان منهم بعض ما يوجب ما عمل الرشيد بهم, ولكن طالت أيامهم وكل طويل مملول[6]. وجاء عند الجهشياري أن يحيى البرمكي عندما شعر بتغير الرشيد عليه, وأنه أخذ يذمه ويسبه عندما سمع الضجة على بابه, وهو ينظر في أمور المتظلمين, قال : " انه لم يكن مني في هذه الحال التي ذمني فيها شيء لم يكن مني في ذلك الوقت الذي احمدني فيه, ولكن المدة إذا آذنت بالانقضاء جعلت المحاسن مساويء "[7]. مما يوميء إلى أن نهاية البرامكة قربت.

---

(1). الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة, ص 202.
(2). الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، ص202. ابن عبد ربه , العقد الفريد, جـ 5, ص 62.
(3). الجهشياري, الوزراء, ص 242.
(4). ن. م. ص 241. الكتبي, غرر الخصائص, ص 409.
(5). اليافعي, مرآة الجنان, جـ 1, ص 419.
(6). الذهبي, تاريخ الإسلام, جـ 12, ص 31. ابن خلكان, وفيات الأعيان, جـ 1, ص 335.
(7). الجهشياري, الوزراء, ص 226.

ولا يمكن اعتبار هذا سبباً حقيقياً لنهايتهم, لأن الرشيد بدأ يراقبهم منذ زمن بعيد, ويمكن القول أن بقاءهم لفترة طويلة في الوزارة, ساهم في زيادة نفوذهم وتسلطهم, وعزّز أسباب التخلص منهم.

إن ما أشيع عن ميل البرامكة للفرس, ساهم في اتهامهم عند أغلب المؤرخين **بالزندقة**, وجعل ذلك سبباً من أسباب سقوطهم[1]. ففي رواية أنه عندما نُقل الفضل بن يحيى من محبس إلى آخر, وقف أحد العامة ودعا عليه, فظن الفضل أنه لحقه منهم ظلم, فلما استعلم عن أمره, عرف أن الرجل يقول: " إنّ هؤلاء كلهم زنادقة" [2] . ويعطي الجومرد دوراً كبيراً لنزعة البرامكة الفارسيّة كسبب من أسباب نهايتهم[3].

ويرى الرفاعي, أن من أسباب سقوط البرامكة, أنهم كانوا متأثرين بالناحية السياسية **لمذهب المعتزلة**[4]. ولعله تأثر بما ذكره المسعودي, من أن يحيى البرمكي, كان يعقد في بيته مجلساً يحضره أهل البحث والنظر[5], ومنهم محمد بن الهذيل العلاف شيخ البصريين, وهو معتزلي المذهب[6], لكن لم يرد أنه كان ليحيى آراء أو ميول مؤيدة للإعتزال.

وكان **للوشاية**[7] دور في سقوط البرامكة, إذ حاول خصومهم انتهاز كل فرصة من شأنها إثارة شكوك الرشيد في تصرفاتهم, وإيغار صدره عليهم, فظهر تكتل معادٍ للبرامكة ولسياستهم في

---

(1). انظر الفصل الثالث، ص137 - 141. وابن قتيبة, المعارف, ص 382. البغدادي, الفرق بين الفِرَق, ص 250. ابن الجوزي, المنتظم, جـ 9, ص 133.
(2). الجهشياري, الوزراء, ص 259.
(3). الجومرد، هارون الرشيد، ص387-391.
(4). الرفاعي , عصر المأمون, جـ 1, ص 158.
(5). المسعودي, مروج, جـ 4, ص 370.
(6). ن . م. جـ 4, ص 370, 371.
(7). انظر الفصل الثالث، ص130 - 135.

بلاط الرشيد, وكان أبرز من يمثله الفضل بن الربيع[1], إضافة إلى زبيدة زوجة الرشيد التي صارت تكره البرامكة[2] .

كان للفضل بن الربيع دور في السعاية بالبرامكة عند الرشيد, ويعطي الجهشياري (تـ331هـ/942م) الفضل بن الربيع دوراً بارزاً في زوال البرامكة, ويقول" فمن أسباب زوال أمر البرامكة, تقصيرهم بالفضل بن الربيع"[3]. ولكن الخطيب البغدادي (تـ463هـ/1070م) [4] لا يشير إلى دور للفضل كسبب من أسباب سقوط البرامكة. بينما يعطي بعض المصادر المتأخرة الوشاية أهمية كبيرة في زوال البرامكة، فابن خلكان (تـ681هـ/1282م) يورد روايات تجعل الفضل بن الربيع سبباً لزوالهم، وأن هناك من كان يحذّر الرشيد من تسلطهم[5]. وجاء في الفخري (تـ709هـ/1309م) " أن أعداء البرامكة مثل الفضل بن الربيع, ما زالوا يسعون بهم إلى الرشيد, ويذكرون له استبدادهم بالملك, واحتجانهم للأموال, حتى أوغروا صدره, فأوقع بهم "[6]. ويقول اليافعي(تـ768هـ/1366م) " ولاذ قوم من أعدائهم بالرشيد, كالفضل بن الربيع"[7]. ويعطي البعض للوشاية دوراً كبيراً في تأليب الرشيد ضد البرامكة [8] .

وكان إلى جانب الفضل بن الربيع علي بن عيسى بن ماهان, الذي تولى خراسان سنة 183ه/799م [9], وكان يحيى البرمكي ينبه الرشيد على تجاوزات علي بن عيسى بن ماهان المالية في خراسان, لكن الرشيد لم يكن يستمع له[10]. ويبدو أن علي بن عيسى بن ماهان أدرك خطر البرامكة, ودورهم في السعاية به, فوشي بموسى بن يحيى البرمكي, واتهمه بالتآمر مع أهل

---

(1). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 289.
(2). اليافعي, مرآة الجنان, جـ 1, ص 417.
(3). الجهشياري, الوزراء, ص 253.
(4). الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, جـ12, ص340,339.
(5). ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ1، ص335.
(6). ابن طباطبا, الفخري, ص 209.
(7). اليافعي, مرآة الجنان, جـ 1, ص 419.
(8) EL - Hibri, Reinterpreting Islamic Historiography, p.45.
(9). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 314.
(10). الجهشياري, الوزراء, ص 228.

خراسان ضد الرشيد[1]. ويرى البعض أن لعلي بن عيسى بن ماهان, دور كبير في الإيقاع بالبرامكة, وفي رواية أنه وُجد على بابه بعد مقتل جعفر هذين البيتين [2] :

إن المساكين بنو برمك صُبَّت عليهم نوب الدهر

إن لنا في أمرهم عبرة فليعتبر صاحب ذا القصر

وكان لبعض رجال الأدب أثر في الوشاية بالبرامكة, فقد اتهمهم الأصمعي بالزندقة, والميل للمجوس[3]. ويقول ابن خلدون أنه " في محاورة الأصمعي للرشيد وللفضل بن يحيى في سمرهم تتفهّم أنه إنما قتَلتْهم الغيرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة فمن دونه وكذلك ما تحيَّل به أعداؤهم من البِطانة فيما دسُّوه للمغَنـِّين من الشـِّعر احتيالاً على إسماعه للخليفة, وتحريك حفائظه لهم وهو قوله[4] :

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما نجـــد

واستبدّت مرَّة واحـــــدة إنما العاجزُ من لا يســتبد

ولما سمعها الرشيد قال : إي والله إني عاجز, حتى بعثوا بأمثال هذه كامن غيرته, وسلـّطوا عليهم بأس انتقامه"[5].

وجاءت رسالة محمد بن الليث إلى الرشيد تذكره بواجباته, وتدعوه لوضع حد لاستفحال أمر البرامكة, جاء فيها " أن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئا, وقد جعلته فيما بينك وبين الله, فكيف أنت إذا وقفت بين يديه فسألك عمّا عملت في عباده وبلاده, فقلت: يا ربّ إني استكفيت

---

[1]. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 293. ابن الأثير, الكامل, جـ 6, ص 177.
[2]. الكتبي, غرر الخصائص, ص 150.
[3]. الجاحظ, البيان والتبيين, جـ 3, ص 350. ابن قتيبة, المعارف, ص 382.
[4]. ابن خلدون, المقدمه , ص 18.
[5]. ن. م. ص 18, 19.

يحيى أمور عبادك! أتراك تحتج بحجة يرضى بها"[1] . ورغم أن يحيى البرمكي تمكن من إقناع الرشيد بعداء محمد بن الليث للإسلام, فسجنه الرشيد على أثر ذلك؛ إلا أنه كان لهذه الرسالة أثر في الإيقاع بالبرامكة, فعلى أثرها أخذ الناس يكثرون الحديث عنهم؛ يقول الطبري" وكان ذلك أوّل ما ظهر من تغيّر حالهم"[2].

وصار الرشيد يتلقى رقاعاً دون توقيع تصور خطورة الحال, ومن أمثلة ذلك تلك الرقعة الشعرية التي تقول[3] :

قل لأمين الله في أرضـــه   ومن إليه الحل والعقد

هذا ابن يحيى قد غدا مالكاً   مثلك ما بينكما حـــد

أمرك مردود إلى أمـــره   وأمره ليس لــــه رد

ونحن نخشى أنــــه وارث   ملكك إن غيَّبك اللحـد

وانقلب على البرامكة بعض أعوانهم وأصدقائهم, وكان يحيى بن خالد يقول أبداً : ما أريد الدنيا إلا لثلاثة : جعفر بن محمد بن الأشعث, وعلي بن عيسى بن يزدانيروذ, ومنصور بن زياد, وكلهم انقلب عليه, وأساء به, فلقي يحيى وأسبابَه منهم ما يكرهون [4] .

وقد تنبه ابن خلدون لدور الوشاية في سقوط البرامكة, وأنه بسبب نبوغ البرامكة وبُعد صيتهم, قال " فكشفت لهم وجوه المنافسة والحقد ودبَّت إلى مهادهم الوثير من الدولة, عقارب السعاية..."[5]. وعندما سأل عبيدالله بن يحيى بن خاقان أيام المتوكل, مسروراً الخادم عن سبب

---

[1]. الطبري, تاريخ, ج 8, ص 288.
[2]. ن. م. ج8, ص288.
[3]. ابن خلكان, وفيات الأعيان, ج 1, ص335. الذهبي, تاريخ الإسلام, جـ 12, ص 31, الدميري, حياة الحيوان, ج 2, ص 128. القرماني, أخبار الدول, ص 150. ابن العماد, شذرات الذهب, ج 2, ص 392.
[4]. الجهشياري, الوزراء، 193.
[5]. ابن خلدون, المقدمة, ص 17, 18.

سقوط البرامكة قال: انه من مَلَل موالينا وحسدهم[1]. ويقول الكرديزي بأن الرشيد" جفاهم وتغير عليهم بمقولة الأعداء"[2].

ـ التأثير

يندفع بعض المتأخرين بالقول بأن الرشيد حرّم على الشعراء أن يرْثوا البرامكة, وأمر بالمؤاخذة على ذلك[3], ويضيف خواندمير(تـ942هـ/1535م) " وأن لا يسجل إنسان مآثرهم وعطاياهم"[4]. والأرجح أن الشعراء تركوا ذكرهم, إلا من كان مختصاً, بهم وهم قلة. ويعلل بوفا ذلك لما أغدقه البرامكة عليهم من الأموال[5] . وكتب الأدب حافلة بالمبالغات عن نهاية البرامكة[6] , وكلما مرَّ الزمن كلما توسعت حتى وصلت نهايتها عند الإتليدي المتأخر (تـ1100هـ/1688م) .

ويلاحظ أن ما قيل في البرامكة من شعرٍ احتوى على المدح والرثاء, يعود إلى أنهم عرفوا كيف يقرّبون الشعراء, ويغدقون عليهم الأموال[7]. وفي رواية يذكرها ابن حمدون (تـ562 هـ/1166م) وهو متأخر, أن أبا نواس, الذي كان يكرههم, وكان مائلاً إلى الفضل بن الربيع, جزع عليهم, وبكى جعفراً[8]. ويبدو أن نظرة الرشيد لجعفر كانت أكثر غموضاً من يحيى وابنه الفضل، فلا غرابة إن وجد من يبريء ساحته من كل تهمة [9].

---

[1]. الجهشياري, الوزراء, ص 254.

[2]. الكرديزي, زين الأخبار, ص 111.

[3]. ابن طباطبا, الفخري, ص 199. خواندمير, حبيب السير, ص 243.

[4]. خواندمير, دستور الوزراء, ص 175.

[5]. Bouvat,Les Barmacidec,p.96

[6]. انظر , الأصبهاني, الأغاني, جـ 16, ص 249. ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ 4, ص 448. ابن المعتز, طبقات الشعراء, ص 421.

[7]. الأصبهاني, الأغاني, جـ 2, ص 336. ابن عبد ربه, العقد الفريد, جـ 4, ص 448. ابن المعتز, طبقات الشعراء, ص 421.

[8]. ابن حمدون, التذكرة الحمدونية, جـ 2, ص 94.

[9]. انظر، الجهشياري، الوزراء، ص256.

ويشار إلى أن الرشيد أراد إبعاد كل من له علاقة بالبرامكة, لا كما تذكر بعض المصادر بأنه ندم على ما حلَّ بهم[1] , إذ يذكر الجهشياري أن الرشيد أراد أن يستعمل قوما لم يعملوا معهم, فقلّد محمد بن أبان خراج الأهواز وضياعها, وقلّد علي بن عيسى بن يزدانيروذ خراج فارس وضياعها, وولّى الفيض بن أبي الفيض الكسكري, خراج كسكر وضياعها, وولّى الخصيب بن عبد الحميد مصر وضياعها[2]. وهؤلاء جميعاً لم يكونوا من أتباع البرامكة.

حلّ الفضل بن الربيع محل البرامكة, رغم أن الطبري لا يطلق عليه لقب وزير, وكذلك الجهشياري, الذي يذكر بأنه" اختص بخدمة الرشيد في بلاطه, والإشراف على شؤونه الخاصة" ولما حج الرشيد سنة 188هـ/803م, كان " المدِّبر لأمره الفضل بن الربيع"[3], في إشارة إلى إشرافه على شؤون الدولة. ويقول وكيع (تـ306هـ/918م)، و" كان الفضل بن الربيع يقوم بأمره ـ أي الرشيد "[4] ، في حين أن ابن قتيبة (تـ276هـ/889م) لا يذكره وزيراً إلا زمن الأمين [5] . وأما الخطيب البغدادي (تـ463هـ/1070م) فلا يشير إلى أنه كان وزيراً ، ويكتفي بالقول بأنه " كان حاجب هارون الرشيد " [6]. بينما نجد صاحب الفخري الذي عُني في كتابه بالحديث عن الوزراء, يطلق عليه لقب وزير, فيقول " ثم استوزر الرشيد بعد البرامكة الفضل بن الربيع " ويضيف في موقع آخر" فلما نكب الرشيد البرامكة, استوزره بعدهم... وما زال الفضل بن الربيع على وزارته إلى أن مات الرشيد بطوس "[7] . ويقول السيوطي" وبعد نكبة البرامكة استوزر الرشيد الفضل بن الربيع بن يونس"[8]. ويقول خواندمير" وعينه الرشيد في منصب الوزارة "[9]. ويبدو أن المصادر هذه التي لقّبت الفضل بن الربيع بالوزير, استندت إلى ما كان يقوله الناس في

---

[1]. انظر , الأصبهاني, الأغاني, جـ18, ص303. ابن الجوزي, المنتظم, جـ 9, ص135. الإربلي , خلاصة الذهب المسبوك, ص148. ابن كثير, البداية والنهاية,جـ10, ص192.
[2]. الجهشياري, الوزراء, ص 254.
[3]. ن. م. ص 269.
[4]. وكيع ، أخبار القضاة، جـ2، ص150.
[5]. ابن قتيبة، المعارف، ص384.
[6]. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـ12، ص339.
[7]. ابن طباطبا, الفخري, ص 210, 211.
[8]. السيوطي , حسن المحاضرة, جـ 2, ص 195.
[1]. خواندمير, دستور الوزراء, ص177.

بغداد, بأنه الوزير المنتظر بعد البرامكة, فقد أخبر إسحاق الموصلي الرشيد, بأن الناس يتحدثون بتولي الفضل بن الربيع الوزارة بعد القبض على البرامكة [1], وفي هذا دلالة على أنه كان المتنفذ في أواخر أيامهم . ويتناول سورديل الفضل بن الربيع في كتابه عن وزراء الدولة العباسية، ويرى أنه تمتع بصلاحيات كثيرة بعد سقوط البرامكة[2] ، إذ بدأ الرشيد يسند إليه بعض المهام منذ وفاة الخيزران سنة 173هـ/789م، فقلّده ديوان الخاتم[3]، ثم الحجابة سنة 179هـ/ 795م[4]، في محاولة لإيجاد نوع من التوازن مع سلطة البرامكة. ويرى الجومرد أن الفضل بن الربيع كان وزير تفويض للرشيد, دون أن يحدد الجومرد الصلاحيات التي تمتع بها الفضل[5]. ويرى البعض بأن الفضل بن الربيع تولى الوزارة بعد البرامكة, غير أنه لم يتمتع بمثل ما تمتع به البرامكة من صلاحيات [6] , وهذا أقرب إلى الواقع .

والظاهر أن الفضل بن الربيع كان خلفاً ليحيى البرمكي, فعهد إليه الرشيد الإشراف على بعض الدواوين؛ فاختصه بنفقاته وتدبير أموره كما يذكر الجهشياري [7] . ويلاحَظ أن بعض الدواوين عهد بها إلى بعض الشخصيات, فكان إسماعيل بن صبيح, مختصاً بديوان الرسائل, وديوان السر, وديوان الضياع, وديوان الصوافي[8], مما دعا اليعقوبي إلى وضع الفضل بن الربيع وإسماعيل بن صبيح في مرتبة واحدة, يقول " وكان الغالب على الرشيد يحيى بن خالد بن برمك, وجعفر والفضل ابناه, صدراً من خلافته... فأقاموا على تلك الحال وأمور المملكة سبع عشرة سنة, ثم كان الفضل بن الربيع يغلب عليه, وإسماعيل بن صبيح "[9]. وفي رواية اليعقوبي إشارة إلى أن يحيى البرمكي وهو وزير الرشيد، لم يكن ينفرد بالصلاحيات كافة، بل كان إلى جانبه الفضل

---

[2]. الأصبهاني, الأغاني, جـ 5, ص 398.
[3]. Sourdel, Le Vizirat Abbaside, vol,1, p . 186

[4]. الطبري، تاريخ، جـ8، ص238.
[5]. الجهشياري، الوزراء، ص273. الطبري، تاريخ ، جـ8، ص289.
[6]. الجومرد, هارون الرشيد, ص427.
[7]. نابيا ابوت, ملكتان في بغداد, ص 182.
[8]. الجهشياري, الوزراء, ص 277.
[9]. ن . م. ص 277.
[1]. اليعقوبي, تاريخ, جـ 2. ص 429.

وجعفر ابناه؛ فالفضل كان على ديوان الخاتم وهي وظيفة مستقلة[1]، وتقلّدها بعده جعفر[2]، الذي أشرف أيضاً على دور الضرب[3]. ويعطي المسعودي أهمية كبيرة لإسماعيل بن صبيح ويضعه بموازة الفضل بن الربيع, ويقول " وغلب عليه- الرشيد- الفضل بن الربيع وإسماعيل بن صبيح إلى أن مات"[4]. فعندما جدد الرشيد البيعة لأبنائه سنة 188هـ/803م, أمر إسماعيل بن صبيح أن يكتب إلى جميع العمال بما عقده بين ولده[5], وعندما شخص الرشيد سنة 192هـ/807م لقتال رافع بن الليث, شخص معه إسماعيل بن صبيح [6].

وكان ديوان الخراج بالسواد لسليمان بن عمران, وديوان خراج الشام ومصر وإفريقية والموصل وإرمينية وأذربيجان والمدينة ومكة واليمن, لعلي بن صالح. وكان على ديوان خراج الجزيرة محمد بن إسماعيل بن صبيح[7]. ولكن دواوين الأطراف هذه لم تكن بمعزل عن ديوان الخراج بالمركز, بل تابعة له. إضافة إلى ذلك كانت هناك وظائف عليا في يد البرامكة, أعطيت بعد سقوطهم لأشخاص آخرين غير الفضل بن الربيع, وإسماعيل بن صبيح, فقد أعطيت وظيفة البريد الهامة, التي كان يقول عنها المنصور أنها واحدة من أعمدة الدولة الأربعة [8], لمسرور الخادم, وأعطيت بعده لثابت الخادم[9]. غير أن عدم تقلّد الفضل بن الربيع هذه الوظيفة لا يقلل من دوره، مع الإشارة إلى أن البرامكة تقلّدوا الوزارة سبع عشرة سنة، وهذا وضع استثنائي لم يحصل في الدولة العباسية من قبل.

---

(2). الجهشياري, الوزراء, ص207.
(3). خليفة بن خياط، تاريخ، ص465.
(4). الجهشياري, الوزراء, ص204.
(5). المسعودي, التنبيه والإشراف , ص 315.
(6). الجهشياري, الوزراء, ص 265.
(7). ن . م. ص 273.
(8). ن . م. ص 277.
(9). الطبري, تاريخ, ج 8, ص 67.
(10). الجهشياري, الوزراء, ص 265.

ويظهر أن الرشيد عاد فأشرف بنفسه على السكة, بعدما كانت بيد جعفر البرمكي[1], والمتتبع للكتابات على النقود[2], لا يجد اسم عيسى بن يزدانيروذ, الذي تقلد السكة بعد جعفر يظهر عليها[3], وفي هذا دلالة على أن البرامكة, تمتعوا بميزات لم يتمتع بها من تولى الوظائف بعدهم.

وهكذا اتخذ سقوط البرامكة أهمية خاصة عند أغلب المؤرخين, ولم يروا له مثيلاً في التاريخ الإسلامي[4]. وهذا مفهوم بضوء وضعهم الفريد وطول فترة وزارتهم .

وصوّرت بعض الروايات سقوط البرامكة (بالنكبة)[5], وأطلق عليها البعض الفاجعة[6] . في حين أن الطبري لم يرَ ذلك, واعتبر سقوطهم حدثاً في الدولة, وليس بالنكبة[7] . وتذهب بعض الروايات إلى حصول الخلل في الدولة بعد سقوط البرامكة, يقول الجهشياري " ولما انقضى أمر البرامكة, وحصل التدبير في أيام الرشيد, اختلّت الأمور, وقصد الفضل بن الربيع لحفظ خدمة الرشيد في حضرته, وأضاع ما وراء بابه"[8] . ويقول الكندي(تـ 260هـ/873م)" وساء تدبير الرشيد بعد قبضه على البرامكة"[9]. ويقول المسعودي (تـ346هـ/957م) أنه بعد الإيقاع بالبرامكة " اختلفت أموره ـ الرشيد- بعد البرامكة, وبَان للناس قبح تدبيره وسوء سياسته"[10] . ويرد صدى ذلك في بعض المصادر المتأخرة، مثل الكرديزي (تـ 442هـ/1050م) الذي يشير إلى اختلال أمور المملكة بعد البرامكة [11] . وابن العمراني (تـ 580هـ/1184م) الذي يقول " ثم إن أمور

---

(1). خليفة بن خياط، تاريخ، ص465.
(2). محمد العش, النقود العربية الإسلامية, جـ 1.
Lavoix, Catalogue des Monnaies Musulmanes.
(3). الجهشياري, الوزراء, ص 260.
(4). ن. م. ص 265. المسعودي, التنبيه والاشراف , ص 312. الكرديزي, زين الأخبار, ص 111, 112. ابن العمراني, الإنباء, ص 86.
(5). الجهشياري, الوزراء, ص 265.
(6). نابيا ابوت, ملكتان في بغداد, ص 178.
(7). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 287, 300.
(8). الجهشياري, الوزراء, ص 265.
(9). الكندي, أخبار الدول, جـ 1, ص 25. أبو الحسن الأزدي , أخبار الدول, جـ 2, ص 332.
(10). المسعودي, التنبيه والاشراف , ص 315.
(11). الكرديزي, زين الأخبار, ص 111, 112.

الرشيد بعد البرامكة اضطربت... واختلت أمور الحضرة, وخلت بيوت الأموال "[1]. ويقول الكتبي (تـ764هـ/1362م) بأنه " ساء تدبيره – الرشيد- للملك, وظهر الاختلال في دولته بعدهم"[2].

ويغلب على الباحثين المحدثين نفي هذه الروايات. فيذهب براون إلى أن ما حل من ضعف في الدولة العباسية, ظهر في أواخر البرامكة[3]. ويشير بروكلمان إلى تطور الدولة العباسية زمن الرشيد, وأنها بلغت أوج سلطانها وقوتها, دون أن يحصل فيها أي خلل[4]. ويرى الدوري أن الرشيد أبدى همّة في إدارة الدولة على الصعيدين الإداري والعسكري بعد عزل البرامكة [5]. ويرى الجومرد بأن الرشيد أصبح أكثر يقظة لأمور مُلكه[6].

ولا تبين الروايات التي تشير إلى ضعف الدولة, نواحي هذا الضعف, واكتفى الجهشياري بإيراد رواية تشير إلى إهمال البريد آخر أيام الرشيد, إذ يذكر " أن أمور البريد والأخبار في أيام الرشيد كانت مهملة, وأن مسروراً الخادم كان يتقلد البريد والخرائط, ويخلفه عليه ثابت الخادم, قال: فحدثني ثابت, أن الرشيد توفي وعندهم أربعة آلاف خريطة لم تُفض"[7]. ورواية الجهشياري هذه فيها نظر، إذ أن الرشيد كان سنة 192هـ/807م خارج بغداد لمحاربة رافع بن الليث في الجبهة الشرقية. وأما إشارة ابن العمراني(تـ580هـ/1184م) إلى خلو بيوت الأموال, فتنقضها روايات أقدم, بأن الرشيد توفي وبيت ماله عامراً [8].

وبالمقابل فإن الرشيد, بعد الإيقاع بالبرامكة, سار بنفسه لمحاربة الروم؛ ففي سنة 187ه/802م نقض نقفور ملك الروم الصلح الذي جرى بين المسلمين وايريني ملكة الروم

---

(1). ابن العمراني, الإنباء, ص 86.
(2). الكتبي, فوات الوفيات, ج 3, ص 225, 226.
(3). براون, تاريخ الأدب في ايران , ج 1, ص 316.
(4). بروكلمان, تاريخ الشعوب الإسلامية, ص 185.
(5). الدوري , العصر العباسي الأول, ص136.
(6). الجومرد, هارون الرشيد, ص431.
(7). الجهشياري, الوزراء, ص 265.
(8). انظر، الطبري, تاريخ, جـ8, ص364.

" وكانت تكتب إلى المهدي والهادي والرشيد أول خلافته بالتعظيم والتبجيل"[1], فأرسل نقفور رسالة إلى الرشيد يخبره بعدم إرسال الجزية التي كانت ترسلها ملكتهم المخلوعة ايريني, وعندما قرأ الرشيد الرسالة, أرسل إلى نقفور رسالته المشهورة يتوعده فيها, وأعلن عزمه على قصد الجهاد ضد الروم[2], فجهز جيشاً كبيراً وفتح هرقله سنة 190هـ/805م[3], وقد دخلها في جيش بلغت عدته- فيما قيل – مائة وخمسة وثلاثين ألفاً [4], " فطلب نقفور الموادعة على خراج يؤديه كل سنة"[5].

وأشار البعض إلى ظهور الاضطرابات في ما وراء النهر, بخروج رافع بن الليث بسمرقند سنة 190ه/805م [6] , فعندما استفحل أمره, أرسل الرشيد هرثمة بن أعين على رأس جيش لملاحقته, لكن جيشه هُزم, فقرر الرشيد الخروج بنفسه سنة 192هـ/807م لملاحقة رافع بن الليث[7]. ويعظّم بوفا من أثر هذه الأحداث فيما وراء النهر التي جعلت الرشيد يخرج بنفسه, لما كانت تشكله من خطر على الدولة[8]. إذ أن خروجه هذا يدل على ما كان يتمتع به من عزم وهمّه. وتشير الروايات إلى أن الرشيد توفي في طوس لمرض ألمّ به[9]. وفي رواية أن الرشيد بعد أن حقق رافع بن الليث انتصاراً على هرثمة بن أعين في خراسان, كتب له كتاباً يسأله فيه أن يرجع عما هو عليه, على أن يوليه خراسان, لكن رافعاً أبى ذلك[10], فقرر الرشيد تولي الأمر بنفسه, وقال : والله الذي لا اله إلا هو, لو كان معه عدد نجوم السماء لتلقّطْتُهم واحداً واحداً حتى اقتلهم

---

(1). الأصبهاني، الأغاني، جـ 18, ص 239.
(2). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 308.
(3). ن. م. جـ 8, ص 307-310.
(4). ن. م. جـ 8, ص 320.
(5). ن. م . جـ 8, ص 308.
(6). أبو الحسن الأزدي , أخبار الدول, جـ 2, ص332.
(7). اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 435. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 338.
(8). Bouvat, Les Barmacides, p. 99
(9). الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 341. الجهشياري, الوزراء, ص 273. مجهول, العيون والحدائق, جـ 3, ص 311. ابن الأثير, الكامل، جـ 6, ص 157.
(10). ابن أعثم , الفتوح , جـ 8, ص 279.

عن آخرهم[1], لكن المرض منعه من مواصلة مسيره, فأوكل أمر رافع بن الليث إلى ابنه المأمون. يقول الجهشياري " ولما رأى رافع بن الليث سيرة المأمون, انقاد له, ودخل في طاعته في سنة أربع وتسعين ومئة, فأعطاه الأمان, فصار إليه, فأكرمه"[2].

هذا ولا سند لمن يرى أن خروج الرشيد دليل ضعف الدولة بعد البرامكة [3] , بل أن خروجه بنفسه دليل عزم وتصميم, كما أن خروجه كان سنة 192هـ/807م, بعد خمس سنوات من سقوط البرامكة . ويرى بارتولد أن سقوط البرامكة لم يؤثر كثيراً في الدولة [4]. ويرى الدوري أن ما يشاع من تأثير سقوط البرامكة على الدولة لا يخلو من تحيز, لأن الرشيد أظهر فاعلية في حروبه مع البيزنطيين, وفي خروجه إلى خراسان بعد الإيقاع بالبرامكة[5] .

ويبدو أن سقوط البرامكة زاد في حدة التنافس بين التيار العربي والتيار الفارسي, وظهر هذا أكثر وضوحاً في النزاع بين الأمين والمأمون, فقد كان الخلاف بين الفضل بن الربيع, الذي كان يقف إلى جانب الأمين[6] , وبين الفضل بن سهل الذي كان يتولى أمور المأمون[7] ولم يكن لبني سهل أهمية تذكر زمن الرشيد. والظاهر أن الأمين اعتمد على الفضل بن الربيع قبل توليه الخلافة, عندما كان الرشيد بطوس, فقد بعث برسالة إلى أخيه صالح[8], (وقيل إلى المأمون) [9], جاء فيها" وإياك أن تُنفذ رأياً, أو تُبرم أمراً, إلا برأي شيخك, وثقة آبائك الفضل بن الربيع... وإن أمرت

---

[1]. الجهشياري, الوزراء, ص 274.
[2]. ن. م. ص 279. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 375.
[3]. جويتاين , دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية, ص 97.
[4]. بارتولد, دائرة المعارف الإسلامية, مادة (البرامكة) , مج 3, ص 498.
[5]. الدوري, العصر العباسي الأول, ص 136. وعن حروب الرشيد مع البيزنطيين انظر، الطبري، تاريخ، جـ8، ص307-310.
[6]. الطبري، تاريخ، جـ 8, ص 374.
[7]. الجهشياري, الوزراء, ص 277.
[8]. الطبري، تاريخ، جـ 8, ص 368, 369.
[9]. الجهشياري، ص 276.

لأهل عسكرك بعطاء أو رزق, فليكن الفضل بن الربيع المتولي لاعطائهم على دفاتر يتخذها لنفسه بمحضر من أصحاب الدواوين"[1] .

وبرّر ابن الربيع رجوعه بالجيش من خراسان بعد وفاة الرشيد سنة 193هـ/808م قائلا ً " لا أدع ملكاً حاضراً لآخر لا أدري ما يكون من أمره "[2]. ويقول الجهشياري " وجدّ الفضل بن الربيع في المسير بالعسكر إلى بغداد بجميع ما فيه, ولم يعرّج على المأمون, ولا التفت إليه"[3], وكان المأمون حينئذ بمرو, وكان الفضل بن سهل إلى جانبه، وأشار عليه بعدم اللحاق بهم، وقال للمأمون " إن فعلت هذا لم آمن أن يقبضوا عليك، ويجعلوك هدية إلى محمد"[4]، وأضاف " ولك من شيعتك, وأهل بيتك بطانة"[5]. وحرّض الفضل بن سهل المأمون على قتال أخيه الأمين. يقول المسعودي" وقوّى الفضل بن سهل ذو الرئاستين عزمه على محاربته"[6]. وأصبحت ولاية العهد بذرة الخلاف بين الأخوين, وقد لعب الفضل بن الربيع في ذلك دوراً هاماً, حسب قول اليعقوبي " فأفسد قوم قلب محمد على المأمون, وأوقعوا بينهما الشر, وكان الذي يحرّضه علي بن عيسى بن ماهان, والفضل بن الربيع, وزيّنا له أن يبايع لإبنه بولاية العهد من بعده, ويخلع المأمون, ففعل ذلك, وبايع لابنه موسى"[7]. وبسبب ذلك كانت الفتنة بين الأمين والمأمون, وكان آخرها مقتل الأمين[8].

---

[1] . الجهشياري, ص 276. الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 369.
[2] . الطبري, تاريخ, جـ 8, ص 370.
[3]. الجهشياري, الوزراء, ص 277.
[4] . ن. م. ص277.
[5]. الطبري، تاريخ، جـ 8, ص 377.
[6]. المسعودي, التنبيه والإشراف , ص 316.
[7]. اليعقوبي, تاريخ, جـ 2, ص 436. ابن قتيبة، المعارف، ص384.
[8] . ابن طباطبا, الفخري, ص 213.

ـ خاتمـة:

تولّـى الرشيد الخلافة في سن مبكرة، وفوض بعضاً من مهام الحكم إلى وزيره يحيى البرمكي ثم إلى ابنيه الفضل وجعفر، وهم بحكم ما نالوا من صلاحيات وما كان لهم من دالـّة، كان لهم دور كبير في الإدارة، وصار لهم أعوان، وأغدقوا الأموال على الشعراء وغيرهم، وشاعت الأخبار بكرمهم وتنفـّذهم، حتى ظن البعض أنهم أساس الدولة. وخلـُصت الدراسة إلى:

ـ وجود كثير من الروايات التي بالغت في تعظيم دور البرامكة، بل واختلطت الرواية بالقصة في هذا المجال

ـ استقرّ منصب الوزارة في هذه الفترة، وقد كان بين وزير وكاتب، إذ تقلـّد يحيى البرمكي الوزارة سبع عشرة سنة.

ـ أسند الرشيد للبرامكة وظائف لم يتمتـّع بها أحد قبلهم، وخاصة النظر في أمور المظالم، والإشراف على السكة، وأكـَّدت النقود التي وصلت هذه التولية.

ـ كانت الخيزران سنداً للبرامكة، وبموتها أصبح الرشيد أكثر استقلالية في أمور الدولة، وكان لزوجته زبيدة دور في ولاية العهد.

ـ كانت ولاية العهد بداية الصراع بين الكتلة العربية، والكتلة الفارسية، إذ أبدى البرامكة همـّة في العهد للمأمون.

ـ أبدى البرامكة اهتماماً بالشعراء والكتـّاب، فأشاد البعض بهم، وتغنـّوا بكرمهم، وكثرت الروايات والقصص عنهم.

ـ إن سلطة البرامكة كانت امتداداً للتصادم بين الوزراء والخلفاء، ولكن الأمر كان ينتهي دائماً بتأكيد سلطة الخليفة.

ـ تضاربت الروايات عن أسباب نهاية البرامكة، وكشفت الدراسة عن أنها لم تكن مفاجئة، وأنها تعود لأسباب سياسية ومالية واجتماعية.

ـ كانت علاقة البرامكة بالعلويين غير مستقرة، بين تعاطف حيناً، وإيذاء أحياناً.

ـ إن أمور الدولة لم تتراجع بعد البرامكة، بل إن الرشيد زاد من نشاطه بعدهم، فواجه البيزنطيين، وسار إلى خراسان للقضاء على ثورة رافع بن الليث سنة 192هـ/807م، وأشرف على أمور الدولة بنفسه.

ـ بدت في فترة الرشيد ملامح تيارين عامين، تيار فارسي، وتيار عربي، ظهرا بوضوح بعد الرشيد.

ـ المصادر والمراجع

1. المصادر المخطوطة

ـ الكندي، أبي يوسف يعقوب بن إسحاق (تـ260هـ /873م)، **أخبار الدول، ويليه أخبار الدول المنقطعة للأزدي**، مخطوط مصوّر، مكتبة الجامعة الأردنية.

2. المصادر المطبوعة

ـ القرآن الكريم، **سورة النحل**، آية 112.

ـ ابن الأبّار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (تـ658هـ/1259م)، **إعتاب الكتّاب**، تحقيق، صالح الأشتر، دمشق، مجمع اللغة العربية، 1961م.

ـ الأبشيهي، بهاء الدين أبي الفتح محمد بن أحمد بن منصور (تـ854هـ/1450م)، **المستطرف في كل فن مستظرف**، تحقيق، إبراهيم صالح، بيروت، دار صادر، 1999م.

ـ ابن أبي اصيبعة (تـ668هـ/1269م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق، نزار رضا، بيروت، مكتبة الحياة، 1965م.

ـ ابن أبي الحديد (تـ656هـ/1258م)، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق، حسن تميم، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1964م.

ـ ابن أبي عون، إبراهيم بن محمد بن أحمد (تـ322هـ/934م)، **الأجوبة المسكتة**، دراسة وتحقيق ، مي أحمد يوسف، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1966م.

ـ ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الشيباني (تـ630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، بيروت، دار صادر،1979 م.

ـــــــــــــــــ **اللباب في تهذيب الأنساب**، بيروت، دار صادر، د. ت.

ـ الاربلي، عبد الرحمن سُنبط قَنينو (تـ717هـ/1317م)، **خلاصة الذهب المسبوك**، بغداد، دار المثنى، 1964م.

ـ الأزدي، أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم (تـ334هـ/945م)، **تاريخ الموصل**، تحقيق، علي حبيبة، القاهرة، دار التحرير للطبع والنشر، 1967م.

ـ الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور ظافر بن حسين (تـ613هـ/1216م)، **أخبار الدول المنقطعة**، تحقيق، عصام هزايمة وآخرون، اربد، دار الكندي، 1999 م.

ـ ابن الأزرق، أبو عبدالله محمد (تـ896هـ/1491م)، **بدائع السلك في طبائع الملك**، دراسة وتحقيق، محمد عبد الكريم، تونس، الدار العربية للكتاب، 1977م.

ـ الأزرقي، أبو الوليد محمد بن أحمد (تـ223هـ /837م)، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تصحيح رشدي الصالح ملحس، مكة المكرمة، المطبعة الماجدية، 1352هـ/1933م.

ـ الأصبهاني، أبي الفرج علي بن الحسين (تـ356هـ/976م)، **الأغاني**، مصور عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، 1963هـ .

ـــــــــــــــــ **مقاتل الطالبيين**، شرح وتحقيق، أحمد صقر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د. ت.

ـ الأصبهاني، حمزة بن الحسن (تـ 360هـ/970م)، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء،** بيروت، مكتبة الحياة، 1961م.

ـ الإصطخري، أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المعروف بالكرخي ، **مسالك الممالك،** ليدن، 1967م.

ـ ابن أعثم، أبي محمد أحمد (تـ314هـ/926م)، **كتاب الفتوح،** بيروت، دار الندوة الجديدة، 1968م.

ـ **الإمامة والسياسة** المنسوب لابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم (تـ276هـ/889م)، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1957م.

ـ ابن بدرون، أبي القاسم عبد الملك بن عبدالله (تـ608هـ/1211م)، **شرح قصيدة ابن عبدون،** القاهرة، مطبعة السعادة، 1921م.

ـ البسوي، أبي يوسف يعقوب بن سفيان (تـ277هـ/890م)، **المعرفة والتاريخ**، تحقيق، أكرم العمري، بغداد، مطبعة الإرشاد، 1974م.

ـ البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي الخطيب (تـ463هـ/1070)، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام،** تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م.

ـ البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (739هـ/1338 م)، **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق وتعليق، علي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1955م.

ـ البغدادي، عبد القادر عمر (تـ1093هـ/1682م)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح، عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1979م.

ـ البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (تـ487هـ/1094)، **المسالك والممالك**، تحقيق، أدتريان فان ليُوفن وأندري فيري، تونس، الدار العربية للكتاب، 1992م.

ـ البلاذري، أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (تـ279هـ/892م)، **أنساب الأشراف**، تحقيق، عبد العزيز الدوري، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1978م.

ــــــــــــــــ **فتوح البلدان**، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000م.

ـ البيروني الخوارزمي، أبي الريحان محمد بن أحمد (تـ440هـ/1048م)، **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، د. م. د. ت.

ـ البيهقي، إبراهيم بن محمد (تـ320هـ/932م)، **المحاسن والمساوىء**، بيروت، دار صادر، 1960م .

ـ **تحفة الوزراء**، المنسوب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (تـ429هـ/1037م)، تحقيق، حبيب علي الراوي وابتسام مرهون الصفار، بغداد، مطبعة العاني، 1977م.

ـ ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (تـ874هـ/1469م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م.

ـ التنوخي، أبي علي المحسِّن بن علي (تـ384هـ/994م)، **الفرج بعد الشدة**، تحقيق، عبود الشالجي، بيروت، دار صادر، 1978م.

ــــــــــــــــ **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق، عبود الشالجي، 1971م.

ـــــــــــــــــــــــ **المستجاد من فعلات الأجواد**، نشر وتحقيق، محمد كرد علي، دمشق، مطبعة الترقي،1970م.

ـ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد(تـ429هـ /1037م)، **تاريخ غرر السير**، المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، طهران، مكتبة الاسدى، 1963م.

ـــــــــــــــــــــــ **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق، مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م.

ـــــــــــــــــــــــ **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، القاهرة، مطبعة الظاهر، 1908م.

ـــــــــــــــــــــــ **رسائل الثعالبي**، الكتابة والتعريض، بيروت، دار صعب، 1972م.

ـــــــــــــــــــــــ **الإعجاز والإيجاز**، تخريج، محمد ألتونجي، جامعة حلب، دار النفائس، 1992م.

ـــــــــــــــــــــــ **لطائف المعارف**، تحقيق، إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1960م.

ـــــــــــــــــــــــ **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق، عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1961م.

ـــــــــــــــــــــــ **لباب الآداب**، تحقيق، قحطان رشيد صالح، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988م.

ـــــــــــــــــــــــ **خاص الخاص**، شرح وتعليق، مأمون بن محي الدين الجنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994م.

ـ الثعلبي، محمد بن الحارث (من علماء القرن الثالث الهجري)، **أخلاق الملوك** (المنسوب للجاحظ سابقاً)، تحقيق، جليل العطية، بيروت، دار الطليعة، 2003م.

ـ الجاجرمي، أبي المعالي المؤيد بن محمد (من مؤلفي أوائل القرن السابع الهجري)، **نكت الوزراء**، تحقيق، نبيلة عبد المنعم داود، بغداد، جامعة بغداد،1984م.

ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (تـ255هـ/868م)، **البيان والتبيين**، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، بيروت، مكتبة الجاحظ، 1975م.

ـــــــــــــــــ **المحاسن والأضداد**، مراجعة، عاصم عيتاني، بيروت، دار لحياء العلوم، 1966م.

ـــــــــــــــــ **رسائل الجاحظ**، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مصر، مكتبة الخانجي، 1979م.

ـــــــــــــــــ **الحيوان**، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1945م.

ـ ابن جبير، أبو الحسين مجمد بن أحمد الكناني الأندلسي (تـ614هـ1217م)، **رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك**، المعروف بـ رحلة ابن جبير، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1981م.

ـ الجهشياري، أبي عبدالله محمد بن عبدوس (تـ331هـ/942م)، **الوزراء والكتّاب**، تحقيق، مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1938م.

ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (تـ597هـ /1200م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دراسة وتحقيق، محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه، نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992.

ـــــــــــــــــ **الأذكياء**، تحقيق، محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، 1986م.

ـــــــــــــــــــــ **تلبيس ابليس**، تعليق وتصحيح، إدارة الطباعة المنيرية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1368هـ.

ـ ابن حبيب، أبي جعفر محمد (تـ245هـ/859م)، **المحبّر**، تصحيح، إيلزة ليختن شتيتر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، د. ت.

ـــــــــــــــــــ **أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام**، تحقيق، سيد كسروي حسن، بيروت دار الكتب العلمية، 2001م.

ـ ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، (456هـ/1063م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق، عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، 1982م.

ـــــــــــــــــــــ **طوق الحمامة في الألفة والألآف**، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1993م.

ـ الحسني، أحمد بن علي الداودي (تـ828هـ/1424م)، **عمدة الطالب في أنساب أبي طالب**، تحقيق، نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، د. ت.

ـ الحصْري، أبي إسحاق إبراهيم بن علي (تـ453هـ/1061م)، **زهر الآداب**، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، 1953م.

ـ ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (تـ562هـ/1166م)، **التذكرة الحمدونية**، تحقيق، إحسان عباس، وبكر عباس، بيروت، دار صادر، 1996م.

ـ الحموي، تقي الدين أبي بكر بن علي بن حجة (تـ837هـ/1433م)، **ثمرات الأوراق**، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الجيل، 1997م.

ـ الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (تـ628هـ/1230م)، **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر، 1957م.

ـــــــــــــ **معجم الأدباء**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت.

ـ الحميري، محمد بن عبد المنعم (تـ 900هـ/1494م)، **الروض المعطار في خير الأقطار**، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، 1975م.

ـ أبو حيان التوحيدي (تـ414هـ/1023م)، **الإمتاع والمؤانسة**، تصحيح، أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت، دار مكتبة الحياة، د. ت.

ـــــــــــــ **البصائر والذخائر**، تحقيق، وداد القاضي، بيروت، دار صادر، 1988م.

ـ ابن خلدون، عبد الرحمن محمد، (تـ 808هـ/1405م)، **تاريخ ابن خلدون**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1960م.

ـــــــــــــ **مقدمة ابن خلدون**، بيروت، دار الجيل، د. ت.

ـ ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (تـ681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، 1969م.

ـ خليفة بن خياط (تـ240هـ/854م)، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق، أكرم ضياء العمري، دمشق، دار القلم، 1977م.

ـ الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (تـ387هـ/997م)، **مفاتيح العلوم**، تحقيق، إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، 1989م.

ـ ابن دحْيَـة، أبو الخطاب عمر بن الحسن (تـ633هـ/1235م)، **النبراس في تاريخ بني العباس**، تحقيق مديحة الشرقاوي، بور سعيد، المكتبة الثقافية الدينية، 2001م.

ـ ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي (تـ809هـ/ 1406م)، **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**، تحقيق، كمال الدين عز الدين علي، بيروت، عالم الكتاب، 1985م.

ـ الدميري، كمال الدين (تـ808هـ/1405م)، **حياة الحيوان الكبرى**، بيروت، دار الفكر، د. ت.

ـ الدواداري، أبو بكر بن عبدالله بن أيبك، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق، هانس روبرت رويمر، القاهرة، مكتبة سامي الخانجي، 1960م.

ـ الدينوري، أبي حنيفة أحمد بن داوود (تـ282هـ/895م)، **الأخبار الطوال**، تحقيق، عبد المنعم عامر، تهران، انتشارات آفتاب، 1960.

ـ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (تـ 748هـ/1374م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، 1990م.

ـــــــــــــــــــــــ **سير أعلام النبلاء**، تحقيق، شعيب الأرناؤوط وكامل الخرّاط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1982م.

ـــــــــــــــــــــــ **دول الإسلام**، قطر، إدارة إحياء التراث الإسلامي، 1988م.

ـ الراغب الأصبهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضّل، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، تحقيق، عمر الطباع، بيروت، دار الأرقم، 1999م.

ـ ابن رشيق، أبو علي الحسن (تـ463هـ/1070م)، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، مصر، مطبعة أمين هندية، 1925.

ـ الزبير بن بكار، **الأخبار الموفقيات**، تحقيق، سامي العاني، بغداد، مطبعة العاني، 1972م.

ـ الزمخشري، أبو القاسم (تـ538هـ/1143م)، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، تحقيق، عبد المجيد دياب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992هـ.

ـ السيوطي، جلال الدين (تـ911هـ/1505م)، **تاريخ الخلفاء**، بيروت دار الكتب العلمية، د. ت.

ـــــــــــــــــــــــ **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1978م.

ـ الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (تـ388هـ/998م)، **الديارات**، تحقيق، كوركيس عوّاد، بغداد، مطبعة المعارف، 1966م.

ـ الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (تـ436هـ/1044م)، **أمالي المرتضى، غُرر الفوائد ودرر القلائد،** تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1954م.

ـ الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (تـ548هـ/1153م)، **المِلل والنِحل** تحقيق، محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1975م.

ـ الصابي، أبو الحسن الهلال بن المحسن (تـ448هـ/1056م)، **الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء،** تحقيق، عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1958م.

ـ الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (تـ336هـ /947م)، **أدب الكتّاب،** تصحيح، محمد بهجة الأثري، بغداد، المكتبة العربية، 1341هـ.

ـــــــــــــــ **الأوراق،** بيروت، دار المسيرة، 1979م.

ـ طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى (تـ968هـ/1560م)، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة،** مراجعة وتحقيق، كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، مصر، دار الكتب الحديثة، د. ت.

ـ الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (تـ310هـ/922م)، **تاريخ الرسل والملوك،** تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، 1979م.

ـ الطرطوشي، أبو بكر بن محمد بن محمد بن الوليد (تـ520هـ/1126م)، **سراج الملوك،** القاهرة، 1935م.

ـ ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (تـ709هـ/1309م)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية،** بيروت، دار صادر، 1966م.

ـ ابن عبد ربه، أبي عمر أحمد بن محمد (تـ328هـ/939م)، **العقد الفريد**، تحقيق، أحمد أمين وآخرون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965م.

ـ ابن العبري، غريغوريوس الملطي (تـ685هـ/1286م)، **تاريخ مختصر الدول**، بيروت، دار المسيرة، د. ت.

ـ ابن العديم، كمال الدين، أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (تـ660هـ/1261م)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق، سامي الدهمان، دمشق، 1951م.

ـ ابن عذارى، أبو عبدالله أحمد بن محمد المراكشي(تـ695هـ/1295م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق، ج. س. كولان، بيروت، دار الثقافة، د. ت.

ـ ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن، (تـ571هـ/1175م)، **تاريخ مدينة دمشق**، دراسة وتحقيق، محب الدين العمْري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م.

ـ العسكري، أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (تـ395هـ/1004م)، **الأوائل**، تحقيق، محمد السيد الوكيل، طنجة، مطبعة دار أمل، 1966م.

ـــــــــــــــ **ديوان المعاني**، بيروت، دار الجيل، 1990م.

ـ ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح الحنبلي (تـ 1089هـ/1678م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق، عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير،1988م.

ـ ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (تـ580هـ/1184م)، **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق، قاسم السامرائي، لايدن، 1973م.

ـ العمري، ابن فضل الله (تـ749هـ/1348م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق، أحمد زكي باشا، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1924هـ.

ـ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (تـ732هـ/1331م)، **المختصر في أخبار البشر**، المطبعة الحسينية المصرية، د. ت.

ـــــــــــــــــــــ **تقويم البلدان**، بيروت، دار صادر، مم 1990م .

ـ ابن الفقيه، أبي عبدالله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني (تـ290هـ/902م)، **بغداد**، وزارة الإعلام، 1977م.

ـــــــــــــــــــــ **البلدان**، تحقيق، يوسف الهادي، بيروت، عالم الكتب، 1996م.

ـ ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم(تـ276هـ/889م)، **المعارف**، تحقيق، وستنفلد، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م.

ـــــــــــــــــــــ **الشعر والشعراء**، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، 1966م.

ـــــــــــــــــــــ **عيون الأخبار**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1963م.

ـ القرماني، أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (تـ 1019هـ/1610م)، **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، بيروت، عالم الكتب، د. ت.

ـ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (تـ682هـ/1283م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، بيروت، دار صادر، 1969م.

ـ القضاعي، أبي عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي (تـ454هـ/1062م)، **عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف**، تحقيق، عبد الرحيم محمد عبد الحميد علي، عمّان، دار الينابيع للنشر والتوزيع، 1997م.

ـ القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (تـ646هـ/1248م)، **إنباء الرواة على أنباء النحاة**، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1952م.

ـ القمي، عباس بن محمد رضا، **الكنى والألقاب**، النجف، المطبعة الحيدرية، 1970م.

ـ الكتبي، أبي اسحق برهان الدين المعروف بالوطواط (تـ718هـ/1378م)، **غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة**، بيروت، دار صعب، د. ت.

ـ الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر (تـ764هـ/1362م)، **فوات الوفيات**، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1973م.

ـ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (تـ774هـ/1372م)، **البداية والنهاية**، تحقيق، أحمد عبد الوهاب فتيح، القاهرة، دار الحديث، 1994م.

ـ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (تـ 450هـ/1058م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، بغداد،1989م.

ــــــــــــــــ **أدب الدنيا والدين**، تحقيق، مصطفى السّقا، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1955م.

ـ مجهول (القرن الثالث الهجري)، **أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده**، تحقيق، عبد العزيز الدوري، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1976.

ـ مجهول، (القرن الرابع الهجري)، **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، بغداد، مكتبة المثنى، 19-.

ـ المرزباني، أبي عبيدالله محمد بن عمران بن موسى (تـ384هـ/994م)، **معجم الشعراء**، د. م، د. ت.

ـ المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (تـ346هـ/957م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تصحيح، شارل بلاّ، بيروت، الجامعة اللبنانية، 1973م.

ــــــــــــــــــــــ **التنبيه والإشراف**، تصحيح، عبدالله إسماعيل الصاوي، المكتبة التاريخية، 1938م.

ـ مسكويه، أبو علي (تـ421هـ/1030م)، **تجارب الأمم**، تحقيق، أبو القاسم امامي، تهران، دار سروش للطباعة والنشر، 1379هـ.

ـ ابن المعتز، عبدالله بن محمد (تـ296هـ/908م)، **طبقات الشعراء**، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف بمصر، 1968م.

ـ المقدسي، شمس الدين أبو محمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ليدن، مطبعة بريل، 1906م.

ـ المقدسي، مطهر بن طاهر(تـ507هـ/1113م)، **البدء والتاريخ**، بيروت، مكتبة خياط، د. ت.

ـ المقري الأنباري، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد، **المختار من نوادر الأخبار**، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، 1994.

ـ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (تـ845هـ/1441م)، **النقود الإسلامية، المسمى بشذوذ العقود في ذكر النقود**، تحقيق، محمد السيد علي، النجف، مكتبة الحيدرية، 1967م.

ـ ابن النديم، محمد بن إسحاق (تـ377هـ/987م)، **الفهرست**، بيروت، دار المعرفة، د. ت.

ـ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (تـ733هـ/1323م)، **نهاية الأرَب في فنون الأدب**، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د. ت.

ـ ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر (تـ749هـ/1348م)، **تاريخ ابن الوردي**، النجف، المطبعة الحيدرية، 1969م.

ـ وكيع، محمد بن خلف بن حيان (تـ306هـ/918م)، **أخبار القضاة**، بيروت، عالم الكتب، د. ت.

ـ اليافعي، عفيف الدين عبدالله بن أسعد (تـ768هـ/1366م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة حوادث الزمان**، تحقيق، عبدالله الجُبُوري، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1984م.

ـ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (تـ284هـ/898م)، **تاريخ اليعقوبي**، بيروت، دار صادر، 1960م.

ــــــــــــــــــ **مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق**، وليم مِلْورْد، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1980م.

ــــــــــــــــــ **البلدان**، وضع حواشيه، محمد أمين ضنّاوي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م.

ـ أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (تـ183هـ/799م)، **الخراج**، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1979م.

3ـ المصادر الفارسية

ـ ابن البلخي، **فارس نامة**، تحقيق، يوسف الهادي، القاهرة، دار الثقافة للنشر، 1999م.

ـ البيهقي، أبو الفضل (تـ470هـ/1077م)، **تاريخ البيهقي**، تعريب، يحيى الخشاب وصادق نشأت، بيروت، دار النهضة العربية، 1982هـ.

ـ خواندمير، غياث الدين بن همام الدين الحسيني (تـ942هـ/1535م)، **دستور الوزراء**، ترجمة، حربي أمين سليمان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م.

ـــــــــــــــــــــ **حبيب السير**، جلد دوم تاريخ، مقدمه، استاذ جلال الدين همائي، زير نظر، دكتر محمد دبير سياقي، از انتشارات كتابفروشى خيام، تهران، خيابان شاه آباد، جاب دوم، دريك هزار 1353هـ.

ـ الخوانساريّ الأصبهاني، الميرزا محمد باقر الموتسوي، **روضات الجنّـات في أحوال العلماء والسادات**، تحقيق، أسد الله اسماعيليان، تهران، قم، مكتبة اسماعيليان، 1392هـ .

ـ دمَج، محمد أحمد، **مرايا الأمراء أو الحكمة السياسية والأخلاق والتعاملية في الفكر الإسلامي الوسيط**، بيروت، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، 1994م.

ـ السّمرقندي، النظامي العروضي (من علماء منتصف القرن السادس الهجري)، **جهار مقالة (المقالات الأربع) في الكتابة والشعر والنجوم والطب**، ترجمة، عبد الوهاب عزّام ويحيى الخشاب، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1949م.

ـ الطوسي، **نظام الملك** (تـ485هـ/1092م)، سياست نامه أو سير الملوك، ترجمة يوسف بكار، الدوحة، دار الثقافة، 1987م.

ـ الفردوسي، أبو القاسم أحمد الطوسي، **الشاهناماه**، بيروت، دار العلم للملايين، 1977م.

ـ الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك (تـ 442هـ /1051م)، **زين الأخبار**، ترجمة، عفاف السيد زيدان، القاهرة، جامعة الأزهر، 1982م.

ـ المافروّخي، مفضل بن سعيد بن الحسين (من علماء القرن الخامس الهجري)، **محاسن أصفهان**، تصحيح، جلال الدين الحسيني الطهراني، طهران، مطبعة مجلس، د. ت.

ـ مرتضى راوندي، **تاريخ إيران ازاغار**، تاحمصر حاضي، انتشارات امير تبير، تهران، د. ت.

ـ النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (تـ348هـ/959م)، **تاريخ بخارى**، ترجمة وتحقيق، أمين عبد المجيد بدوي، ونصرالله مبشر الطرّازي، القاهرة، دار المعارف، د. ت.

ـ نظمي زاده مرتضى، **كلشن خلفا**، ترجمة موسى كاظم نورس، المجمع العلمي العراقي، 1971م.

4ـ المراجع العربية والمعربة

ـ بارتولد، فاسيلي فلاديمير، (1981م). **تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي**. ترجمة، صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

ـــــــــــــــــــــــــ، (1942م). **تاريخ الحضارة الإسلامية**. ترجمة، حمزه طاهر، القاهرة: مطبعة المعارف.

ـ براون، ادوارد ،(1984م). **تاريخ الأدب في إيران منذ أقدم العصور حتى عصر الفردوسي**. ترجمة، كمال الدين حلمي، الكويت.

ـ بروكلمان، كارل ،(1974م). **تاريخ الشعوب الإسلامية**. ترجمة، نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين.

ـ جب، هاملتون، (1964م). **دراسات في حضارة الإسلام**. ترجمة، إحسان عباس، بيروت: دار العلم للملايين.

ـ الجندي، عبد الحميد، (1963م) . **ابن قتيبة العالم الناقد الأديب**. القاهرة: المؤسسة العربية المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

ـ جويتاين، س. د،(1980م) . **دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية**. ترجمة، عطية القوصي، الكويت: وكالة المطبوعات.

ـ الجومرد، عبد الجبار، (1963م) . **داهية العرب أبو جعفر المنصور**. بيروت: منشورات دار الطليعة.

ـــــــــــــــــــــــــ ، (1999م). **هارون الرشيد**. بيروت: شركة المطبوعات، للتوزيع والنشر،.

ـ جوهري، طنطاوي، (1936م). **براءة العباسة أخت الرشيد**. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

- حتي، فيليب،(1961م). **تاريخ العرب** (مطول). دار الكشاف للنشر والتوزيع.

- حسن إبراهيم حسن،(1964). **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

- الدوري، عبد العزيز،(1997م). **العصر العباسي الأول**. دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، بيروت: دار الطليعة.

ــــــــــــــــــــــ، (1950م). **النظم الإسلامية**. الخلافة، الضرائب، الدواوين والوزارة، بغداد: مطبعة نجيب.

ــــــــــــــــــــــ، (1983م). **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب**. بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

- **رسائل البلغاء**، اختيار وتصنيف محمد كرد علي،(1946م). القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- الرفاعي، أحمد فريد، (1927م) . **عصر المأمون**. القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية.

- روزنثال، فرانز،(1963م). **علم التاريخ عند المسلمين**. ترجمة، صالح العلي، بغداد: مكتبة المثنى .

- زامباور ، (1951م). **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**. ترجمة زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، القاهرة: مطبعة جامعة فؤاد الأول.

- زيدان، جرجي ، (1958م). **تاريخ التمدن الإسلامي**. القاهرة: دار الهلال.

ــــــــــــــــــــــ ،(1998م). **العباسة أخت الرشيد**. بيروت: دار صادر.

ـ سيد أمير علي، (1964م) . **مختصر تاريخ العرب**. ترجمة، عفيف البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين،.

ـ السيد عبد العزيز سالم، (د. ت). **دراسات في تاريخ العرب**. العصر العباسي الأول، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة،.

ـ شاكر مصطفى، (1973م). **دولة بني العباس**. الكويت. وكالة المطبوعات.

ـــــــــــــــــــــــ ،(1978م). **التاريخ العربي والمؤرخون**. دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، بيروت: دار العلم للملايين.

ـ الشبيبي، محمد رضا، (1950م). **مؤرخ العراق ابن الفوطي**. مطبوعات المجمع العلمي العراقي.

ـ عبد الحليم عباس،(19ـ). **البرامكة في بلاط الرشيد**. القاهرة: مطبعة الجريدة التجارية.

ـ أبي طالب الناطق بالحق، (1987م). **الإفادة في تأريخ الأئمة السادة،** ضمن كتاب أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان، نصوص تاريخية جمعها وحققها فيلفرد ماديلونغ، نصوص ودراسات سلسلة يصدرها المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت.

ـ أبي العباس الحسني ، (1987م). **المصابيح**. ضمن كتاب أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان، نصوص تاريخية جمعها وحققها فيلفرد ماديلونغ، نصوص ودراسات سلسلة يصدرها المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت.

ـ العش، يوسف،(1982م). **تاريخ عصر الخلافة العباسية**. دار الفكر.

ـ العمري، أكرم،(1975م). **موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد،** دمشق: بيروت، دار القلم.

ـ فامبري، أرمينيوس ، (د. ت). **تاريخ بخارى**. ترجمة، أحمد محمود الساداتي، مراجعة، يحيى الخشاب، القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

ـ كاهن، كلود ، (1977م). **تاريخ العرب والشعوب الإسلامية**. ترجمة بدر الدين القاسم، بيروت: دار الحقيقة للطباعة والنشر.

ـ كريستنسن، أرثر ،(د. ت). **إيران في عهد الساسانيين**. ترجمة، يحيى الخشاب، بيروت. دار النهضة العربية.

ـ كلكاوي، جاسم، (1965م). **البرامكة والعلويون**. تقديم، يوسف عز الدين، كربلاء: مطبعة أهل البيت.

ـ لسترنج، كي، (د. ت). **بلدان الخلافة الشرقية**. ترجمة، بشير فرنسيس وكوركيس عوّاد، مؤسسة الرسالة،.

ـ محمد كرد علي، (1968م). **الإسلام والحضارة العربية**. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ـــــــــــــــــــ ، (1991م). **التاريخ** الإسلامي، الدولة العباسية. بيروت: المكتب الإسلامي.

ـ المدور، جميل نخلة، (1937م). **حضارة الإسلام في دار الإسلام**. القاهرة: مطبعة الأميرية.

ـ معروف، بشار، (1976). **الذهبي ومنهجه في كتابة تاريخ الإسلام**. (ط1). القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،

- نابيا ابوت ، (1969م) . **ملكتان في بغداد، الخيزران أم هارون الرشيد وزبيدة زوجته.**
ترجمة، عمر أبو النصر، بيروت: مكتب عمر أبو النصر للتأليف والترجمة والنشر.

5- المراجع الأجنبية

- Bouvat, ,(1974). Les Barmecides, **Revue du Monde Musulman**, Paris: Kraus Reprint, Nendeln Liechtenstein.

- EL - Hibri,Tayeb , (1999). **Reinterpreting Islamic Historiography, Harun Al - rashid and the Narrative of Abbasid Caliphate**, University. Cambridge.

- Hudud al - Alam ,(9710) , **The regions of The Word, apersian geography, 372 - A. .. H - 982 A . D**. examined by V. Minorsky, Londone

- Muir, William,(1963). **The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall**, Beirut.

- Sourdsl, Dominique,(1959), **Le Vizirat Abbaside De 749 A 936 /132 a 324 de l'Hegire**, Damas.

6- الرسائل الجامعية غير المنشورة

ـ بيطار، أمينة محمد علي، (1975م). **الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية حتى الفتح الفاطمي**. إشراف الدكتور أحمد السيد درّاج، جامعة القاهرة.

7- سجلات النقود

ـ العش، محمد أبو الفرج، (1984). **النقود العربية الإسلامية**، الدوحة. وزارة الإعلام.

- Lane Poole, (1875). **Catalogue of Oriental Coins in the British Museum, The Coins of the Eastern Khaleefehs**. ed by, Stuart Poole, London.

-Lavoix, M.Henri ,(1887). **Catalogue des Monnaies Musulmanes**. Orientaux, Arnaldo Forni Editore. Khalifes.

8- القصص والروايات

ـ الإتليدي، محمد بن دياب (تـ 1100هـ/1688م)، **نوادر الخلفاء المسمّى إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس**، تحقيق، أيمن عبد الجبار البحيري، القاهرة، دار الآفاق العربية، 1998م.

ـ **قصص ألف ليلة وليلة**، إعداد رشدي صالح، (1969م). دار ومطابع الشعب.

ـ اليسوعي، الأب أنطون رباط، (1924م). **الرشيد والبرامكة**. بيروت:المطبعة الكاثوليكية.

9- الأبحاث المنشورة في دائرة المعارف الإسلامية والبريطانية

ـ بارتولد، مادة (البيهقي)، مج4.

ـــــــــ مادة (البرامكة)، مج3

ـ بوخنر، مادة (ساسان)، مج 11.

ـ شتروتمان، مادة (زيد بن علي)، مج11.

ـــــــــ مادة (الزيدية)، مج11.

ـ گرومان، مادة (طراز)، مج15.

ـ ماسينيون، مادة (زنديق)، مج10.

ـ مكدونلد، مادة (ألف ليلة وليلة)، مج2.

ـ هارتمان، مادة (بلْخ)، مج7.

- Sourdel,(AL- Baramika), E.I, (2).vol.1.

- F. Omer, (Barmakids), E.B, vol,1.1990.

10- الدوريات

ـ الكبيسي، حمدان ، (1989). عيسى بن موسى، **المؤرخ العربي**، ع4، سنة14.

ـ مهاب درويش لطفي، (1976م). ، الدينار العباسي في المتحف العراقي، **مجلة المسكوكات**، بغداد، ع7، سنة.